

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الخامس - العدد 48 - ديسمبر 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سرور طالبي / المشرفة العامة

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مُعسكر، الجزائر)
د. أحمد جلول (جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر)
د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر)
د. علة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
د. فكروني زاوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
د. نجوى نايف عبد النّبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غيرسون، تركيا)

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. خالد محمد أبو شعيرة (جامعة حائل، المملكة العربية السعودية)
د. أحمد مونس (جامعة البليدة 2، الجزائر)
د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
د. جاكاريجا كيتا (جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا UniSZA)
د. صفوت حسن عبد العزيز (مركز البحوث التربوية، وزارة التربية، الكويت)
د. عادل بوزيد (جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية)
د. كلثوم حمدي (المركز الجامعي تماراست)
د. لالو سوفريادي بن مجيب (جامعة متارام الإسلامية الحكومية، إندونيسيا)
د. محمد الفاضل الحاج الساسي (جامعة تونس)
د. هدى أحمد الديب (جامعة الزقازيق، مصر)

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
د. بشرى سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
فاتن عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصلية للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلميّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني ، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • تأثير طريقة التواصل على اكتساب المفردات النشطة والخاملة عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة، أ.إسماعيل حساني/جامعة الجزائر 2 - د.أحمد جلول/جامعة الوادي، الجزائر.
- 21 • عناصر تأسيس مجتمع المعلومات : دراسة تحليلية بنيوية، د.محمد طوالبية/جامعة حسية بن بوعلي الشلف، الجزائر.
- 39 • صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة والأولياء، أ.د.قادري حليلة/جامعة وهران 2، الجزائر.
- 53 • سؤال الكلام الجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، د.سنوسي سامي/جامعة، أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر.
- 67 • تكنولوجيا الاتصال الحديثة و اقتصاد المعرفة:قراءة تحليلية في ميكانيزمات التكامل ومعوقاته، د.بغداد باي عبد القادر/المركز الجامعي أحمد زبانه غليزان، الجزائر.
- 83 • الأبعاد الإستراتيجية لتشييد القصبات المغربية في عهد السلطان المولى إسماعيل، د.نجاه القلاي/جامعة محمد الخامس، المغرب.
- 93 • دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية د.بانقا طه الزبير حسين/جامعة الخرطوم - أ.عياد صالح عياد الجلدي الحربي/خبير إعلام تربوي.

مقالات باللغات الأجنبية

- 113 • **La thérapie comportementale et cognitive (TCC)**, Dr.Touhami Soufyane/Université Moulay Tahar –Saida-Algérie.
- 123 • **Les associations et les coopératives organismes indispensables pour revitaliser l'économie sociale et solidaire dans les milieux montagnards : étude de cas dans les provinces de Chefchaouen et Tétouan (Nord du Maroc)** HMAMOU MUSTAPHA/ Professeur du deuxième cycle de l'enseignement secondaire, docteur chercheur en géographie, Maroc.
- 139 • **An epidemic of plagiarism strikes our Universities, The current threat and the delayed treatment: A literature review analysis**, Dr BENMESMOUDI Aali/University of Mascara.

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم، عليه نتوكل وبه نستعين، نحمده سبحانه كما ينبغي أن يحمد، ونصلي ونسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد...
تُصدر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عددها الثامن والأربعون (48) في شهر ديسمبر، متزامناً مع نهاية سنة 2018، وكذا مع تزايد إدراك الجامعات ومراكز البحث العلمي المختلفة لأهمية المجلات العلميّة المحكّمة باعتبارها مؤشراً أساسياً من مؤشرات قياس مستوى الإنتاجية العلمية والمعرفية فيها من الناحيتين النوعية والكمية. فمن خلال هذا النوع من المجلات تسجّل الجامعات ومراكز البحث العلمي حضورها وتفوقها، مثلما يسجل الأكاديميون والباحثون إنجازاتهم العلمية.
وبهذا فمجلتكم تفتح لكم دائماً آفاقاً رحبة للبحث العلمي في مجالات لها أهميتها البالغة في التقدّم العلمي والمعرفي، وهي تأمل منكم دعمها وإثراءها بأبحاثكم ودراساتكم، ومقترحاتكم، لكي يكتب لها النجاح والاستمرار.

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

رئيس التحرير / د. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2018

تأثير طريقة التواصل على اكتساب المفردات النشطة والخاملة عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة
أ.إسماعيل حساني/جامعة الجزائر2 د.أحمد جلول/جامعة الوادي، الجزائر

ملخص:

تعتبر زراعة القوقعة تقنية فعالة في إنعاش القدرة السمعية للمصابين بصمم عميق وشديد، كما تساعد على اكتساب اللغة. يستخدم الأولياء والمختصون أثناء التواصل مع الأطفال حاملي زراعة القوقعة أساليب مختلفة للتواصل، تجعل من نتائج الأطفال تتباين في نموهم اللغوي.

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مدى تأثير طريقة التواصل على اكتساب المفردات النشطة والخاملة لدى عينة من 30 طفلا حاملا لزراعة القوقعة تراوحت أعمارهم بين 3 سنوات و 8 أشهر إلى 8 سنوات. استخدمنا في الدراسة اختبار المفردات النشطة والخاملة TVAPDeltour&Hupkens بعد تكييفه وتقنينه. توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة بين الأطفال الذين استفادوا من زراعة القوقعة في سن مبكرة.

الكلمات المفتاحية: زراعة القوقعة، المفردات، طريقة التواصل.

Abstract:

Cochlear implantation is an effective technique in the recovery of hearing ability in children with acute and deep deafness, and helps to acquire language. Parents and specialists in contact with children with cochlear implants use different methods of communication, making the results of children vary in their language development

The aim of this study is to investigate the effect of the method of communication on the acquisition of passive and active vocabulary in a sample of 30 children with cochlear implant, ranging in age from 3 years ,8 months to 8 years. We used in the study the test of passive and active vocabulary (TVAP created by Deltour&Hupkens) after adaptation and regulation. This study found that there were significant differences between children who benefited from cochlear implant at an early age.

Key words: cochlear implant ,vocabulary , mode of communication

مقدمة:

تشير الدراسات الوبائية الخاصة بالإعاقة السمعية أنه بين كل 700 مولود حي يولد طفل مولود بصمم شديد أو عميق، في هذه الحالة التجهيز السمعي هو الوحيد الذي يساعد على إنعاش السمع لدى المصابين بالصمم الحسي العصبي¹. يبدأ التكفل بحالات الإعاقة السمعية بالكشف عن مستوى القدرة السمعية، ثم تصنيف الحالات حسب مقدار الضياع السمعي، وبعدها اتخاذ القرار بتوجيه الحالات: إما إلى استخدام المعينات السمعية الكلاسيكية التي تعتمد على تضخيم موجة الصوت بالنسبة لذوي الصمم الخفيف و المتوسط، أو زراعة القوقعة التي تعتمد على التحفيز الكهربائي للعصب السمعي بالنسبة لذوي الصمم الشديد و العميق.

1- الإشكالية:

تتفق جميع النظريات التي فسرت اكتساب اللغة عند الطفل على أهمية القدرة السمعية في استقبال اللغة²، ويظهر ذلك من خلال الضرر الذي يصيب اللغة عند الحالات التي تعاني من إعاقة سمعية، فمثلا حالات الصمم الشديد والعميق تؤثر الإصابة بها على اللغة بشكل كبير، حيث أن الأطفال المصابين بصمم حسي عصبي عميق يلاحظ لديهم تأخر واضح و كبير يؤثر على قدرات التواصل اللفظي لديهم، والقدرات الاجتماعية والأكاديمية³، ويظهر دور السمع في اكتساب، تطور و صيانة مكونات اللغة، فالسنوات الأربع الأولى في حياة الطفل، في هذه المرحلة تتكون المفردات والقواعد الأساسية للغة الأم وما تلبث البنيات النحوية أن تتطور مع تطور المفردات خلال باقي الحياة.

عند دراسة المفردات عند الأطفال المصابين بالصمم الحسي العصبي الشديد والعميق نجد أن مستويات المفردات لديهم أقل من أقرانهم العاديين⁴. تتباين نتائج زراعة القوقعة بين مجموعات الأطفال عبر مستويات اللغة المختلفة⁵، ونظرا لتعدد العوامل التي تؤثر على تطور المفردات عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة، فمن المهم تحديد العوامل التي تؤثر على تطور المفردات عندهم، حيث أن هذه العوامل هي سبب التباين في المفردات، من خلال التأثير على عدد المفردات ونوعيتها وسرعة اكتسابها، وهذا ما تكلم عنه كل بافن وزملاؤه⁶، فقد أشاروا إلى أهمية عامل طريقة التواصل المستخدمة في تطور المفردات واللغة عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة، يجدر بالذكر قلة الدراسات التي تناولت علاقة طريقة التواصل المستخدمة في الأسرة مع الطفل حامل زراعة القوقعة وتطور المفردات النشطة والخاملة في العالم العربي عموما و الجزائر أيضا والعوامل التي تتحكم فيه ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي:

¹Denoyelle, F., Loundon, N., & I Garabédian, E.-N. **Implants cochléaires de l'enfant: technique et expérience de l'Hôpital Armand-Trousseau**. e-mémoires de l'Académie Nationale de Chirurgie, 2002 1(4), 55-57.

²Kant, A., & al. **Acoustic Analysis of Speech of Cochlear Implantees and Its Implications**. Clinical and Experimental Otorhinolaryngology, April 2012, Vol 5, Suppl 1: S14-S18

³Connor, C., Hieber, S., Arts, H., & Zwolan, T.. **Speech, Vocabulary, and the Education of Children Using Cochlear Implants: Oral or Total Communication?**, Journal of Speech, Language, and Hearing Research, 43, October 2000, pp. 1185–1204.

⁴Coppens, K., Tellings, A., van der Veld, W., Schreuder, R., & Verhoeven, L. **Vocabulary development in children with hearing loss: The role of child, family, and educational variables**. Research in Developmental Disabilities, 33, 2012, pp. 119–128.

⁵Geers, A., Moog, J., Biedenstein, J., Brenner, C., & Hayes, H. **Spoken language scores of children using cochlear implants compared with hearing age-mates at school entry**. Journal of Deaf Studies and Deaf Education, 14, 2009, pp. 371–385.

⁶Bavin, E. L., Sarant, J., Leigh, G., Prendergast, L., Busby, P., & Peterson, C. **Children with cochlear implants in infancy: predictors of early vocabulary**. International journal of language and communication disorders, 0(00), March 2018, pp. 1-11

- هل توجد فروق في المفردات النشطة والخاملة بين فئتي الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء طريقة التواصل الإشارية وطريقة التواصل الشفهية؟

2- فرضيات الدراسة:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المفردات النشطة والخاملة بين فئتي الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء طريقة التواصل الإشارية وطريقة التواصل الشفهية.

3- أهداف الدراسة: قمنا بتقسيم أهداف الدراسة إلى نظرية و ميدانية

3-1-الأهداف النظرية:

- التعمق في فهم اكتساب اللغة عند فئة الأطفال حاملي زراعة القوقعة.

- إثراء الأدب العلمي ببحوث حول زراعة القوقعة.

3-2-الأهداف الميدانية:

- التعرف على العوامل المؤثرة في اكتساب المفردات عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة

- التأسيس لوضع برنامج علاجي لتطوير اكتساب المفردات عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة

4- مصطلحات الدراسة:

4-1 زراعة القوقعة: هي معين سمعي كهربائي يعمل على تحويل الموجات الصوتية إلى نبضات كهربائية ذات شدة منخفضة قابلة للاستقبال من العصب السمعي، تتكون من جزئين خارجي (معالج كلام) و داخلي (حامل الأقطاب)، تعمل على تنبيه العصب السمعي وإنعاش القدرة السمعية وتسمح بسماع و إدراك الكلام.

4-2 المفردات النشطة:هي الكلمات التي يمكن للإنسان أن ينتجها عن طريق اللغة اللفظية أو الكتابية.

4-3 المفردات الخاملة:هي الكلمات التي يمكن للإنسان أن يفهمها سواء كانت منطوقة أو مكتوبة

5- الإطار النظري:

1-1 تعريف زراعة القوقعة:

هو تدخل جراحي يتركز على غرس نظام اصطناعي في الأذن الداخلية بغرض التنبيه الكهربائي لأولى الخلايا المكونة لحزمة ألياف العصب السمعي. حيث يتم إدخال خيط حامل للأقطاب في القوقعة. يتم معالجة الإشارة الأكوستيكية حيث تحول إلى إشارة كهربائية عن طريق معالج الكلام الخارجي، وترسل إلى النظام المزروع داخلها بتردد عالي عن طريق الجلد. ينتشر الجهد الكهربائي في الأنسجة البيولوجية حتى يصل إلى التشعبات العصبية والأجسام الخلوية للخلايا القوقعية الأولى¹.

¹Fayad, J., Linthicum, F. H., Otto, S. R., Galey, F. R., & House, W. F. Cochlear implants:histopathologic findings related to performance in 16 human temporal bones. Ann OtolRhinalLaryngol, 100(10), October 1991, p 808

وتذكر¹(Loundon& Busquet) أن زراعة القوقعة هي وسيلة تقترح لإنعاش القدرات السمعية في حالات الصمم المعتبر، وهي حل مقترح عندما لا تعطي معينات السمع الكلاسيكية نتائج في تأهيل اللغة و الكلام بشكل جيد.

2-5 معايير الاستفادة من زراعة القوقعة:

عند ذكر تقنية زراعة القوقعة يتبادر إلى أذهان عامة الناس أنها حل لجميع أنواع الصمم، بينما الحقيقة عكس ذلك، فليس من الممكن أن يكون جميع الصمم مرشحين لإجراء زراعة القوقعة، فالتوصيات الحالية تحدد السن المفضل لإجراء التدخل الجراحي فيه بعمر سنتين فما أكثر، وذلك من بين الأطفال الذين يعانون من صمم شديد إلى عميق فما أكثر أي بما يقدر ب DB70 فما أكثر، أما بالنسبة للأطفال الأصغر من سنتين فيجب أن يكون الصمم عميقا أي بما يقدر ب 90 DB فما أكثر. أما موانع إجراء زراعة القوقعة فنذكر غياب وجود العصب الثامن (السمعي)، كذلك التطور الملحوظ للقدرات اللغوية باستخدام معينات السمع الكلاسيكية².

تتمتع حالات الصمم الحسي العصبي الخفيف و المتوسط بتواجد نسبة من أعضاء كورتي السليمة بحيث لا يصنف الصمم بأنه عميق، في مثل هذه الحالات يستفيد هؤلاء الأطفال من معينات السمع وتعطي نتائج جيدة مع التأهيل. وبالنسبة لأغلب حالات الصمم الشديد و العميق فإن سماعات الأذن الكلاسيكية ليست كافية لتحسين العتبات السمعية حتى تكون مناسبة للسمع و تمييز الكلام , لذا لا يستطيع جميع الأفراد المصابين بإعاقة سمعية الاستفادة من زراعة القوقعة³، تسمح المبادئ التوجيهية لإجراء زراعة القوقعة للأطفال في عمر سنتين المصابين بصمم شديد و عميق بدرجة فقدان سمع db70 أو أكثر، أما الأطفال الأقل من عمر سنتين فيجب أن تكون لديهم عتبة سمع في 90 db فما أكثر. هناك معيار آخر للاختيار هو سلامة العصب الثامن المسؤول على نقل السيالة العصبية السمعية وعدم ضموره، مع وجود تقدم كبير في تنبيه العصب السمعي باستخدام المعينات السمعية.

3-5 الدراسات السابقة:

تعتبر الدراسات السابقة مرحلة مهمة لإنجاز البحوث العلمية، حيث يستغلها الباحث في تفسير النتائج التي يتوصل إليها، ولهذا الغرض جمعنا بعض الدراسات التي تناولت تطور المفردات والمعجم عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة.

1-3-5 دراسة (Dawson, Blarney, Dettman, Barker, & Clark, 1995)

تهدف هذه الدراسة إلى قياس مستوى اكتساب المفردات لدى الأطفال حاملي زراعة القوقعة ومقارنته بمستوى ما قبل و بعد العملية في بيانات منشورة لأطفال عادين و صم، وتم وضع فرضية أن نتائج بعد الزرع ستكون أفضل مما قبل الزرع. تم تطبيق اختبار المفردات المصورة بيابودي على 32 فردا حاملا لزرعة القوقعة تراوحت أعمارهم بين عامين و نصف إلى 20 سنة، ومدة استخدام الزرع 6 أشهر إلى 7 سنوات و 8 أشهر. خلصت هذه الدراسة إلى أن معدلات التحسن متوافقة مع تقارير سابقة بدى عدد قليل من عينة الدراسة، ولكن لا يمكن أن تُعزى إلى استخدام الزرع لأن هذه الدراسة لم تستخدم عينة ضابطة.

¹Loundon, N., & Busquet, D. *Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique*. Paris: Flammarion, 2009, p 31.

²Bouchard, E. M., Oullet, C., & Cohen, H. *speech development in prelingually deaf children with cochlear implants*. *language and linguistics compass*, 3(1), February 2009, p4.

³Owens, D., Espeso, A., Hayes, J., & Williams, R. *Cochlear implants: Referral, selection and rehabilitation*. *Current Paediatrics*, 16, 2006, p 362.

2-3-5 دراسة (Connor, Hieber, Arts, & Zwolan, 2000)

تهدف هذه الدراسة إلى اختبار تأثير نمط التواصل المستخدم مع الأطفال حاملي زراعة القوقعة (لفظي، كلي) على دقة إنتاج الصوامت وتطور المفردات. بلغ عدد أفراد العينة 147 فردا تراوحت مدة استخدامهم لزراعة القوقعة بين 6 أشهر إلى 10 سنوات. توصلت هذه الدراسة إلى تحسن دقة إنتاج الصوامت وكذلك المفردات الاستقبالية و الإنتاجية عبر الزمن، وذلك بغض النظر عن طريقة التواصل المستخدمة. لم تتوصل الدراسة إلى وجود فرق كبير بين مجموعتي الأطفال الذين يُستخدم معهم التواصل اللفظي والتواصل الكلي، في درجات المفردات و معدل تحسنها، حتى عند إجراء الزراعة في سن أقل من 5 سنوات.

3-3-5 دراسة (Hayes, Geers, Treiman, & Moog, 2009)

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة مستوى تطور المفردات الاستقبالية لدى الأطفال حاملي غرسة القوقعة الذين يتم تأهيلهم في بيئات تستخدم التواصل السمعي اللفظي، مع أطفال سامعين. أظهرت النتائج أنه في الأطفال حاملي زراعة القوقعة في المتوسط، يمتلكون مستوى أقل من المفردات مقارنة بأقرانهم السامعين، وبعد سنة من استخدام غرسة القوقعة يُظهر الأطفال نموا كبيرا في المفردات يقدر بما يتم اكتسابها خلال عام. وتعتبر هذه النتيجة متناقضة مع دراسات افترضت أن مستوى المفردات لدى حاملي غرسة القوقعة منخفض مقارنة بالعادين. كما توصلت النتائج أن حاملي غرسة القوقعة يتمتعون بسرعة في اكتساب المفردات مقارنة بأقرانهم، حيث يتقدمون بمقدار نصف انحراف معياري كل سنة بما يجعل الفجوة بين حاملي زراعة القوقعة و الأطفال العاديين تضيق.

4-3-5 دراسة (Smith, Thomassen, Breinegaard, & Jensen, 2010)

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل المرتبطة بنتائج اللغة و الكلام لدى الأطفال حاملي زراعة القوقعة، وتقدير نسبة الأرجحية المرتبطة بكل عامل. تم تطبيق الدراسة على 155 طفلا مستفيدا من زراعة القوقعة، كما تم الأخذ بعين الاعتبار هي: العمر السمعي، سن الزراعة، الجنس، الأذن حاملة الغرسة، مستوى التعليم، مركز الزرع، طريقة التواصل. توصلت هذه الدراسة إلى تأثير قوي جدا لطريقة التواصل التي يستخدمها الأولياء على نتائج القدرات السمعية و اللغة. تحصل الأطفال الذين يُستخدم معهم اللغة الشفهية احتمالات تسجيل درجات عالية في جميع الاختبارات المطبقة وتشير النتائج إلى فائدة واضحة للتواصل باللغة المنطوقة مع طفل مزروع في القوقعة. كما توصلت الدراسة إلى تأثير نمو المفردات بأربعة عوامل هي: نمط التواصل، الجنس، مركز الزرع و سن الزرع

5-3-5 دراسة (Fagan & Pisoni, 2010)

عنوان هذه الدراسة " الخبرات السمعية و تطور المفردات الاستقبالية عند حاملي زراعة القوقعة" وتهدف إلى دراسة تأخر المفردات الاستقبالية. تكونت عينة الدراسة من 23 طفلا مصابا بصمم عميق تراوحت أعمارهم بين سن 6 إلى 14 سنة، واستفادوا من زراعة القوقعة في سن بين 1,4 إلى 6 سنوات، وتراوحت مدة استخدامها بين 3,7 إلى 11,8 سنوات. تم استخدام النسخة الثالثة من اختبار المفردات المصورة بيابودي (pptv3)، وكطريقة أولى تم تحليل البيانات من خلال فحص أخطاء الأطفال للتحقق من صعوبة مجالات المحتوى المعجمي، أما الطريقة الثانية فتم حساب الدرجات المعيارية من خلال مرجعية العمر السمعي.

أظهرت نتائج اختبار المفردات المصورة أن أفراد العينة اظهروا أدلة على فهم المفردات في جميع فئات محتوى الاختبار، مع عدم أدلة قوية على أعداد غير متناسبة من الأخطاء فئات محتوى الاختبار، و على الرغم من أن متوسط النقاط المعيارية أقل

من متوسط أداء درجات الأطفال سامعين في اختبار المفردات وهذا بناء على العمر الزمني. كما أن أفراد العينة كانوا ضمن المدى المتوسط للأطفال السامعين، وذلك بناء على مقارنة النتائج بالعمر السمعي. هذا يدل على أن مستوى المفردات عند حاملي غرسة القوقعة متناسبة مع سنوات استعمال الطفل لغرسة القوقعة.

6- إجراءات الدراسة الميدانية

6-1- منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لهذه الدراسة.

6-2- عينة الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع الأفراد حاملي الزرع القوقعي، ويذكر أنه لا يوجد إحصائية محدد للأفراد المستفيدين من زراعة القوقعة في الجزائر وذلك نظرا لعدم وجود هيئة مختصة تتكفل بالبرنامج الوطني لمكافحة الصمم - حسب رأي الباحث.

تتكون عينة الدراسة من 30 طفلا أصم حامل لزراعة القوقعة انقسموا إلى 15 حالة ذكور و15 حالة إناث هؤلاء الأفراد كانوا يعانون من صمم خلقي، وكذلك بينهم حالات لصمم مكتسب بعد الولادة، فردا في المرحلة قبل - لغوية، تم اختيارهم بطريقة قصديه وذلك بغرض ملاءمة الحصول على عينة تتوفر بها المتغيرات التي نريد قياس أثرها في المفردات عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة، وقد تم جمع أفراد العينة من أماكن مختلفة كانت كما يلي:

أولاً: الأقسام المدمجة في المدارس العادية بولاية قسنطينة

ثانياً: مدرسة الصم - حي المنصورة - قسنطينة

ثالثاً: بعض أولياء الأطفال حاملي زراعة القوقعة.

6-3- أداة الدراسة:

لتقييم المفردات النشطة والخاملة استخدمنا اختبار المفردات النشطة والخاملة للسن بين 3 إلى 8 سنوات، وقد وقع الاختيار على هذا الاختبار لتوفره لدينا، وكذلك ملاءمته للفئة العمرية التي تستهدفها دراستنا، إضافة إلى سهولة تطبيقه وفهم تعليماته من طرف المفحوصين. قام DELTOUR, J.-J. HUPKENS, D سنة 1980 ببناء هذا الاختبار في البيئة الفرنسية، مما يستدعي التأكد من خصائصه السيكمومترية ثم تكييفه حسب بيئة الدراسة. يحتوي هذا الاختبار على 30 صورة، تجسد مجموعة من الأسماء، الأفعال والصفات ويتم تنقيط الاختبار حسب الاستجابات: صحيح (2 نقطة)، قريب من الصحيح (1 نقطة)، خاطئ (0 نقطة). وقد تم ترجمة مفردات الاختبار إلى اللغة العربية (العامة).

6-3-1- الخصائص السيكمومترية لأداة الدراسة:

قمنا في هذا الجزء من الدراسة بإجراء الدراسة الاستطلاعية التي تهدف التعرف على ميدان الدراسة وكذلك التحقق من ملاءمة أدوات البحث، وتكييفها، حيث أن الدراسات الميدانية تحتاج إلى استخدام اختبار تتمتع بالصدق والثبات.

ثم تطبيقه على عينة استطلاعية مكونة من 30 طفل عادي. لقد تم التأكد من صدق الاختبار باستخدام طريقة الاتساق الداخلي وذلك بحساب معاملات الارتباط بين أبعاد الاختبار وكانت نتائجه كالتالي:

جدول (01) يبين معاملات الارتباط بين البعد والدرجة الكلية لاختبار المفردات

الدرجة الكلية	بعد المفردات النشطة	بعد المفردات الخاملة	
0,98**	0,93**		بعد المفردات الخاملة
0,98**		0,93**	بعد المفردات النشطة
	0,98**	0,98**	الدرجة الكلية

** بعد دال عند مستوى 0,01 * بعد دال عند مستوى 0,05

كما تم حساب الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية للبند الذي تنتهي إليه وقد تراوحت معاملات الارتباط بين 0,30 و0,98 وكلها داله، وهذا مؤشر على أن الاختبار يقيس المفردات بشقيها الخاملة والنشطة. قمنا بإجراء تغيير للبند التي تحصلت على معاملات ارتباط أقل من 0,60 نظرا لضعف صدقها، وبلغ عددها 13 بندا

6-3-1-1-صدق المقارنة الطرفية:

قام الباحث من باستخدام طريقة المقارنة الطرفية للتأكد من صدق اختبار المفردات النشطة والخاملة، وتعتمد هذه الطريقة على تحري وجود فروق بين درجات لأفراد في طرفي السمة المقاسة، ومعني هذا أن الاختبار قادر على التمييز بين ذوي الأداء القوي والأداء الضعيف للسمة المقاسة. لهذا الغرض قام الباحث بترتيب درجات الأفراد لمقياس المفردات النشطة والخاملة ترتيبا تصاعديا، واختار ما نسبته 27% من درجات ذوي الأداء المرتع ونفس النسبة من درجات ذوي الأداء المنخفض، قام بإجراء مقارنة بين الدرجات باستخدام اختبار "مان ويتي" لدلالة الفروق، ويستخدم هذا الاختبار في حالات العينات الصغيرة جدا والصغير التي يكون عددها أقل من 30 أو عندما لا تتحقق أحد افتراضات اختبار "ت" لدلالة الفروق، وقد تحصلنا على النتائج التالية:

جدول (02) يبين نتائج صدق المقارنة الطرفية

القيمة	المعامل
0,00	مان ويتي U
55,00	ويلكوكسون W
-4,08	Z
0,00	مستوى الدلالة

من خلال الجدول أعلاه يظهر أن مستوى الدلالة بلغ 0,00 وهو أقل من مستوى الدلالة المقبول 0,05 وهذا يجعلنا نقبل وجود فروق بين ذوي الأداء المرتفع والأداء المنخفض، ومن هذا يمكن أن نستخلص أن اختبار المفردات النشطة والخاملة قادر على التمييز بين الأداء المرتفع والأداء المنخفض لسمة معينة وهذا أحد المؤشرات التي تدل على صدق الاختبار

6-3-1-2-الثبات:

بغرض التأكد من ثبات اختبار المفردات النشطة و الخاملة استخدمنا معامل ألفا لكرونباخ الذي يعتبر مهمة للتأكد من ثبات الاختبارات ذات الاستجابات المتعددة، وقد اقترح كرونباخ سنة 1951 معادلة تمكن من حساب الاختبارات ذات التدرج المتعدد، وقد استخدمنا هذه الطريقة في حساب أداة الدراسة و كانت النتائج كما هي مبينة في الجدول التالي :

جدول (03) يبين نتائج ألفا لكرونباخ

عدد البنود	قيمة معامل ألفا	
60	0,98	الاختبار كاملا
30	0,95	بنود المفردات الخاملة
30	0,96	بنود المفردات النشطة

توصلت نتائج تحليل ثبات بنود اختبار المفردات النشطة و الخاملة وعددها 60 بنود باستخدام معامل ألفا لكرونباخ إلى أن معامل ألفا بلغ (0,97) لكامل بنود الاختبار، أما فيما يخص بنود المفردات الخاملة فقد بلغ معامل ألفا (0,95)، وبالنسبة لبنود المفردات النشطة وعددها 30 بنود بلغت قيمة معامل ألفا (0,96)، وتعتبر هذه النتائج مؤشرا على ثبات الاختبار و انخفاض أخطاء القياس، مما يعزز مصداقية استخدامه في الدراسة.

6-4-عرض نتائج الدراسة :

تنص فرضية الدراسة على ما يلي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المفردات النشطة والخاملة بين فئتي الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء طريقة التواصل الإشاري، والذين يُستخدم معهم طريقة التواصل اللفظي في المفردات الخاملة والنشطة.

استخدمنا لتحليل البيانات التي تحصلنا عليها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss 21 وقد تحصلنا على النتائج التالية:

جدول (04) يبين الإحصاءات الوصفية لعينة الدراسة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	المستوى	
7.79	38.86	15	لفظي	المفردات الخاملة
9.25	12.66	15	إشاري	
7.34	31.00	15	لفظي	المفردات النشطة
8.17	13.86	15	إشاري	

خلال مرحلة جمع البيانات، قمنا بإجراء مقابلات مع الأولياء بغرض الحصول على مجموعة من البيانات، و من بينها طريقة التواصل (إشاري، لفظي)، لذا قسمنا العينة حسب خاصية طريقة التواصل المستخدمة مع أفراد العينة، ثم أجرينا اختبار مان ويتي U لعينتين مستقلتين، وجاءت النتائج بالنسبة للمفردات الخاملة كما هي مبينة في الجدول التالي:

جدول (05) يبين دراسة الفروق في المفردات الخاملة بين مجموعتي الدراسة

العينة	عدد الأفراد	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة U	مستوى الدلالة
لفظي	15	22.57	338.50	6.50	0.00
إشاري	15	8.43	126.50		
المجموع	30				

من خلال الجدول رقم (05) يظهر أن عدد أفراد العينة الذين يستخدم معهم الأولياء طريقة التواصل اللفظي بلغ 15 فرداً، بمجموع رتب للمفردات الخاملة بلغ 338.50 ومتوسط رتب بلغ 22.57. أما بالنسبة لفئة الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يُستخدم معهم طريقة التواصل الإشاري بلغ عددهم 15 فرداً، بمتوسط درجات بلغ 126.50 و متوسط رتب بلغ 8.43. بعد التحليل الإحصائي لبيانات المجموعتين باستخدام اختبار مان ويتي U لعينتين مستقلتين توصلنا إلى أن قيمة U بلغت 6.50 عند مستوى دلالة 0.00، وهذا المستوى أقل من 0.05 أي أقل من أدنى مستوى دلالة مقبول مما يؤكد لنا وجود فروق بين مجموعتي الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء التواصل و اللفظي و أقرانهم الذين يستخدم معهم التواصل الإشاري في المفردات الخاملة، كما أن الفروق كانت تنحو لصالح فئة الأطفال الذين يُستخدم معهم لتواصل اللفظي، ويظهر هذا من خلال مقارنة متوسط رتب ذوي التواصل اللفظي (22.57) في مقابل (8.43) لذوي التواصل الإشاري. أما فيما يتعلق بنتائج دراسة الفروق في المفردات النشطة بين الأطفال الذين يستخدم معهم التواصل اللفظي و الذين يستخدم معهم التواصل الإشاري فكانت النتائج كما في الجدول رقم (06)

العينة	عدد الأفراد	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة U	مستوى الدلالة
لفظي	15	21.80	327	18.00	0.00
إشاري	15	9.20	138		
المجموع	30				

من خلال الجدول رقم (06) يظهر أن فئة الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم التواصل اللفظي بلغ مجموع رتب المفردات النشطة لديهم 327 و متوسط رتب بلغ 21.80. أما بالنسبة لفئة الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يُستخدم معهم طريقة التواصل الإشاري بلغ عددهم 15 فرداً، بمتوسط درجات بلغ 138 و متوسط رتب بلغ 9.20. بعد التحليل الإحصائي لبيانات المجموعتين باستخدام اختبار مان ويتي U لعينتين مستقلتين توصلنا إلى أن قيمة U بلغت 18.00 عند مستوى دلالة 0.00، وهذا ما يؤكد لنا وجود فروق بين مجموعتي الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء التواصل و اللفظي و أقرانهم الذين يستخدم معهم التواصل الإشاري في المفردات النشطة، وكان التفوق للأطفال الذين استخدم معهم التواصل اللفظي بتحصيلهم على متوسط رتب (21.80) في مقابل (9.20).

5-6- تفسير نتائج الدراسة:

تنص فرضية الدراسة على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المفردات النشطة و الخاملة بين الأطفال حاملي زراعة القوقعة الذين يستخدم معهم الأولياء التواصل اللفظي و بين من يُستخدم معهم التواصل الإشاري، وبعد أن أجرينا التحليل الإحصائي باستخدام اختبار مان ويتي، تأكدنا من وجود فروق بين الفئتين السالفتي الذكر في كل من المفردات الخاملة والنشطة وكان

التفوق في الفروق لصالح فئة الأطفال الذين يستخدم معهم الأولياء التواصل اللفظي، وهذا ما يُعبر على أهمية نمط التواصل وتأثيره على تطور المفردات لدى الطفل، ويمكن أن نفسر إلى أن الأغلبية (أكثر من 90٪) من الأطفال الصم تولد لأسر من السامعين التي تكون لغة البيت فيها منطوقة ويتم الحصول عليها عادة من خلال السمع والتفاعل مع العائلة والأقران¹.

تطرت العديد من الدراسات إلى تأثير استخدام طريقة تواصل معينة من طرف الأولياء على تطور اللغة عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة حيث توصل كل من واطسون وزملاؤه² إلى أن غالبية الأطفال الذين يتلقون غرسة قوقعة في سن أقل من 3 سنوات يغيرون نمط التواصل لديهم إلى التواصل الشفوي خلال 5 سنوات بعد الزرع، أما الأطفال الذين يزرعون في سن أكبر هم أقل عرضة لتغيير أسلوب التواصل، ويستغرق وقتاً أطول في القيام بذلك، وقد أوعزوا هذا التغيير إلى سن الزراعة وطريقة التواصل التي يستخدمها الأولياء مع أبنائهم. ويرجع هذا إلى طول المدة التي يستغرقها الطفل حامل الزرع القوقعي في التحول من التواصل الإشاري إلى التواصل اللفظي إلى العوامل المؤثرة في التطور اللغوي إضافة إلى طول مدة تأقلم الأولياء مع طريقة التواصل المفضلة لنمو اللغة الشفهية.

وفي دراسة أخرى لكل من يانباي وزملائه³ تمت مقارنة ثلاثة طرق للتواصل مع الأطفال حاملي زراعة القوقعة (اللغة الإشارية والمحكية، السمعية-الشفهية، السمعية - اللفظية)، وتأثيرها في نتائج الزرع المفردات الاستقبالية، فهم المسموع، والتعبير. أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجات اللغة عبر المجموعات الثلاث من الأطفال، عندما تم حساب آثار المتغيرات المشتركة المحتملة في التحليلات. لكن بالنسبة للمفردات الاستقبالية أظهرت النتائج أن أكثر من نصف عينة الدراسة تحصلوا على نتائج مماثلة لأقرانهم السامعين، كما أشارت الدراسة إلى أن هناك نسبة من الأطفال حاملي زراعة القوقعة، ورغم استفادتهم المبكرة من التشخيص المبكر وزراعة القوقعة في سن مبكر إلا أنهم يتميزون بمستوى ضعيف من المفردات الاستقبالية.

كما نجد (Smith , Thomasen , Breinegaard, & Jensen)⁴ أشاروا إلى أن نمط التواصل الذي يستخدمه الأولياء في البيت يلعب دوراً مؤثراً في تطور اللغة لدى الأطفال حاملي زراعة القوقعة، حيث ارتبطت نتائج الاختبارات في هذه الدراسة بشكل كبير بنمط التواصل مقارنة بباقي العوامل، حيث يظهر أن الأطفال الذين تعرضوا للغة شفوية بعد الزرع من طرف الأولياء لديهم احتمالات أكبر بـ 100 ضعف من أطفال المجموعة التي تعرضت للغة الإشارة كما أضاف أصحاب الدراسة أنه وبالتدقيق في المعطيات نجد أن 74% من الأولياء استخدموا لغة الإشارة كنمط تواصل أساسي أو استخدموه كمدعم للتواصل اللفظي على الرغم من تمتع أبنائهم بقدرة سمع جيدة. إن ما توصلت إليه هذه الدراسة يؤكد أن طريقة التواصل اللفظي التي يستخدمها الأولياء مع الأطفال حاملي زراعة القوقعة تعزز من قدرتهم على اكتساب المفردات الاستقبالية والإنتاجية من حيث سرعة الاكتساب، و النوع.

¹Archbold , S., &O'Donoghue, G. **Cochlear implantation in children: current status.** *Paediatrics and Child Health*, 19(10), October 2009, p 458.

²Watson , L., Archbold , S., &Nikolopoulos , T. **Children's communication mode five years after cochlear implantation:changes over time according to age at implant.** *Cochlear Implants International*, 7(2), 2006, pp. 77-91.

³Yanbay, E., Hickson, L., Scarinc, N., Constantinescu, G., &Dettman, S. **Language outcomes for children with cochlear implants enrolled in different communication programs.** *Cochlear Implants International*, 15(3), 2014 , pp 121-135

⁴Smith , L., Thomasen , P., Breinegaard, N., & Jensen, J. **Parental mode of communication is essential for speech and language outcomes in cochlear implanted children.** *ActaOto-Laryngologica*, 130,2010 pp. 708-715.

من خلال نتائج دراستنا والدراسات السابقة يظهر أن تأثير نمط التواصل على المفردات الخاملة والنشطة واضح لدى فئة الأطفال حاملي زراعة القوقعة، ويرجع هذا إلى أن استخدام لغة الإشارة فقط تُبقي الطفل مُعتمداً على المدخل البصري في التواصل، وهذا يؤدي إلى عدم تطور الإدراك السمعي في البداية ثم تأخر قدرة التعرف على الكلمات، وبالتالي يبقى مستوى تطور المفردات الإنتاجية ضعيفاً لأن هناك ارتباطاً عضوياً بين المفردات الاستقبالية والإنتاجية

لقد توافقت نتائج دراستنا مع دراسة (Hayes, Geers, Treiman, & Moog)¹ حيث توصلوا إلى أن الأطفال الذين يستخدم معهم الأولياء التواصل الشفهي لمدة تتراوح بين 6 إلى 5 سنوات واستفادوا من زراعة القوقعة في سن أقل من 27 شهراً تحسّلوا على نتائج مفردات ضمن المدى المتوسط لأقرانهم العاديين، وهذا ما يؤكد على الدور الهام الذي يلعبه استخدام الوالدين للتواصل الشفهي في تطور المفردات عند الأطفال حاملي زراعة القوقعة .

خاتمة :

اهتمت هذه الدراسة بتأثير عامل نمط التواصل على المفردات الخاملة و النشطة لدى عينة من الأطفال حاملي زراعة القوقعة بلغ عددهم 30 فرداً، وقد توصلنا إلى وجود فروق دالة إحصائية بين الأطفال الذين يستخدم معهم الأولياء طريقة التواصل الإشاري و الذين يُستخدم معهم طريقة التواصل الشفهي، و هذا ما يبين أهمية نمط التواصل في مساعد الأطفال حاملي زراعة القوقعة على اكتساب اللغة، حيث أن التواصل اللفظي يجعل من الطفل قادراً على اللحاق بركب أقرانه العاديين وهذا ما يسهل عليه الاندماج في عالم الناطقين.

قائمة المراجع:

- 1- Denoyelle, F., Loundon, N., & I Garabédian, E.-N.. **Implants cochléaires de l'enfant: technique et expérience de l'Hôpital Armand-Trousseau**. e-mémoires de l'Académie Nationale de Chirurgie, 2002 1(4), 55-57.
- 2- Kant, A., & al. **Acoustic Analysis of Speech of Cochlear Implantees and Its Implications**. Clinical and Experimental Otorhinolaryngology, April 2012, Vol 5, Suppl 1: S14-S18
- 3- Connor, C., Hieber, S., Arts, H., & Zwolan, T.. **Speech, Vocabulary, and the Education of Children Using Cochlear Implants: Oral or Total Communication?**, Journal of Speech, Language, and Hearing Research, 43, October 2000, pp. 1185–1204.
- 4- Coppens, K., Tellings, A., van der Veld, W., Schreuder, R., & Verhoeven, L. **Vocabulary development in children with hearing loss: The role of child, family, and educational variables**. Research in Developmental Disabilities, 33, 2012, pp. 119–128.
- 5- Geers, A., Moog, J., Biedenstein, J., Brenner, C., & Hayes, H. **Spoken language scores of children using cochlear implants compared with hearing age-mates at school entry**. Journal of Deaf Studies and Deaf Education, 14, 2009, pp. 371–385.

¹ Hayes, H., Geers, A., Treiman, R., & Moog, J. S. **Receptive Vocabulary Development in Deaf Children with Cochlear Implants: Achievement in an Intensive Auditory-Oral Educational Setting**. Ear & Hearing, 30 (1), 2009, p 133.



- 6- Bavin, E. L., Sarant, J., Leigh, G., Prendergast, L., Busby, P., & Peterson, C. Children with cochlear implants in infancy: predictors of early vocabulary. *International journal of language and communication disorders*, 0(00), March 2018, pp. 1-11
- 7- Fayad, J., Linthicum, F. H., Otto, S. R., Galey, F. R., & House, W. F. **Cochlear implants: histopathologic findings related to performance in 16 human temporal bones.** *Ann Otol Rhinol Laryngol*, 100(10), October 1991, p 808
- 8- Loundon, N., & Busquet, D. **Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique.** Paris: Flammarion, 2009, p 31.
- 9- Bouchard, E. M., Oullet, C., & Cohen, H. **speech development in prelingually deaf children with cochlear implants.** *language and linguistics compass*, 3(1), February 2009, p4
- 10- Owens, D., Espeso, A., Hayes, J., & Williams, R. **Cochlear implants: Referral, selection and rehabilitation.** *Current Paediatrics*, 16, 2006, p 362.
- 11- Archbold, S., & O'Donoghue, G. **Cochlear implantation in children: current status.** *Paediatrics and Child Health*, 19(10), October 2009, p 458.
- 12- Watson, L., Archbold, S., & Nikolopoulos, T. **Children's communication mode five years after cochlear implantation: changes over time according to age at implant.** *Cochlear Implants International*, 7(2), 2006, pp. 77-91.
- 13- Yanbay, E., Hickson, L., Scarinc, N., Constantinescu, G., & Dettman, S. **Language outcomes for children with cochlear implants enrolled in different communication programs.** *Cochlear Implants International*, 15(3), 2014, pp 121-135
- 14- Smith, L., Thomasen, P., Breinegaard, N., & Jensen, J. **Parental mode of communication is essential for speech and language outcomes in cochlear implanted children.** *Acta Oto-Laryngologica*, 130, 2010 pp. 708-715.
- 15- Hayes, H., Geers, A., Treiman, R., & Moog, J. S. **Receptive Vocabulary Development in Deaf Children with Cochlear Implants: Achievement in an Intensive Auditory-Oral Educational Setting.** *Ear & Hearing*, 30 (1), 2009, p 133.

عناصر تأسيس مجتمع المعلومات : دراسة تحليلية بنيوية

د.محمد طوالبية/جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر

ملخص :

مجتمع المعلومات ليس مصطلحا جديدا، ومعناه متداول منذ القدم على أنه الفئات الاجتماعية القائمة على صناعة المعلومة ونشرها وتخزينها، واسترجاعها عند الحاجة إليها، لكن عندما تكون المعلومة موردا اقتصاديا فإن هذا المفهوم سيتغير، وأثاره ستكون مختلفة تماما. ثم إن المعلومة ليست هي المعرفة، ومجتمع المعلومات ليس هو مجتمع المعرفة وإنما هو مرحلة مهمة من مراحل نشوئه، يرى دافيد باودن **David Bawden** أستاذ علم المعلومات في جامعة لندن أن المعلومات هي نتاج بيانات خام لا تحتاج في إدارتها إلا لبعض النظم والإجراءات البسيطة، بينما تحتاج المعرفة إلى جملة من السياسات العامة لإدارتها. إن المجتمعات التي لا تنتج المعرفة لا تدخل ضمن المفهوم الواسع لمجتمع المعلومات وإن كانت تتداولها وتستخدمها، وكذا الأمر بالنسبة لمجتمع المعرفة.

الكلمات الدالة: مجتمع المعلومات، الانترنت، المجتمع الافتراضي، الفضاء الإلكتروني، العالم الثاني، المعرفة، المعلومات، التعليم الإلكتروني.

Abstract :

The information society is not a new term, it has been used for decades with the meaning that different social groups create, publish, save and retrieve the information when needed, but when the information become an economic resource, this concept will be totally different, and its effects as well. Information is not knowledge, and the information society is not the knowledge society, but it remains as an important stage of its development.

David Bawden, professor of information science at the university of London, believes that information is result of raw data which needs to be managed by some simple systems and procedures, but knowledge needs some general policies for its management.

Societies that do not create knowledge are not considered by the broader concept of information society even if they use it, and the same thing for the knowledge society.

Keywords: Information Society, Internet, Virtual Society, Electronic Space, Second World, Knowledge, Information, E-Learning.

مقدمة :

أصبحنا نتعامل مع مفاهيم جديدة لم تكن موجودة من قبل، وجاء هذا نتيجة لما أحدثته التطورات التكنولوجية الهائلة في شتى مجالات الحياة، لتنتهي إلى بروز مجتمع جديد مختلف تماما عن مجتمعنا التقليدي، حيث أصبح فيه الإنسان والآلة قرينان يصعب فصلهما، وهو ما يعرف بالمجتمع الرقمي أو مجتمع المعلومات. ظهر هذا المجتمع حسب ميلفن توفلر مع مرحلة مجتمع ما بعد الصناعي، أي من ستينات إلى تسعينات القرن الماضي، من خلال التحولات التي أحدثتها التكنولوجيا وهي المرحلة التي اعتمد المجتمع فيها على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل أساسي. تعد المعلومة في هذه المرحلة قوام المجتمع¹، لأن المعلومات سيطرت على مختلف مجالات الحياة بسبب بروز صناعة المعلومات واعتبارها الركيزة الأساسية لبناء اقتصاد قوي. ومن مظاهر هذه السيطرة حجم الاستثمارات الهائل في تقنيات الحاسب الآلي والاتصالات والالكترونيات، والاستخدام المتنامي للمعلومات بين أفراد المجتمع، وقد أدت هذه المظاهر إلى انتشار توجهات إلكترونية عديدة كالتجارة الإلكترونية وكذا التشريعات والحكومة الإلكترونية، والمهن والوظائف الإلكترونية والمكتبات الإلكترونية.. إلخ.²

وكان من نتاج ثورة المعلومات والاتصالات سيادة مجتمع المعلومات ثم بعده مجتمع المعرفة، إذ أصبح الانتقال من المعرفة العلمية إلى تطبيقاتها التكنولوجية أمر أكثر سهولة بزمان أقل وبمردودية اقتصادية أعلى، فضلاً عن الاندماج بين تكنولوجيا معالجة المعلومات وثورة الاتصالات الرقمية وتطبيقاتها.³ ما أدى إلى تحول مجتمع المعلومات إلى مجتمع يتصف بالشمولية المعرفية التي تتناول الأبعاد العلمية والإنسانية للمعرفة واستيعابها، ثم إنتاجها والاستفادة منها ونشرها وتطبيقها، وبذلك يصبح المجتمع ملماً بالمعرفة من جميع الجوانب وهذا ما يطلق عليه، مجتمع المعرفة.⁴

إذن القوة في القرن الحادي والعشرين سوف تكمن ليس في المعايير الاقتصادية أو العسكرية التقليدية ولكن في العنصر المعرفي المعرفة العلمية، وعكس الموارد الاقتصادية والعسكرية فإن المعرفة لا حدود لها ولا تنضب، فالمعرفة هي الأكثر ديمقراطية بين مصادر القوة لأنها تبقى في متناول الجميع أغنياء كانوا أم فقراء حسب تعبير توفلر.

فإذا كانت حضارة الموجة الثانية قد ولدت طبقة البروليتاريا، فإن حضارة الموجة الثالث هي على وشك أن تنتج طبقة أهل المعرفة وهي قوة ناعمة تتمثل في جماعة مؤسسة على المعرفة واستعمال العقل بدلاً من القوة الصلبة، وتملك معرفة منظمة وخيالاً علمياً راقياً وصفات ثقافية معقدة، كما تملك الوسائل المولدة للمزيد من المعلومات أشبه ما تكون بالموارد الأولية الأساسية، أو أشبه بحقيقة أدوات عقلية تستخدم على طاولة المفاوضات بأوراقها الرابحة التي لم تملكته البروليتاريا في أي وقت⁵. ولهذا السبب أصبحت المعرفة محوراً للتنافس يتجاوز أسباب تنافس القرون الماضية من أجل السيطرة على المواد الخام التي تحتاج إليها لقيام اقتصادياتها الصناعية، بل أصبحت المعلومات أكثر الموارد الخام أساسية والتي قد تدور حولها حروب المستقبل.

إن المجتمعات القادرة على تحويل المعرفة إلى منتجات مفيدة تبتعد باستمرار عن المجتمعات العاجزة عن ذلك، الأمر الذي أدى إلى ظهور فجوة هائلة بينهما تسمى الفجوة المعرفية، وقد سيطرت هذه الفجوة المتسعة على مقدرات وخبرات وخامات

¹ ألفن توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة: عصام الشيخ قاسم (ليبيا: الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، 1990)، ص 28.

² سالم بن محمد السالم، صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية، ط 2، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية 2010، ص 5758.

³ عبد الرحمان عبد السلام جامل، "محمد عبد الرزاق إبراهيم ويح"، التعليم الإلكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة" مداخلة قدمت إلى: المؤتمر الدولي الأول حول التعليم الإلكتروني، 17 19 أبريل 2006، ص 04.

⁴ سالم بن محمد السالم، مرجع سبق ذكره، ص 66.

⁵ بتول رضا عباس، حاضر العالم ومستقبلنا: دراسة في حضارة الموجة الثالثة لألفن توفلر عمان: دار دجلة، 2010 ص 93.

الأمم الضعيفة لأنها لا تمتلك المعرفة الكافية لتحويلها إلى منتجات مفيدة. ما أدى إلى اختلال علاقات القوى بين الأمم، وبالتالي ظهور أنماط جديدة من الاستعمار والامبريالية وأشكال جديدة من العلاقات الدولية. وارتبطت المجتمعات التي لم تستطع إنتاج المعرفة بحالة الفقر المزمن.

ولهذا تسعى الدول إلى امتلاك آليات إنتاج المعرفة العلمية، فالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والصين واليابان ينفقون أكثر من 90% من مجموع الإنفاق العالمي في الاستثمار في أنشطة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ومن المرجح جداً أن يستمر تنامي الإنفاق العالمي على البحث والتطوير بوتيرة 7% في السنة، مع مشاركة المزيد من الأمم في نادي المعرفة، والتزام بلد ما بالبحث العلمي يعني في منطق التفكير الحديث التزامه بالرغبة في البقاء في الوجود ورفضه التبعية¹.

تبحث هذه الدراسة في مكونات مجتمع المعلومات التي نرى أنها ثلاثة عناصر أساسية إضافة إلى عناصر أخرى ناتجة عنها هي: المعلومات، الأنترنت، الأنترنيتيون، المعرفة، الفضاء. وعليه فإن إشكاليتنا ستستأصل عن طبيعة العلاقات الموجودة بين هذه العناصر، وكيف هي طبيعة مجتمع المعلومات؟ وعليه يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الدراسات البنيوية التي تسعى إلى تشريح المفهوم من أجل معرفة طبيعة العلاقات بين عناصره، وهنا تكمن أهميتها وقيمتها العلمية. نحن نعتقد أن مجتمع المعلومات مفهوم قديم، وأن تقسيم تاريخ تطور البشرية إلى ثلاثة مراحل كبرى هي المجتمعات الزراعية ثم الصناعية ثم المعرفية عبث فكري، لذا سنفترض أن الإنترنت هو العنصر الأساسي في سيادة هذا المجتمع على باقي المجتمعات وليس سبباً في ظهوره. سنعتمد على المنهج الوصفي لمعالجة هذه العناصر وهو منهج يتماشى مع طبيعة إشكالية الدراسة، تتشكل هذه الدراسة من مقدمة وأربعة نقاط أساسية تأخذ صفة الفصول البحثية، وهذه النقاط هي ذاتها العناصر المكونة لهذا المفهوم. وعليه تكون منهجيتنا كالآتي: أولاً في مفهوم مجتمع المعلومات، ثانياً تشريح المفهوم 1/ المعلومات والمعارف علاقة تكامل، 2/ الأنترنت.. الوسيلة التي أوجدت المجتمع الافتراضي، 3/ الفضاء الإلكتروني والحياة في العالم الثاني. وسنخصص الخاتمة للحديث عن سلبيات مجتمع المعلومات.

التعريفات الإجرائية

1/ مجتمع المعلومات مجتمع المعلومات على المستوى الافتراضي.

2/ المعرفة المعرفة العلمية التي تنتجها مخابر البحث.

3/ المعلومات المعلومات المرتبطة بالمعرفة العلمية التي تعمل على اتخاذ القرارات الحاسمة.

أولاً في مفهوم مجتمع المعلومات

لم يتبلور تعريف واضح لمصطلح مجتمع المعلومات إلى غاية انعقاد القمة العالمية لمجتمع المعلومات، في جينيف ديسمبر عام 2003 وشاركت فيه 77 دولة. وكانت من مهام القمة وضع تعريف يقود إلى صياغة رؤية عالمية مشتركة لمجتمع المعلومات. حددت القمة مجتمع المعلومات بأنه: مجتمع يستطيع كل فرد فيه استحداث المعلومات أو المعارف والنفاذ إليها، واستخدامها وتقاسمها، بحيث يمكن الأفراد والمجتمعات، والشعوب من تسخير كامل إمكاناتهم في النهوض بتنميتهم المستدامة، وفي تحسين مستوى معيشتهم². إن ربط مفهوم هذا المجتمع بالتنمية المستدامة والاقتصاد يعني الحفاظ على نفس البنية الاجتماعية

¹ أنطوان زحلان، العلم والسيادة التوقعات والإمكانات في البلدان العربية، تر: حسن الشريف بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012، ص 33.

² محمد حمدي، الواقع الحالي لتوظيف تكنولوجيا المعلومات في العالم العربي، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 03، 2005، ص: 74.

التقليدية مع تغيير نمط وسائل الإنتاج ومخرجاته فقط. وعليه يمكن القول بأن هذا مجتمع يقوم على تكنولوجيا المعلومات والاتصال كوسائل إنتاج وتداول، وعلى تدفق المعلومات والمعارف، وتبادلها باعتبارها موارد أولية، ولعل الفكرة الأساسية التي يُبنى عليها هذا المجتمع هي إنتاج المعلومة وتخزينها واستردادها في الوقت المناسب. فالمعلومة هي المتحكم الأساسي في هذا المجتمع الجديد، وهي التي تساوي في مجتمعنا التقليدي قيمة الثروات الطبيعية المادية.

إن التطورات السريعة التي يعرفها مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال وإنتاج المعلومات شكلت العوامل المباشرة لولادة هذا المجتمع. إن امتداد شبكة الاتصالات إلى كل أقطار العالم عبر انتشار وسائل الاتصال الحديثة، سمح بإتاحة المعلومات لكافة الشعوب، وبالتالي تحول العالم إلى قرية إلكترونية كونية صغيرة، يمكن تسميتها بمجتمع المعلومات. لقد قدم مارشال ماكلوهان في كتابه الوسط هو الرسالة The Medium Is The Message، أهم مصطلحات ومفاهيم العصر الإلكتروني الجديد في ما يتعلق بالطفرة المعلوماتية، وحدد أبعاد مرحلة ما بعد الحداثة في آفاق شبكة الحواسيب، التي ستنشر في مختلف بقاع المعمورة. هذه القفزة الحديثة نقلت الإنسان من العيش في عصر إلكتروني تقليدي، إلى العيش في عصر إلكتروني حديث. دخل الإنسان عصر المعلومات منذ العقود الخمسة الأخيرة، غير أن ما أنت به الإنترنت من إمكانية التفاعل الهائل بين البشر هو الذي سمح لنا بالحديث عن مجتمع معلومات فريد من نوعه¹.

وأوضح المفكر الأمريكي ألفن توفلر أن ملامح هذا المجتمع قد بدأت تظهر عام 1956، عندما تجاوز عدد العاملين في قطاع الإعلام كل عدد العاملين في كل القطاعات الإنتاجية الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها². يشكل هذا التحول العناصر المادية التي يتألف منها بنية المجتمع الرقمي المعتمد على المعلومة. يعد هذا المجتمع مظهراً لهيكل اجتماعية من نوع جديد، برزت بوصفها نتيجة حتمية لمتطلبات تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وبأشهر هذا الكيان الاجتماعي الجديد بالنفوذ بصورة تدريجية إلى كيان المجتمعات المعاصرة، وبمستويات تعتمد إلى حد كبير، على حجم سيادة توظيف أدوات الاتصال والمعلومات فيها. إن احتواء الفضاء المعلوماتي كل المجتمعات التقليدية، وبجميع تفاصيلها قد أفرز مفهوم الشبكات الاجتماعية التي تسري خلالها كافة أنماط الاتصال³. وها نحن اليوم بعد الانتشار الواسع لخدمات الإنترنت في كل أرجاء العالم، أعضاء فاعلين في المجتمع الرقمي الجديد سواء وعين بذلك أم لم نَع، لقد باتت عبارة مجتمع المعلومات مألوفاً على ألسنة الكثيرين، وأصبح للمعلومات التي نتداولها بيننا وبيننا ووقع على مسامعنا، وأضحت عباراتنا تحمل في جوفها الكثير من المعاني الشائكة، وأمسى مجتمع المعلومات هدفاً تسعى إلى دخوله مختلف الدول في نطاق العولمة الجديدة.

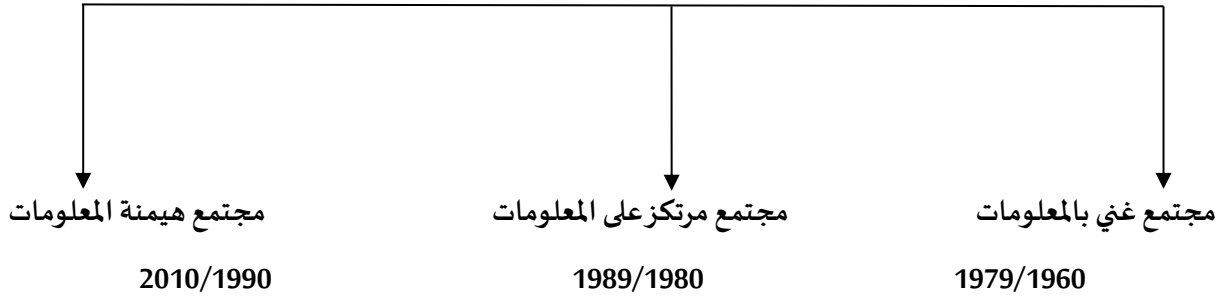
1/ مراحل تشكل مجتمع المعلومات

يمثل مجتمع المعلومات المرحلة الرابعة من مراحل تطور البشرية، حيث تشكلت مع انتشار تكنولوجيا الإعلام والمعلومات، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المجتمع المعلوماتي. إن رسوخ تقنيات الاتصال والإلكترونيات في الحياة الاجتماعية، قد ساهم في إحداث ثورة مفاهيمية في كثير من الأنساق المعرفية التي استوطنت العصر الحديث. ويمكن إجمال المراحل التي أسست لمجتمع المعلومات، بثلاث مراحل جوهرية:

¹ محمد علي رحومة، الإنترنت والمنظومة التكنولوجية، ط1 لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005 ص: 217.

² محمد لعقاب، المواطن الرقمي، ط2 الجزائر دار هومة، 2013 ص: 27.

³ حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، ط1 لبنان مركز دراسات الوحدة العربية، 2008 ص: 244.



كانت المرحلة الأولى الحاضنة التي تأسست فيها البذرة الأولى لمجتمع مستحدث، ساهمت فيما بعد في بزوغ مجتمع المعلوماتية. وبرزت المرحلة الثانية نتيجة للتزايد المضطرد في حجم المعلومات، والتطور الهائل في تقنياتها، وآليات توظيفها المتعددة، وتعد العولمة الحجر الأساس الذي استندت إليه هذه المرحلة بعد أن زالت الحدود الجغرافية، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام نقل المعلومات، وتداولها في جميع بقاع الأرض التي تضاءلت حدودها فتحوّلت إلى قرية إلكترونية صغيرة. وبعد أن انطوى عقد التسعينات، وبدأت الألفية الجديدة برزت المرحلة الثالثة حيث أصبحت عملية إنتاج المعلومات ووسائطها المتعددة، ونقلها، واستخداماتها المتعددة، رائدة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والصناعية في المجتمع، وبات التعامل معها بوصفها منتجا قائما بذاته، أو خدمة تساهم في عملية إنتاجية أو استهلاكية للمواد التي ينتجها المجتمع.¹

لقد تم تعريف الجيل الأول من مجتمع المعلومات بأنه مفرط في استعمال تقنيات المعلومات والاتصال في مختلف الأنشطة البشرية ويعتمد على نسبة عالية من التشابك ضمن بنية تحتية متطورة. أما الجيل الثاني فهو يتعد المستوى التقني إلى تشييد مجتمع مبدع من خلال التفاعل الشبكي، ويهدف هذا الجيل إلى المزج بين العوامل التقنية والعوامل البشرية والفكرية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. وهكذا أصبح مجتمع المعلومات هدفاً استراتيجياً لعدد من البلدان في نطاق العولمة الجديدة، معتبرة أن التحكم وحده في التقنيات الجديدة للمعلومات والاتصال كفيل بتحقيق النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي والإشعاع الثقافي.²

2/ خصائص مجتمع المعلومات

بعد تبلور مجتمع جديد غير الذي ألفناه، تُشكّل المعلومات عصب الحياة فيه، بدأت معالم أساسية للبنية التحتية لهذا المجتمع الجديد تتحدد، ما جعل مجموعة من الخصائص التي تميزه عن مجتمعنا التقليدي تبرز بشكل واضح، ويمكن تصنيف هذه الخصائص إلى فئتين؛ سنسعي الفئة الأولى للخصائص الوظيفية لمجتمع المعلومات، ونجمالها في ثلاث خصائص أساسية:

1/ استخدام المعلومات كمورد اقتصادي، حيث تعمل المؤسسات على استخدام المعلومات في زيادة كفاءتها، وفي الابتكار، وفي زيادة فعاليتها التنافسية.

2/ الاستخدام المتنامي للمعلومات بين الجمهور العام، فالناس يستخدمون المعلومات في أنشطتهم كمستهلكين، وكمواطنين لممارسة حقوقهم ومسؤولياتهم، فضلاً عن إنشاء نظم معلومات، توسع في منح التعليم لكافة أفراد المجتمع.

¹ حسن مظفر الرزق، مرجع سبق ذكره، ص: 246.

² محمد بن أحمد، مجتمع المعلومات من المنشود إلى الموجود، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 03، ص: 65.

3/ ظهور قطاع مهم من قطاعات الاقتصاد، وهو قطاع المعلومات، حيث أصبح إنتاج المعلومات وتجهيزها وتوزيعها نشاطا اقتصاديا رئيسيا في العديد من الدول.¹

أما الفئة الثانية فنسميها الخصائص البنيوية لمجتمع المعلومات:

1/ السعة الاستيعابية المفتوحة أي له القدرة على ضم أي مستخدم أو حاسوب شخصي موجود في العالم. ويميل مجتمع المعلومات إلى جعل فضائه الرقمي إطارا شاملا يستوعب كافة أنشطة الاتصالات الدائرة في بيئته، بحيث لا يفتقر أي مستخدم فيه إلى أية أداة اتصال تقع خارج نطاق سلطته التقنية.

2/ السمة المفتوحة يمتاز الفضاء المعلوماتي بأنه مفتوح أمام ورود أي مجهز للخدمات الرقمية دون وجود أي محددات، وبتكلفة منخفضة عند مقارنتها مع الكلفة المطلوبة لتنفيذ النشاط نفسه على أرض المجتمع التقليدي، وتضفي هذه السمة على المجتمع الرقمي خاصية تعدد الاختصاصات في بيئة متنوعة، مع توافر فرص كبيرة للاستثمار تقع خارج قدرة المؤسسة الصغيرة.

3/ غياب المركزية يميل مجتمع المعلومات إلى إزالة جميع أشكال الامتيازات الفردية التقنية أو التنظيمية من داخل كيانه، كي يكون قادرا على التكيف مع متطلبات السمة المفتوحة السائدة في كيانه، ويضمن إغلاق جميع الأبواب أمام نقاط الاختناق التي تنتج بسبب وجود سلطة فردية، تقف عائقا أمام سريان الأنشطة اللامركزية. إن تغييب السلطة المركزية سيجعل التقنية الرقمية قادرة على تبني أنماط جديدة تتلائم مع خاصية الابتكار في مجتمع يمر بحالات تغيير سريعة وحاسمة.

4/ السريان الدائم يوفر الفضاء المعلوماتي بيئة تسمح للبيانات والكائنات المعلوماتية بالانتقال بين المستخدمين، وبين الآلات والأدوات الرقمية المختلفة، بصورة دائمة، وتعد سمة السريان الدائم صفة ملازمة لكل من السمة المفتوحة وغياب المركزية حيث تتدفق البيانات والمعلومات بصورة مستمرة في الشبكات الموجودة ضمن مجتمع المعلومات، كما يمكن تبادل الخدمات مع مستخدمين آخرين في الشبكة ذاتها أو في شبكات أخرى.

5/ اللأمن إن تميميع الحدود المكانية، وسيادة الفضاء المفتوح مع غياب مركزية تمسك بزمام أركان السلطة داخل كيان الفضاء المعلوماتي، جعل المجتمع أكثر عرضة للتهديدات المعلوماتية. يضاف إلى ذلك أن وجود ثغرات أمنية نتيجة لتنامي خبرات المستخدمين، وتقدم التقنيات الرقمية بسرعة كبيرة تساهم بتعميق المخاطر المحتملة لانتهيار هذا المجتمع.²

3/ مجتمع المعلومات والتعليم الإلكتروني

ترتبط المعلومات بالأنظمة التعليمية ارتباطا عضويا، فلا يمكن أن يقوم تعليم بدون معلومات، لقد أدى توظيف تكنولوجيايات الاتصال والمعلومات في مجال التعليم إلى ظهور التعليم الافتراضي، التعليم عن بعد، والتعليم الإلكتروني، وأدى استخدام الحاسوب في التعليم إلى التواصل عن بعد مع مناهج دراسية كاملة، والأهم من هذا إلى استقلال ذاتي في اكتساب المعارف، وإلى مرونة أكبر في إدارة التعليم. وهذا ما ميّزه عن التعليم التقليدي الرسمي القائم على عنصري المكان والزمان. ومن خصائصه أن الإنترنت تعتبر وسيطا مثاليا للتعلم الذاتي، وهذا ما سمح للتكنولوجيا الجديدة بتغيير طريقة تواصلنا مع الآخرين، فلم يعد الحضور الشخصي للمعلم والمتعلم في نفس الوضعية ضروريا لقيام الأنشطة التعليمية والبحثية.³ فشبكة المعلومات تقدم

¹ محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية و التطبيق، ط1 مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2007، ص:59.

² حسن مظفر الرزو، مرجع سبق ذكره، ص 249.

د فضيل دليو، التكنولوجيا الجديدة للإعلام و الاتصال، ط1 عمان: دار الثقافة، 2010، ص: 121.

خدمات غاية في الأهمية للجامعات والمدارس ومراكز الأبحاث، حيث يتم نقل وتبادل المعلومات ونشر الأبحاث العلمية بسهولة فائقة، كما يستطيع الباحث الحصول على المعلومات من مراكز المعلومات بسرعة هائلة.¹

ثانيا/ تشريح المفهوم

1/ المعلومات والمعارف علاقة تكامل

أ/ مصدر المعلومات

هي مجموعة من الأفكار أو القيم أو الأحكام الناتجة عن مادة أولية خام تسمى البيانات، تمثل هذه البيانات الأشياء الموجودة في الواقع أو العالم ندركمها بحواسنا، أو نجتمعها من الميدان أو نستخرجها من الأفراد والجماعات عن طريق أدوات البحث، ثم بعد معالجتها تتحول إلى معلومات قابلة للتداول والاستهلاك العام، ويقتضي هذا الأمر وجود نظام معالجة بحيث تمثل البيانات مدخلاته والمعلومات مخرجاته. وبالتالي يمكن تعريف البيانات بأنها مواد أو حقائق خام أولية تجمع بناء على ما يحصل من أفعال وأحداث، وليس لها قيمة بشكلها الأولي إلا بعد معالجتها وتحولها إلى معلومات.² فما هي المعلومات إذن؟

لغةً المعلومة مشتقة من عَلَمَ، وهي الوعي والإدراك الذي ينتهي إلى معرفة شيء ما، وتعرفها الموسوعة البريطانية بأنها الحقائق والأفكار التي يتبادلها الناس في حياتهم العامة، وذلك عبر وسائل الاتصال ونظم المعلومات المختلفة في المجتمع.³ فالمعلومات الناتجة عن معالجة⁴ البيانات تعد حقائق يقينية يمكن أن تؤسس لعقائد وتوجهات وقيم اجتماعية، ويشترط تعريف الموسوعة البريطانية ضمناً جملة من الشروط لقيام المعلومة بالوظائف المشار إليها، أهمها أن تكون المعلومة بعيدة عن الأخطاء ومستندة إلى الحقائق، وبسيطة ومفهومة، وشاملة وملائمة لما أُسست له.⁵ إذن المعلومات هي مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تمكن الإنسان من فهم ذاته والعالم، هذا الفهم الذي سيشكل فيما بعد ما يسمى بالمعرفة.

تحتاج المعلومات لكي تصبح مهياًة للاستعمال إلى عدة بمراحل؛ الأولى؛ الحاجة إلى التعبير عن الأشياء، الثانية؛ تجميع البيانات من خلال وضع مخطط بحث، الثالثة؛ التقويم أي التحليل واستنتاج المعلومات.⁶

ب/ أصل المعرفة

على مستوى اللغة ورد في معجم متن اللغة أن المعرفة مصدر للفعل عَرَفَ، يَعْرِفُ، عَرَفَاناً، ومعرفة الشيء إدراكه بحاسة من الحواس⁷، وفي معجم الوسيط عَرَفَ يعرف معرفة وعرفاناً، عرفه عَلِمَهُ⁸ ويعرفها معجم المنجد للغة العربية المعاصرة بأنها ما يتكون في الذهن من إدراك الشيء، وهو يعبر عن فهمنا للحقيقة.⁹ تقابل لفظة معرفة في اللغة الإنجليزية كلمة Knowledge

محمد النوبي محمد علي، إدمان الإنترنت في عصر العولمة، ط1 عمان: دار صفاء للنشر و التوزيع، 2010 ص: 59.¹

² العبيدي هديل شوكن، "من البيانات إلى الحكمة بإتجاه إدارة المعرفة"، أنظر في: <http://www.informaticsgovsa/modules.php>

³ عبد الرحمان بن عنتر، "دور المعلومة الصناعية في تطوير المؤسسات وتحقيق الميزة التنافسية"، ندوة حول تطوير قطاع المعلومات الصناعية في الدول العربية الجزائر: 0406 ديسمبر 2012، ص02.

⁴ معالجة البيانات هي عملية تحليلية تستخلص ما تتضمنه البيانات من علاقات بين العناصر المكونة للأشياء.

⁵ ثابت عبد الرحمن إدريس، نظام المعلومات الإدارية في المنظمات المعاصرة الإسكندرية: الدار الجامعية، 2005، ص 80 81.

⁶ عبد الرحمان بن عنتر، مرجع سبق ذكره، ص 0910.

⁷ رضا أحمد، "معجم متن اللغة"، موسوعة لغوية حديثة، مج 04 بيروت: دار مكتبة الحياة، 1960، ص 78.

⁸ مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد حسن، وآخرون، المعجم الوسيط، ج13 إسطنبول: المكتبة الإسلامية، 1989، ص595.

⁹ المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2 بيروت: دار المشرق، 2001، ص 967.

وهي مشتقة من اللاتينية وتعني علم ودراسة وخبرة.¹ عرّف قاموس Oxford لفظة knowledge بأنها: الحقائق والفهم والمهارات التي اكتسبها الإنسان من خلال الخبرة والتعلم.² أما في اللغة الفرنسية فيُعبّر عن المعرفة بلفظي savoir و connaissance ويشيران إلى علم، دراية، تحصيل، والملاحظ أنهما يعبران عن المعرفة بنفس المعنى ودليل ذلك استخدام إحدى الكلمتين في شرح الأخرى.³

أما إصلاً فقد اشتركت تعريفات كثيرة على أن المعرفة هي فهم المبادئ التي تقوم عليها الوقائع، ووعي الحقائق عن طريق المهارات المكتسبة من خلال التعلم والخبرة العلمية والعملية، إذن اكتساب المعرفة هو اكتساب الوقائع.⁴

نستنتج أن المعرفة هي نتاج المعلومات، أو هي حصيلة التفاعل اللطيف بين المعلومة والخبرة والمدرجات الحسية والقدرة على الحكم، إذ تتلقى المعلومات وتخزنها ثم نخرجها عند استثارة حواسنا، فنصدر حكماً على الشيء. فالمعلومات وسيط لاكتساب المعرفة ضمن وسائل عديدة كالحدس والتخمين والممارسة الفعلية والحكم.⁵ إذن المعرفة وفقاً لما سبق هي توظيف المعلومات المرتبطة بخبرة الإنسان في عملية عقلية تسمح له بإدراك وفهم عميق للواقع.

إذاً، يبدأ النموذج الهرمي للمعرفة بالبيانات الخام وغير المفصرة في القاعدة، ثم تتطور بعد المعالجة إلى المعلومات، ثم بعد تفاعل المعلومات مع الخبرة الحسية والقدرة على إصدار الأحكام تنتج المعرفة في قمة الهرم، أي أن المعرفة لا تتشكل إلا بعد استعمال المعلومات.⁶ نلاحظ في هذا النموذج أن المعرفة تتأسس من خلال اكتمال ثلاثة مستويات، معرفة أولية تتمثل في البيانات وهي لا تسمح بفهم الأشياء والوقائع، ثم معرفة منظمة وهي المعلومات وهي تعطي تصوراً بسيطاً عن الأشياء، ثم معرفة معمقة تجسدها المعرفة العلمية، وهذه هي التي تعطينا الفهم والوعي بالحقائق.

إذن المعرفة نتاج عمل إنساني واعي، متميز عن باقي مظاهر النشاط الفكري بعدد من الخصائص منها التراكمية والتنظيم والشمولية واليقين ومن أهم خصائصها البحث عن الأسباب، لأن التعليل يقصد إشباع رغبة الإنسان في البحث كما يعطيه القدرة على التحكم في الأشياء على نحو أفضل.⁷

تنقسم المعرفة إلى نوعين؛ صريحة وضمنية، الصريحة هي المعرفة الموجودة على شكل رموز قابلة للنقل والتعليم وتتمثل في الملكية الفكرية المحمية قانوناً مثل: براءات الاختراع، وحقوق النشر، والأسرار التجارية، والتصميمات الصناعية، كما يمكن أن نجدها مجسدة في منتجات الشركة وخدماتها وإجراءات العمل وخططها،... الخ.⁸ والمعرفة الضمنية هي المعرفة الذاتية المعبر عنها بالطرق الحدسية⁹، وهي شخصية وهناك صعوبات بالغة التعرف عليها لذلك فمن الصعب تناولها والمشاركة فيها، لأن

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج9 بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص 284.

² Oxford، Advanced learner s dictionary، 5th ed، London:oxford، 1995، P 655

³ Grand usuel lrousse، dictoinnaire encyclopédique، Paris: lrousse، 1997، p1717.

⁴ راند صابر لفته، مرجع سبق ذكره، ص 119.

⁵ سالم بن محمد سالم، مرجع سبق ذكره، ص 49.

⁶ سلطاني محمد رشدي، "المعارف الجماعية وأثرها على نشاط الإبداع في المؤسسة" أبحاث إقتصادية وإدارية، العدد 11، جوان 2012، جامعة بيسكرة، ص 136.

⁷ كمال منصور، عيسى خليفي، "اندماج إقتصاديات البلدان العربية في إقتصاد المعرفة: المقومات والعوائق"، مجلة إقتصاديات شمال إفريقيا العدد 04، الجزائر، جوان 2006، ص 51 52.

⁸ نبيلة جعيجع، حياة براهيمي، "إسهامات إدارة المعرفة في تحسين الأداء التنافسي وتطوير الكفاءات في منظمات الأعمال" مداخلة قدمت إلى: الملتقى الدولي حول: رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الإقتصاديات الحديثة، 1314 ديسمبر 2011، ص 09.

⁹ المرجع، نفسه، ص 10.

محلها العقل، وتتمثل في الخبرات والمواهب والقدرات الذهنية.¹ غير أنه لا ينبغي النظر إلى المعرفة الضمنية والصريحة على أنهما نوعان مختلفان، ذلك لأنه لا تتحقق المعرفة الصريحة إلا باستخدام المعرفة الضمنية، لذا فالمعرفة العلمية هي امتزاج المعرفة الضمنية مع المعارف الصريحة.

2/ الانترنت .. الوسيلة التي أوجدت المجتمع الافتراضي

أمسكت التكنولوجيا الحديثة بزمام الأمور في الحياة العصرية، وتغيرت بنية المعلومات بشدة على مدى السنوات العشرين الأخيرة، حيث أجمع الباحثون على أن انتشار الإنترنت من أهم التطورات التي شهدتها تكنولوجيايات الاتصال في القرن الماضي، وتعد الإنترنت النموذج المؤثر والفعال لثورة المعلومات، فلا أحد يجادل في أنها قضت على نجومية التلفزيون، فهي العنكبوت الذي نسج خيوطه ببراعة فائقة حول الكرة الأرضية. لقد أصبحت الإنترنت نافذة الإنسان التي يرى من خلالها واقعه، ويمارس فيها عن بعد معظم أنشطته العملية والذهنية. وقد وفرت تكنولوجيا المعلومات إمكانية مثيرة للقاء الثقافات. إن الفكرة وراء النجاح المذهل الذي حققته الإنترنت تكمن في أن التكنولوجيا لا تحقق أهدافها إلا إذا تفاعلت مع المجتمع، وأصبحت متاحة لجميع الفئات على اختلاف قدراتهم وهو ما حققته الإنترنت بشكل رائع ومذهل. هذه الشبكة التي سادت شبكات المعلومات لا لشيء سوى أنها تكفلت بمهمة الربط بين الشبكات المندرجة في إطارها. إنه بحق عصر يعلو فوق ما أقامه الآخرون بسد النقص وإقامة همزة الوصل.² إن الانترنت بهذه القدرات هي المسؤولة عن وجود العالم الافتراضي.

أ/ المفهوم السوسولوجي للإنترنت

يرى علماء الاجتماع أن المجتمع يتغير بصف أساسية بسبب استخدام تكنولوجيايات الاتصال والمعلومات. وضع عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بيل في كتابه المجتمع ما بعد الصناعي 1974 نظرية فسّرت نشأة نظام اجتماعي مختلف وجديد استجابة للتحويلات الحديثة في الاقتصاد والتكنولوجيا، واعتمدت النظرية على ثلاث متغيرات أساسية؛ 1/ القوى العاملة في مجال المعلومات؛ 2/ انسياب المعلومات العلمية بالخصوص؛ 3/ انتشار الحاسبات والتقنيات الحديثة.³ ويمكن القول أن أهم سمات هذا النظام الاجتماعي الجديد هي وحدة الثقافة رغم اختلاف الانتماء الاجتماعي. ويمكننا أن نفترض هنا بأن أعضاء المجتمع الواحد يشتركون في ثقافة واحدة، وبالتالي فالمجتمعات المختلفة تملك ثقافات مختلفة، مع الإقرار بقيام احتمال ضعيف بوجود مجتمعات مختلفة تتشارك في نفس الثقافة نتيجة تشابه الدين أو اللغة أو البيئة مثلا، لكن يمكن مجادلة هذا الاحتمال كما يمكن إبطاله، وعليه فإن المسألة تكمن فيما إذا وصفنا مستعملي شبكة الإنترنت بأنهم يمتلكون ثقافة واحدة، رغم انتمائهم إلى مجتمعات تقليدية مختلفة اختلافا شديدا. فلكي تكون لهم مثل هذه الثقافة فهم في حاجة إلى أن يكونوا مجتمعا واحدا له مقومات المجتمع التقليدي، وهذا غير ممكن في ظل الامتداد الواسع للإنترنت عبر العالم؟.

يمكن أن تُحل هذه القضية إذا نظرنا إلى الإنترنت كبنية عليا فوق المجتمع superstructure، ولكن مشكلة هذا المصطلح تكمن في أنه معقد ويعتمد على الكثير من المقومات، ومع هذا نقول أن نظرية ماركس التي تُعتبر القانون والسياسة مؤسسات اجتماعية مبنية فوق الاقتصاد في إطار البناء الاجتماعي يمكن أن تبرر لنا هذا المصطلح. وإذا اتفقنا على أن الإنترنت بنية فوق مجتمعية superstructure فإنه يمكن الاتفاق حول إمكانية وجود ثقافة واحدة لمجتمع افتراضي هو نفسه موجود فوق

¹ عبد الرحمن بن عنتر، مرجع سبق ذكره، ص 35.

² علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت: عالم المعرفة، 2001 ص: 73.

³ محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق، ط 1 مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2007 ص: 51/50.

المجتمعات التقليدية. ويمكن تبرير هذا الاتفاق بأنه يمكننا الحديث اليوم عن تطوير كيانات اجتماعية على الإنترنت، أو بمعنى أكثر دقة، إنشاء مجتمعات على الخط.

ب/ سيكولوجيا الإنترنتين.

لقد لعبت شبكة الإنترنت دورا كبيرا في العصر الحديث، حيث استطاعت أن تنقل المجتمع من مادي تقليدي إلى عالم افتراضي انصهرت فيه كل الحدود الزمنية والمكانية. هذا ما جعلها محور دراسات الباحثين الاجتماعيين والأخصائيين النفسانيين في سيكولوجية سكان هذا الفضاء الآلي الجديد.

هذا العالم الذي سعى فيه الشباب لتحقيق ذواتهم وإثباتها، وفي هذا الصدد يرى الباحثون أن الشعور الذاتي هو حالة وجدانية من المتعة والراحة يحصل عليها الفرد جراء تعرضه لوسيلة اتصال جماهيرية ما، يحاول المحافظة عليها لأطول وقت ممكن حتى بعد انتهاء الموقف الذي ولّدها.¹

إن حاجة الإنسان إلى الحلم، و رغبته الدائمة بالإقامة في عوالمه السحرية، بعيدا عن صلابة أرض الواقع التي تنهش أجسادنا، وتمزق أرواحنا نتيجة للعقبات التي نجدها أمامنا على أرضها الصلبة، ستكون عاملا حاسما باتجاه انحسار تواجد ذواتنا على أرض الواقع و اللجوء إلى الفضاء المتخيل، حيث يمكن تحقيق كل ما نصبو إليه من دون أن نقف أمامنا عوائق أو عقبات.

إن زيادة حجم امتداد الفضاء الرقمي في جل مفردات حياتنا المعاصرة، سوف تساهم في تشكيل دائرة وجود افتراضي تلف دائرة الوجود التقليدي، لتتحول الحياة اليومية إلى مفردة من مفردات وجود افتراضي شامل يستوعب جل مفردات حياتنا في المستقبل القريب.²

على مر العصور الغابرة وقبل آلاف السنين ترك الإنسان القديم بصمة تدل على وجوده في هذا الكون، ومع استحداث العصر والقفزة الانتقالية من المجتمع التقليدي إلى عالم افتراضي جديد، وعلى الرغم من الاختلافات بينهما إلا أن هذا لم يكن حاجزا يعرقل طريقه في الوصول إلى النهاية، الوصول إلى إثبات الذات الوجودية التي تمازج بين الحقيقة والخيال، في هيكلية عنكبوتية نسجت خيوطها على العالم فأتقنت النسيج.

لقد انطلق الباحث حسن مظفر الرزو من سؤال جوهري في تحديد معالم الوجود للإنسان في الفضاء المعلوماتي، إن السؤال المهم الذي يطرح نفسه علينا حول طبيعة الحضور الجسدي للمستخدم يدور حول كيفية تحديد ماهية الكينونة التي يوجد فيها الإنسان عند ولوجه في بيئة الفضاء المعلوماتي الافتراضية، بعد أن تعودنا في البيئة التقليدية التي نعيش فيها على عد جسمنا البشري موطننا للإدراك الفيزيائي الذي نتحسس بواسطته الأحاسيس و ندرك المدركات.

أما بالنسبة للفضاء المعلوماتي فإننا نعيش حالة جديدة من إعادة التوحد مع الذات و نبدأ باستخدام لغة مرئية جديدة تخاطب حواسنا بصورة مباشرة و بدون الحاجة إلى المجسمات الحسية التقليدية التي ألفنا توظيفها بالعالم الخارجي، و على هذا الأساس يمكن أن نتصور الجسد في ظل الفضاء المعلوماتي بوصفه نسقا مفاهيميا، أو على صورة متخيلة عقلية، أو وصفا صوريا Representation يشابه إلى حد كبير الصورة التي تصنع بها عقولنا تخوم الثقافة و المعرفة التي نتداولها في الحياة اليومية.³

حلمي خضر ساري، ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي، ط1 عمان: دار العلوم للنشر و التوزيع، 2005، ص: 125.

حسن مظفر الرزو، مرجع سبق ذكره، ص: 271.

حسن مظفر الرزو، مرجع سبق ذكره، ص: 272.

ولأن بيئة الفضاء الرقمي الافتراضي مختلفة في جوانب عديدة عن الفضاء الفيزيائي الذي نعيش فيه. عملت تقنية المعلومات في إدراج الرقمنة في بيئة المستخدمين الافتراضيين، كما ساهمت في إعادة تشكيل سمات البيئة الاجتماعية التي تضمهم.

ج/ سمات المجتمع الافتراضي:

حيث بين ذات الباحث بعض السمات الفريدة التي يتميز بها الفضاء الرقمي عن الفضاء التقليدي التي أدرجها كالتالي:

السمة الأولى: الأحاسيس المختزلة

إن طبيعة التفاعلات الحية التي توفرها بيئة الفضاء المعلوماتي تحمل معها تغييرات حاسمة على أنماط الاتصال القائمة بين الأفراد. ويتجلى هذا الأمر بوضوح في إعادة تشكيل معالم شخصية الآخر على الإنترنت من خلال ممارسة سلسلة من عمليات الاختزال على المظاهر التقليدية للشخصية الإنسانية. فتمارس عملية التغيير فعلها بتغيير الانفعالات التي نلاحظها على وجوه الغير، وجميع مفردات لغة الجسد التي تمنحنا فرصة أكبر لمعرفة ما يختلج في دخيلة نفس المتحدث معنا، ثم تعتمد على معالجة نبذة الصوت، فتنتج لنا أنماطاً جديدة من السمات السلوكية والعلاقات التي تجمعنا مع الآخر الذي يجلس قبالتنا ويتفاعل معنا عبر الوسط البيئي للإنترنت.

السمة الثانية: التواصل النصي

بدأ النص يؤدي دوراً جديداً في التعبير عن الأحاسيس التي تغزو أجسادنا عندما نتعامل مع الآخر بلا من اللغة المنطوقة، و لغة أعضاء الجسد التي تسعفنا عندما لا يسعفنا الكلام بعبارة تعبر عما يجيش في نفوسنا. وأصبحت الأدوات المعلوماتية السائدة في الإنترنت مثل: البريد الإلكتروني، والدرشة، والتخاطب الفوري نمطاً سائداً للاتصال بالغير عبر الفضاء المعلوماتي.

السمة الثالثة: مرونة الهوية

إن ظاهرة الاتصال وجهاً لوجه مع الآخر ستحمل معها آثاراً جانبية غير مسبوقه على مظاهر السلوك التي تعود الإنسان استخدامها للتعبير عن ذاته، وترسيخ هويته في ظل الفضاء المعلوماتي.

كما إن الاقتصار على الاتصال الرقمي مع الغير عبر النص المطبوع، سيجعلنا أسرى النص المدون عندما نحاول التعبير عن ذاتنا، و ما يجول في خواتمنا¹ بالمقابل فإننا نحاول الاتصال مع الآخر و نأمل أن نستوعب خطابنا الاتصالي معه بعد أن افترضنا قدرة نصوصنا على التعبير، و بلاغة خطابنا اللغوي الذي لم يعد له وجود في حقبة الأمية اللغوية التي تسود جل بلدان الأرض.

السمة الرابعة: الإدراك المعدل

إن الجلوس قبالة شاشة الحاسوب و التعامل بهدوء مع ما يدور في بنيتها الرسومية المفعمة بالأحداث يعد نمطاً جديداً من أنماط تعديل حالة الوعي لدى الإنسان فقراءة خطاب مفي البريد الإلكتروني، و ممارسة الدردشة الإلكترونية مع مستخدم يقبع في بلد بعيد، يورثنا الإحساس بمزيج غريب و غير مألوف من الأحاسيس التي تتداخل فيها عتبة شعورنا بالذات، و بذات الآخر الذي نديم الاتصال و الحوار معه.

حسن مظفر الرزوي، مرجع سبق ذكره، ص: 275¹.

إن ممارسة لعبة محوسبة، مفعمة بالكائنات المبتدعة، و بأشكال لم نألّفها سابقاً و مباشرة مجموعة من الأفعال التي لا تتطابق مع منطق الحياة اليومية، و زيادة عمق الوصف الرسومي للكائنات الرسومية المتحركة في بيئة الوسائط المتعددة، و زئير الأصوات المنطلقة من هنا و هناك، سيورثنا مزيداً من مستويات الالتفات بالوعي، و سيتطلب منا مباشرة أكثر من مرحلة من مراحل التحديث في مدركاتنا لكي ننجح بالتكيف مع البيئة المعلوماتية المثقلة بأشكالها المفعمة بالألوان، و الأصوات، و الحركات غير المتوقعة.

السمة الخامسة: الحالة المتساوية

يملك كل مستخدم للإنترنت فرصة سانحة و عادلة لممارسة ما يرد من أنشطة معلوماتية مع الآخر، و على هذا الأساس و بصرف النظر عن الحالة التي يتمتع بها المرء سواء أكانت ذات صلة بالعرق، أو الجنس، أو الغنى، أو ضيق العيش، و مهما كانت هويته الشخصية، فإن الفضاء المعلوماتي يوفر له فرصة خصبة لممارسة الفعل الذي يريده على تربته بعيداً عن المحددات الاجتماعية التي قد تشخص أمامنا على أرض الواقع الصلبة¹.

السمة السادسة: المكان المتعالي

يملك الفضاء المعلوماتي سمة مكانية متعالية تختلف كثيراً عن عنصري الزمان و المكان اللذين يحكمان قبضتهما على الواقع التقليدي الذي نقطن فيه.

فغياب التضاريس الجغرافية عن المشهد الذي نتعامل من خلاله مع الآخر، و عدم قدرتنا على تلمس أرض صلبة تطمئن إليها نفوسنا، و أبداننا، ستنشئ أحاسيس جديدة بسمة اللاتعین المكاني، و غياب صلتنا بالأرض التي طالما شاركتنا خبراتنا اليومية منذ عقود.

السمة السابعة: المرونة الزمانية

توفر الإنترنت فرصة الاتصال المتزامن Synchronous Communication الذي يعتمد مبدأ تحقيق الاتصال عبر الإنترنت بين أكثر من مستخدم في آن واحد أي في الزمان الحقيقي. و يشمل هذا النوع من الاتصال المشاركة في الدردشة، و استعراض المواقع.

من جهة أخرى تسري ضمن بيئة الإنترنت اتصالات غير متزامنة لا تتطلب حصول عملية الاتصالات الآني بين مستخدمين الشبكة مثل البريد الإلكتروني، و مجتمع الأخبار، و في كلتا الحالتين توفر لنا البيئة الافتراضية فرصة تأخير الإجابة على المسألة المطروحة لفترة زمنية أطول مما تتطلبه مخاطبة الآخر وجهاً لوجه من سرعة استجابة في الواقع الميداني.

السمة الثامنة: القدرات التسجيلية

إن السعات الاستيعابية الهائلة التي تتمتع بها وسائط خزن البيانات و استرجاعها، و توافرها التام مع الأدوات المعلوماتية المستخدمة على الشبكات المعلوماتية قد وفرت مناخاً خصباً يشجع المستخدم على الاحتفاظ بجميع تفاصيل حركته ضمن الفضاء المعلوماتي الفسيح.

و على عكس الحال في العالم الواقعي الذي يتلغ الأحداث التي نمر بها في حياتنا اليومية فيودعها في مستودعات النسيان².

نفس المرجع، ص: 277¹.

حسن مظفر الرزوي، مرجع سبق ذكره، ص: 278².

بعدها قمنا بعرض أبرز السمات التي يمتاز بها سكان الفضاء الافتراضي، حيث تبين لنا جلياً أنه مختلف تمام الاختلاف عن الفضاء التقليدي الذي ألفناه، وذلك من خلال تقارب مليارات الهويات فيه، ملغياً كل الحواجز سواء أكانت جغرافية أم غير جغرافية فقد تعد كل الحدود و غزى كل أنحاء العالم.

فضاء اضمحلت فيه معاني الهوية، و الأصول العرقية، مزج بين الثقافات لمختلف شعوب المعمورة، ففيه حطمت كل القيود و وجد المقيم فيه ضالته و حقق ذاته ضارباً بذلك عرض الحائط كل ما هو خارج عالمه الآلي الجديد، فقد وفر له كل متطلباته التي عجز عنها الفضاء الفيزيائي. لكن يا ترى ما هي الجوانب النفسية التي يولدها هذا الفضاء نتيجة لكثرة الإبحار و التغلغل فيه؟.

3/ الفضاء الإلكتروني والحياة في العالم الثاني.

أ/ تعريف الفضاء الإلكتروني

الفضاء الإلكتروني **Cyberspace** مصطلح حديث ظهر في العقود الأخيرة نتيجة لثورة تكنولوجيا المعلومات، ويشمل الفضاء الإلكتروني جميع الحواسيب والمعلومات التي بداخلها والأنظمة والبرامج والشبكات المفتوحة لاستعمال الجمهور العام، أو تلك الشبكات التي صممت لاستعمال فئة محددة من المستخدمين ومنفصلة عن شبكة الإنترنت العامة.¹ ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر، لا بد أن نميز بين الإنترنت والفضاء الإلكتروني. فالإنترنت هي وسيط للتواصل. يقوم الناس من خلالها بأشياء مختلفة، معظمها بسيط حتى لو كان مهماً. كدفع الأفراد لفواتيرهم، وقيامهم بالحجز في الفنادق ووسائل النقل، وشراء منتجات معينة، ويطلعون على الأخبار في الصحف.... تعتبر هذه الاستخدامات مهمة اقتصادياً، وتجعل حياة من يستخدمون الإنترنت أكثر سهولة، لكنها لا تغير طريقة حياة الناس. في المقابل لا يقتصر الأمر في الفضاء الإلكتروني على جعل الحياة أكثر سهولة، فالمسألة تتعلق بجعل الحياة مختلفة عن الحياة الحقيقية، فالأمر يتعلق بخلق حياة مختلفة أو ما يسمونها بحياة ثانية تستحضر فيها أساليب للتفاعل لم تكن ممكنة قبلاً.² وبطبيعة الحال عملية التفاعل ليست جديدة، فمجتمعاتنا يصدر عنها دوماً شيء يقترب في طبيعته ما يصدر عن الفضاء الإلكتروني، في المقابل تخلق مجتمعات الفضاء الإلكتروني اختلافات في درجة التطور ما يؤدي إلى اختلاف في طبيعة هذه المجتمعات. ثمة شيء فريد في الطريقة التي تنتظم بها هذه المجتمعات.³ يعمل مبدأ التفاعل الرقمي الحر على شبكة الإنترنت من خلال خدماتها المتنوعة كالتراسل الإلكتروني والويب، والدرشة، على توسيع حدود الفضاء السيبراني. لقد جعل هذا المبدأ الإنسان قادراً على الاتصال المطلق بكل أنحاء العالم في مدة يسيرة، وبإستطاعته جمع المعلومات بكل بساطة وسرعة، لقد أصبحت المعلومات الرقمية تحيط بنا من كل جانب. أدى هذا الوضع إلى ثورة رقمية جوهرها ثورة معرفية، من مظاهرها أن المعلومات تتضاعف بشكل مذهل، والتهديدات الأمنية كذلك، فلم يحدث تغير كبير في البنية الحركية والتطورية للعالم مثلما يحدث اليوم، فقد احتاج الإنسان من قبل إلى آلاف السنين لمضاعفة معارفه، بينما تتضاعف بشكل هائل في هذا العصر. فإذا علمتنا التطورات التكنولوجية شيئاً فهو: أن الفضاء الإلكتروني هو نقيض الفراغ.⁴ على هذا الأساس نعرف الفضاء الإلكتروني أو فضاء السايبر بأنه ذلك المجال الرقمي، الممتد عبر مختلف خطوط وقنوات الاتصال المعدنية والضوئية والهوائية في شبكة الإنترنت، وهو بهذا المعنى، طريق المعلومات فائق السرعة. فهو يتسع للمساحات الواسعة والممتدة في آليات التفاعل بين العقول الإنسانية والحاسوبية بأنواعها، ويحدث التفاعل البشري الآلي من خلال هذا

¹ محمود محارب، حرب الفضاء الإلكتروني، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011 على الرابط: www.dohainstitute.or

² لورنس ليسيج، تر، محمد سعد طنطاوي، الكود المنظم للإنترنت، ط2 مصر: مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، 2013 ص: 131.

نفس المرجع، ص: 132.

عبد الرزاق الدليحي، الإعلام الجديد و الصحافة الإلكترونية، ط 1 الأردن: دار وائل للنشر و التوزيع، 2011 ص: 31.

الفضاء، عقليا، ونفسيا، واجتماعيا، بمختلف الحواس الإنسانية. ففي هذا الفضاء يتواصل الإنسان والآلة معا الإنسان. الحاسوب. الإنترنت¹. إذن تتكون من خلال هذا الفضاء صورة عملية افتراضية بالمعنى الرقمي لنظام السايبر، وهي تتشكل من مجموعة المكونات الرئيسية لمجالات الخدمات المعلوماتية والعلاقات المتفاعلة المتداخلة في ما بينها، بحيث أن كلا منها له علاقة بالآخر.

يوضح هذا الشكل مكونات الفضاء الرقمي، حيث تتم التفاعلية بين مختلف مكوناته، ويحدث الاتصال بمختلف أشكاله. انبثقت نتيجة هذا التفاعل مظاهر إلكترونية كثيرة كالحكومة الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني .. الخ. وحين نقرأ عن هذا الفضاء، فإن القراءة هي عن الإنترنت كأداة اتصال وتفاعل بشري اجتماعي، وسياسي، واقتصادي، وثقافي. ومن خلال هذين المفهومين الإنترنت والفضاء السايبري تبلورت المفاهيم الأخرى المتقاربة في الرؤية الرقمية للاتصال. ومن بين هذه المصطلحات والمفاهيم: المجتمع المحوسب أو المحسب Computerized Society، وجماعة الاتصال المباشر Online Community، والجماعة الافتراضية أو المجتمع الافتراضي Virtual Community or Virtual Community². هذه الطفرة التكنولوجية، وثورة وسائل الاتصال، انتقلت على إثرها التكنولوجية التماثلية إلى طور انفتحت فيه أبواب عالم جديد هو العالم الافتراضي.

ب/ العالم الافتراضي

لقد تغيرت أنظمة المعرفة وأنظمة الاتصال رأسا على عقب، فيمكن الاستعاضة عن الكتاب الورقي بالكتاب الرقمي، وعن المكتبة العامة بالمكتبة الافتراضية، بل يمكن رقمنة العالم المادي والحميمي للإنسان بواسطة الفيسبوك واليوتيوب، إننا أمام ثورة لا مثيل لها في تاريخ الإنسان، سمحت بانتقال المعلومات بسرعة فائقة، وبإحداث شبكات للاتصال تتحدى وسائل الاتصال الرسمية³.

والعالم الافتراضي أو الواقع الافتراضي Virtual Reality VR هو أحد أشكال التفاعل بين الإنسان والحاسوب في بيئة ثلاثية الأبعاد تحاكي الواقع بالصورة والصوت، أو هي عروض مرئية تتضمن صور ثلاثية الأبعاد يتم عرضها على شاشتين صغيرتين في جهاز يثبت على الرأس، مضاف إليه تقنية تعمل على محاكاة الصوت واللمس في نظام متكامل مما يعطي الشخص المتلقي إحساسا بأنه يعيش داخل عالم تخيلي أو افتراضي يتاح له التحكم في بعض مكوناته⁴. وهذه في مجموعها تؤكد الناحية الاتصالية الافتراضية بواسطة الإنترنت، طريق المعلومات الفائقة السرعة، ونؤكد أن هذا كان نتيجة مجتمع المعلومات وهو المجتمع الذي يعتمد على المعلومة كمورد اقتصادي.

إن طريق المعلومات السريع سيوفر إمكانات تبدو سحرية عند وصفها لكنها تمثل في واقع الأمر التكنولوجيا التي ستجعل حياتنا أسهل وأفضل. إنه السباق من أجل الذهب كما وصفه بيل جيتس، فلا يكاد يمر أسبوع حتى تعلن شركة ما، أنها كسبت السباق لبناء طريق المعلومات السريع⁵.

لقد أفضت الرقمنة إلى إنهاء الأشكال القديمة لترميز المعرفة فهي تسمح بعبارة أخرى، بتحويل معطيات إلى لغة، باعتبارها أداة تواصل جماعية في جوهرها و تتضمن تأثيرات هذا الترميز تصورا جديدا للمعرفة، لم يعد ممكنا عد إنتاجها كلحظة متميزة

محمد علي رحومة، مرجع سبق ذكره، ص: 242¹.

محمد علي رحومة، مرجع سبق ذكره، ص: 243².

عبد العالي معروز، الإنترنت و الاستلاب التقني، ط:1 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011 ص: 21³.

طلال ناظم الزهيري، النظم الآلية لاسترجاع المعلومات، ط 1 عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، 2004 ص: 99⁴.

⁵ بيل جيتس، تر، عبد السلام رضوان، المعلوماتية بعد الإنترنت، الكويت: المجلس الوطني للفنون و الثقافة و الآداب، 1998 ص: 311.

عن النشاطات الإنسانية الأخرى. إذ يمنح الطابع التفاعلي للشبكات الرقمية مستعملي التكنولوجيات مكانا لم يكن متوفرا لهم فيما مضى.¹ نحن نحيا في عصر المؤسسات الافتراضية، حيث تربط المجسمات الإلكترونية للمصرف تلك المؤسسات و الشركات بعملائها المشتركين و مصارفها المراسلة حول العالم. و يمتد مقر العمل الافتراضي عبر المؤسسات الافتراضية، وتتشارك الآن مصانع الطائرات و السيارات مع مورديها لتصميم قطع الغيارات و وحدات التجميع و غالبا ما يعمل المهندسون في كثير من الشركات مع بعضهم البعض على موقع العمل الافتراضي لتطوير منتجات جديدة، سواء كانت هذه المنتجات برامج كومبيوتر أو لعب الأطفال. إنهم يتقاسمون المعلومات والتصميمات، والخواطر والأفكار دون حاجة إلى تقارب مكاني فيما بينهم، لقد أصبح موقع العمل الافتراضي بفضل طريق المعلومات فائق السرعة الذي يتيح الاتصال بين تلك الأجهزة الرئيسية المركزية التي توجهها.²

خاتمة:

في سلبيات مجتمع المعلومات

أ/ إدمان الإنترنت:

لقد بدأ يظهر على الناس أعراض ما يسمى الآن إدمان الإنترنت، و هذا المصطلح أطلق لأول مرة على الطبيب النفسي إيفان جولد بيرج Ivan Goldberg 1996، كمزحة في بريد الكتروني على شبكة للنقاشالردشة عبر الإنترنت و قد رأى أن هناك تشابه بين محك الاعتماد و على الكحول و السلوكيات المرتبطة بالإنترنت، و أطلق عليه إدمان الإنترنت، لما فيه من اعتمادية و جاذبية تدفع الناس لاستخدامها لفترات طويلة و يعترفون أنهم لا يستطيعون بالتوقف عنها كما تشير الدراسات النفسية.³ إذ لم يختلف هذا عما أورده عمر موفق بشير وبعده الدراسة التي أجراها حيث أشارت التقارير بأن بعض مستخدمي الحاسبات بدأوا يدمنون الإنترنت مثلما يدمن الآخرون على المخدرات و الكحول، و المقامرة، مع النتائج الأكاديمية و الاجتماعية، و الوظيفية المتأتية عن هذا الاستخدام.⁴

ويعرف إدمان الإنترنت أيضا بأنه اضطراب التحكم في الاندفاعات في استخدام الإنترنت بدون هدف مقصود، و الذي لا يتضمن السكر أو فقدان الوعي. و وصف بيرد و ولف إدمان شبكة الإنترنت بحالة انعدام السيطرة و الاستخدام المدمر لهذه الوسيلة التقنية، و تتشابه الأعراض المرضية المصاحبة للمقامرة المرضية.⁵

وإجماع عدد من الباحثين على أن مدمن الإنترنت لا يختلف عن مدمن المخدرات، في الاضطرابات الاختلاجات النفسية التي تنتابه هذا من جهة، و من جهة أخرى فأكيد أن المدمنين لا يعلمون ما يفعلون في حالة السكر، لذا نجد انحرافات سلوكية على الإنترنت. حيث تتجلى هذه الانحرافات مجموعة من الممارسات التي ولدت في كنف التطور التقني، و هذا بالدرجة الأولى منافي للأخلاق و الشريعة الإسلامية.

¹ التقرير العالمي لليونسكو، مقدم إلى منظمة الأمم المتحدة، من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، مطبوعات اليونسكو، فرنسا، الصادر عام 2005، ص:52.

² فرانك كيلش، تر: حسام الدين زكريا، ثورة الأنفوميديا و الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا و حياتك الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2000 ص: 459.

محمد النوبي محمد علي، إدمان الإنترنت في عصر العولمة، ط1 عمان: دار صفاء للنشر و التوزيع، 2010 ص: 48.³

عمر موفق بشير العباي، الإدمان و الإنترنت، ط1الأردن: دار مجدلوي للنشر و التوزيع، 2008 ص:67.⁴

محمد النوبي محمد علي، مرجع سبق ذكره، ص: 53.⁵

إن من أهم العوائق التي تقف أمام استخدام هذه الشبكة هي الدخول إلى بعض المواقع التي تدعو إلى الرذيلة و نبذ القيم و الدين و الأخلاق، أو أنها تدعو إلى التمرد و العصيان على ولاة أمر المسلمين و علماءهم و مشايخهم، و كل هذا تحت اسم التحرر و التطور و نبذ الدين و حرية الرأي إلى غير ذلك من الشعارات الزائفة.¹

إضافة إلى القدرة على تغيير الهوية، فكلما نجحنا في تغيير هويتنا على الآخر، نصبح أكثر قدرة على ممارسة ما يدور في خلدنا دون أن نقلق إزاء احتمال وجود هوية أخرى تمارس فعل الرقابة على أفعالنا. و هو أمر سيؤدي بنا بلا شك إلى ممارسة ما نريد بعيدا عن أي نوع من أنواع القيود التي تفرضها الأعراف بمختلف مستوياتها.²

ب/ الاستلاب/الاغتراب:

يفيد مفهوم الاستلاب في التحليل الماركسي اغتراب الإنسان عن ماهيته الإنسانية بسبب انفصاله عما ينتجه بقوة عمله، و يصير تابعا للألات التي يخترعها بدل أن يجد فيها تحققه الذاتي، ويتجلى استلابه الأساسي في تبعيته للألات التي يخترعها ومنها نظم الإعلام و المعلومات، و التي يأتي الإنترنت على رأسها. إن الاستلاب مفهوم ابتكره ماركس للدلالة على ظاهرة الاغتراب التي يعيشها الإنسان المعاصر تجاه الآلة.

و اكتشف جورج لوكاش مفهوما آخر للدلالة على حالة الغربة و الاغتراب هذه وهو مفهوم التشيؤ Rêification، و Chosification ويدل على الوضعية التي يجد الإنسان نفسه فيها و قد فقدت السلع و الأشياء التي ينتجها قيمتها الاستعمالية لتكتسي قيمة تبادلية و تجارية محضة.³

يولد الإنترنت العزلة الاجتماعية للفرد فعلى شدة تعلقه بعالمه الافتراضي و انعزاله فيه على قدر ما تكون الكارثة أدهى و أمر، بالرغم من المزايا التي يتفرد بها على غيره من العالم الفيزيائي التقليدي، إلا أنه لابد من أخذ الحيطة و الحذر من مرض العصر الجديد و هو التغريب و الانعزال عن الوسط الاجتماعي، فلا يجد لذة الحياة إلا قبالة الآلة التي بات حبيسا لمعطياتها التي لا تعرف الانقطاع و لا التوقف.

و في خضم هذا التدفق السريع و الكم الهائل للمعلومات، و الاختلاجات و الاضطرابات النفسية التي يعيشها الإنترنتي فإنه يسعى دائما للبحث عن نوع من التميز و السيطرة على الآخرين من خلال:

ج/ المهاجمة السيبرانية:

و هي التحرش أو التشهير، أو الإرهاب النفسي، عن طريق الهاتف أو الإنترنت، تتم مضايقة الضحية و إزعاجها عن طريق الصور أو مقاطع الفيديو العدائية التي تتم المتاجرة بها، عبر نشرها على شبكة الإنترنت أو إرسالها عن طريق الهاتف الذكي عبر SMS أو MMS .

د/ العنف السيبراني:

هو هجوم إلكتروني يطال المستخدم على شبكة الإنترنت، خاصة المراهقين في غرف الدردشة، يؤدي هذا النوع من الهجوم إلى اكتئاب نفسي يشعر المستخدم بأنه منبوذ ويمكن أن يصل إلى درجة الانتحار في بعض الأحيان.

محمد النوبي محمد علي، المرجع نفسه، ص: 118. 1

حسن مظفر الرزوي، مرجع سبق ذكره، ص: 294. 2

عبد العالي معزوز، مرجع سبق ذكره، ص: 23. 3

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ معاجم وقواميس

1/ ابن منظور، لسان العرب، مج9 بيروت: دار الكتب العلمية، 2003

2/ المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط2 بيروت: دار المشرق، 2001

3/ Grand usuel Larousse. dictionnaire encyclopédique, Paris: Larousse, 1997

4/ Oxford. Advanced learner's dictionary, 5th ed, London: Oxford, 1995

ثانيا/ كتب عربية

1/ إدريس ثابت عبد الرحمن ، نظام المعلومات الإدارية في المنظمات المعاصرة الإسكندرية: الدار الجامعية، 2005

2/ الدليهي عبد الرزاق، الإعلام الجديد و الصحافة الإلكترونية، ط 1 الأردن: دار وائل للنشر و التوزيع، 2011

3/ الرزو حسن مظفر، الفضاء المعلوماتي، ط1 لبنان مركز دراسات الوحدة العربية، 2008

4/ الزهيري طلال ناظم، النظم الآلية لاسترجاع المعلومات، ط1 عمان: دار المسيرة للنشر و التوزيع، 2004

5/ الزياد أحمد حسن، مصطفى إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج13 إسطنبول: المكتبة الإسلامية، 1989

6/ السالم سالم بن محمد ، صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية، ط02 الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية 2010

7/ العباجي عمر موفق بشير ، الإدمان و الإنترنت، ط1الأردن: دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، 2008

8/ النوبي محمد محمد علي، إدمان الإنترنت في عصر العولمة، ط1عمان: دار صفاء للنشر و التوزيع، 2010

9/ بن أحمد محمد، مجتمع المعلومات من المنشود إلى الموجود، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 03

10/ توفلر ألفن ، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة: عصام الشيخ قاسم ، ليبيا: الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، 1990

11/ جيتس بيل، تر، عبد السلام رضوان، المعلوماتية بعد الإنترنت، الكويت: المجلس الوطني للفنون و الثقافة و الآداب، 1998

12/ دليو فضيل، التكنولوجيا الجديدة للإعلام و الاتصال، ط1عمان: دار الثقافة، 2010

13/ رحومة محمد علي، الإنترنت والمنظومة التكنولوجية، ط1لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005

14/ رضا أحمد، "معجم متن اللغة"، موسوعة لغوية حديثة، مج 04 بيروت: دار مكتبة الحياة، 1960

15/ زحلان أنطوان ، العلم والسيادة التوقعات والإمكانات في البلدان العربية، تر: حسن الشريف بيروت: مركز دراسات

الوحدة العربية، 2012

16/ ساري حلبي خضر ، ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي، ط1عمان: دار العلوم للنشر و التوزيع، 2005

17/ عباس بتول رضا ، حاضر العالم ومستقبلنا: دراسة في حضارة الموجة الثالثة لألفن توفلر عمان: دار دجلة، 2010

18/ عبد الهادي محمد فتحي، مجتمع المعلومات بين النظرية و التطبيق، ط1 مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2007

19/ كيلش فرانك، تر: حسام الدين زكريا، ثورة الأنفوميديا والوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000

20/ لعقاب محمد، المواطن الرقمي، ط2 الجزائر دار هومة، 2013

21/ لورنس ليسيج، تر، محمد سعد طنطاوي، الكود المنظم للإنترنت، ط2 مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013

22/ محارب محمود، حرب الفضاء الإلكتروني، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011

23/ معروز عبد العالي، الإنترنت والاستلاب التقني، ط1: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011

24/ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت: عالم المعرفة، 2001

ثالثا/ المجالات والدوريات

1/ حمدي محمد، الواقع الحالي لتوظيف تكنولوجيا المعلومات في العالم العربي، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 03، 2005

2/ سلطاني محمد رشدي، "المعارف الجماعية وأثرها على نشاط الإبداع في المؤسسة" أبحاث إقتصادية وإدارية، العدد 11، جوان 2012، جامعة بسكرة

3/ منصور كمال، عيسى خليفي، " اندماج اقتصاديات البلدان العربية في اقتصاد المعرفة: المقومات والعوائق"، مجلة إقتصاديات شمال إفريقيا العدد 04، الجزائر، جوان 2006

رابعا/ تقارير

1/ التقرير العالمي لليونسكو، مقدم إلى منظمة الأمم المتحدة، من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، مطبوعات اليونسكو، فرنسا، الصادر عام 2005،

خامسا/ مؤتمرات وملتقيات

1/ عبد الرحمان عبد السلام جامل، "محمد عبد الرزاق إبراهيم ويح، "التعليم الإلكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة" مداخلة قدمت إلى: المؤتمر الدولي الأول حول التعليم الإلكتروني، 17 19 أبريل 2006

2/ نبيلة جعيجع، حياة براهيمي، "إسهامات إدارة المعرفة في تحسين الأداء التنافسي وتطوير الكفاءات في منظمات الأعمال" مداخلة قدمت إلى: الملتقى الدولي حول: رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الإقتصاديات الحديثة، 1314 ديسمبر 2011،

سادسا/ مواقع الإنترنت

1/ شوكن العبيدي هديل، "من البيانات إلى الحكمة بإتجاه إدارة المعرفة"، أنظر في: <http://www.informaticsgovsa/modulesphp>

صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة والأولياء

أ.د.قادي حليمة/جامعة وهران 2، الجزائر

ملخص :

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن صعوبات تعلم اللغة الانجليزية بأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الآتية (جنس المدرس، ولي الأمر)، وهذا من خلال تحديد صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة والأولياء، ولتحقيق أغراض الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بالاستعانة باستبيان ملائم لطبيعة الدراسة والمكون من سؤال مفتوح وهو: ماهي صعوبات التي تواجه التلميذ في تعلم اللغة الانجليزية؟ ، وكانت عينة الدراسة متمثلة في 10 أساتذة ، و 20 ولي أمر؛ وكانت النتائج: يرجع الأساتذة صعوبات تعلم اللغة الانجليزية إلى العوامل الشخصية أولاً ثم التربوية، يرجع الأولياء صعوبات تعلم اللغة الانجليزية إلى المدرس ثم إلى عوامل اجتماعية.

الكلمات المفتاحية : اللغة الانجليزية-المدرس-التلميذ- صعوبات التعلم-المجتمع.

Abstract :

The purpose of this study is to discover the difficulties of learning the English language in regard to the study variables (sex of teacher's, parent's) through the following: Identifying the difficulties of learning English language from the English teacher's and parent's perspectives; to achieve these purpose, the researcher used the survey analytical methodology by questionnaire suitable for the nature of the study prepared by open question "what the difficulties learning English language for our pupil's, The Sample of this study consisted of 10 teacher's and 20 parent's, the result revealed that :

Due Professors difficulties learning English language to personal factor's then educational factor's.

Due Parent's difficulties learning English language to Inefficiency teacher's then the social factor's.

Key's word: English language-Teacher-Pupil- difficulties of learning-Society.

مقدمة :

تعد اللغة الانجليزية من أهم مكتسبات الإنسان في القرن الواحد والعشرين ، وأصبحت أهمية تعلمها تزداد مع الزمن، وإتقانها من ضمن أولويات الأنظمة التعليمية في العالم، وإذا نظرنا إلى المادة كمادة دراسية فهي تتميز بالدينامية، وتؤثر كل مهارتها (القراءة، الكتابة، التحدث، الاستماع)، وتتأثر فيما بينها؛ إلا أننا نجد أن التلميذ قد يصادف في أي المرحلة التعليمية صعوبات شتى في تعلم اللغة الانجليزية ترتبط بالفهم القرائي (كتفكير التلميذ بلغته الأم) الذي يصعب عليه إدراك النص أو الجملة أوحى الكلمة، أو تغيير موقع الكلمة من جملة إلي أخرى، كما قد يجد صعوبة في قراءة الكلمات أو الجمل التي لم يسبق له التعامل معها في اللغة الفرنسية، أو نطقها بطريقة خاطئة، مما قد يغير من معناها الحقيقي داخل الجملة. كما أن تشابه بعض الكلمات في النطق قد لا يمكن التلميذ من الوصول إلى المعنى الحقيقي لها؛ فالتلميذ عليه أن يدرك أنه لا يكتسب اللغة أثناء دراسته كجمل ومعارف لغوية فقط، بل كتنابير مناسبة لمواجهة المواقف الاجتماعية التي قد يتعرض لها. وقد يكون السبب في ذلك إلى الأنماط الإدارية التي يمارسها مدرسو اللغة الإنجليزية مع تلاميذهم، أو إلى عدم كفاءتهم، أو إلى ضعف دافعية المتعلم وعدم إدراكه لأهمية اللغة الانجليزية في حياته الدراسية اليومية، أو إلى المحيط الأسري الذي لا يصحح أخطائهم اللغوية .

الإشكالية: يواجه العديد من التلاميذ صعوبات تعلم اللغة الانجليزية تظهر في اللغة المسموعة أو المكتوبة أو في التنسيق والتحكم الذاتي في نطقها، والذي ينتج عنه إهمال مكتسباتها من خلال عدم إنصات للأستاذ أثناء تقديم درسه، اعتباراً منه لا يحتاجها و يصعب مواكبتها ويكون محارباً لها إلى أن يصل الجامعة، وبذلك يكون فقد بوصلة الوصول إلى اللغة الإنجليزية. هذا الضعف قد يرمي على عاتق الأستاذ والمنهج بالدرجة الأولى. إذ أثبتت دراسات عديدة أن نجاح عملية تعليمية للغات الأجنبية يقع 55% منه على عاتق المعلم بينما 45% المتبقية ترجع إلى الظروف الأسرية للتلميذ و دافعيته، ضف على ذلك المناهج والكتب المستعملة. فأساليب المعلم التدريسية وسلوكاته، تعتبر جزءاً مهماً داخل القسم، سواء في تعلمه للغات الأجنبية أو في تعديل نظرتة وتصور التلميذ حيالها إذا كانت مرتبطة بإدراكات خاطئة وسلبية التي تشكل عائقاً يصعب تجاوزه إذ لم يعتمد على أساليب تبليغية مشروعة تقرب مضمون برامج اللغات الأجنبية من أذهان التلاميذ وتجعله في متناولهم، فالكثير من المعلمين العاجزون على إحراز النجاح في التدريس هم المعلمين غير القادرين عن تنشيط الدوافع لدى المتعلمين للقيام بالأنشطة الضرورية للتعلم. وأكثر المدرسين نجاحاً هم أولئك الذين يعرفون كيف يستثيرون اهتمام التلاميذ للتعلم¹. ومما ذكر أنفاً يدفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ماهي صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة؟ ماهي صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأولياء؟

المفاهيم الإجرائية :

صعوبات تعلم اللغة الانجليزية : ضعف مستوى التلميذ من تمكن من مادة اللغة الانجليزية من حيث القراءة، والكتابة والتحدث، والتي تعيق تعلمها ويرجع أسبابها إلى المتعلم أو الأستاذ، أو إلى المجتمع.

الإطار النظري :

تعريف اللغة الأجنبية: وتسمى عند البعض الباحثين باللغة الثانية Langue Seconde التي يتعلمها الفرد بعد لغته الأصلية (لغة الأم)، وتتميز بأن لها مقاماً ثانوياً في تخطيط السياسة اللغوية، يلجأ إليها لتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات

¹ حمار فتيحة، واقع وتعليم اللغات الأجنبية في الثانوية الجزائرية -دراسة ميدانية في ثانويات بلدية بن عكنون ، مجلة دراسات نفسية وتربوية ، العدد: 8، جامعة ورقلة ، جوان 2012، ص108

الفنية والعلمية والمهنية كما تحظى اللغات الأجنبية بوضع متميز على مستوى ديداكتيكي DLE، تستقي مادتها من مصادر متعددة، وتبني أنظمة وبرامج وطرائق تعليمية معاصرة¹.

وإذا عدنا للحديث عن اللغة الانجليزية في المدرسة الجزائرية فهي من اللغات الأجنبية و تعد اللغة الثالثة بعد الفرنسية ترمج للتلميذ بعد سنتين من تلقيه اللغة الفرنسية.

أسباب تعلم اللغة الأجنبية: أشار فونتي Vanthier (2009) أن هناك عدة أسباب تجعلنا الأطفال يحبون تعلم اللغة الأجنبية: 1- حتى يفتح الطفل على العالم الذي نعيش فيه يوجد فيه الكثير من اللغات التي تساعد على التواصل الإنساني، 2- إن تعليم الطفل لغة أجنبية سوف يساعده على الاتصال بالآخرين، لأنه سوف يتعلم اللغة في وظائفها الأصلية في الحياة فهو يروي، ويسأل، ويجيب، ويفهم، و يعطي تعليمات في سياقات مختلفة في الحياة، 3- تطوير إدراك ما وراء اللغة للطفل: من أجل تطوير لغته فإن يجب أن يتعود على الإحساس والتفكير بلغته الأم، أولاً ثم بعد ذلك مقارنتها باللغة المتعلمة، وحسب لويس دابان Louis Babène إن اللغة تسمح للطفل بأن يوسع عالمه التفكيري، وإدراك ما وراء اللغة، وتوسيع لامركزيته، أخذاً بعين الاعتبار اللغات والثقافات².

النظريات المفسرة لاكتساب اللغة الأجنبية :

المدرسة البنوية **The Structural School**: لقد كان اهتمام دي سوسير De Saussure منصبا على وصف اللغة من داخلها، وبالاعتماد على المعايير اللغوية دون سواها، لدى فهمي تركيز على لغة الحديث الفعلية في فترة زمنية محددة، وقواعد اللغة الانجليزية هي قواعد تلك اللغة لا سواها

القواعد التوليدية التحويلية **Generative Transformation**: صاحبها تشومسكي Shomsky الذي اعتبر أن المدرسة اللغوية السابقة لم تتوصل إلى القواعد اللغوية الفعلية التي تعمل كالمولد الآلي لتوليد جميع الجمل الصحيحة الممكنة في اللغة سواء أصدرت عن أحد أم لا تصدر واقتنعت بالشكل الخارجي للغة دون الالتفات إلى المضمون، كما اهتمت بكافة القواعد اللغوية بما فيها التي تساعد على تكوين الجمل الطويلة معقدة التركيب والتي لم تولها المدرسة السابقة.

مدرسة علم اللغة الاجتماعي **The Sociolinguistic School**: دعا هايمز وزملاؤه من اللغويين، وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى البحث عن قواعد القدرة على التواصل، وعن القواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام؛ وانصب اهتمامهم على تحليل الكلام، أو النص المكتوب على اعتبار أنه هو الوحدة التي تعبر عما تحصل فعلاً في موقف معين، وتحليله إلى مستوى الجملة، أو أجزاء الجملة³.

مهارات تعلم اللغة الانجليزية:

أولاً: الاستماع: يقصد به لغة الفهم، ويقال سمعت كلامه أي فهمت لفظه⁴.

¹ صالح بلعيد، علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص 43.

² إيمان محمد ترسن، أهمية استخدام مواقع تعليم اللغة الانجليزية على شبكة الانترنت في تحسين مهارة الاستماع والتحدث من وجهة نظر معلمات ومشرفات المرحلة الثانوية بمدينة جدة، رسالة الماجستير في المناهج وطرق تدريس اللغة الانجليزية، جامعة أم القرى، 1429هـ، ص 57

³ نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها-سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 1990، ص ص 26-40.

⁴ محمد بن أبي بكر بن عبد الفتاح الرازي، مختار الصحاح، ط: 9، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1962، ص 1.

أما اصطلاحاً: هو عملية عقلية تتطلب جهداً يبذله المستمع في متابعة المتكلم، وفهم معنى ما يقوله، واختزان أفكاره واسترجاعها إذا لزم الأمر، وإجراء عمليات ربط بين الأفكار المتعددة¹.

أن هذه المهارة تحتاج إلى مراعاة مايلي: المدة الزمنية التي يقضيها الفرد في الاستماع يومياً، استكشاف قواعد اللغة، فهم ما يحدث في العالم. واتخذت أبعاداً معينة:

1- طريقة تعليم اللغة بالسمع: عن ناطق مثالي، أو عن طريق الأجهزة المعاصرة.

2- طريقة التعليم الميكانيكي: وهي عملية ميكانيكية لتكوين العادات، التي تقوي بالتدعيم للاستجابة الصحيحة.

3- طريقة جماعة تعلم اللغة: هنا يجلس المتعلمون في دائرة يحدث بعضهم بعضاً، ويسجل حديثهم على الشريط ويعاد سماعه، ويحتل المعلم المركز التوجيهي، حيث يصب الأخطاء ويوجه توجيهات نحو لغة الجماعة، كما يعمل على استثمار نطوقهم في الإعادات القادمة².

ثانياً: مهارة التحدث: هو القدرة على استخدام الأصوات اللغوية في نقل الأفكار والمشاعر، ويتضمن القدرة على التفكير، واستخدام الإشارات المختلفة في توضيح المعنى³. وللتحدث بعدان هما:

بعد لغوي: يتمثل في مجموعة المهارات التي يجب أن يتقنها الفرد، حتى يصبح متمكناً مما يريد أن يعبر عنه في يسر وسهولة. ومصادره كتب اللغة من نحو وصرف وبلاغة وفقه لغة... وغيرها.

بعد معرفي: يتمثل في تحصيل المعلومات والحقائق والأفكار والخبرات عن طريق القراءة المتنوعة الواعية؛ وهذا البعد المعرفي يكسب المتكلم الطلاقة اللغوية، والقدرة على تكوين الجمل⁴.

لدى فإن التلميذ مطالب أن يتحدث باللغة الانجليزية في سياقها النفسي والاجتماعي، ويتعلم نظامها اللغوي فيربط تعابيره بمواقف بعينه وبشعور وأشخاص معينين، وهذا بتركيزه على النطق السليم وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وإتقان نبرة الصوت مع احترام علامات التعجب أو الاستفهام والتمني.

ثالثاً: مهارة القراءة

أ - مفهومها: أشار بدير كريمان بأنها "عملية فك الرموز وتحويل الرموز المطبوعة إلى أصوات تمثلها لتشكل اللغة المنطوقة المسموعة"⁵

ويعرفها الدليبي و آخرون بأنها "أسلوب من أساليب النشاط الفكري، يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية"⁶. بما أن اللغة الانجليزية تبدو غير عادية أو شاذة في التهجى الخاص بها فإنه يبدو من الصعب أن يتعلمها التلاميذ. فالتهجى يكون أكثر سهولة ويسراً إذا ما كان كل فونيم في اللغة الانجليزية يقابله جرافيم واحد فقط، والجرايم كما يرى هول (1981) Hull

¹ محمد عبد القادر أحمد ، طرق تعليم اللغة العربية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، 1986 ، ص 146.

² صالح بلعيد ، علم اللغة النفسي ، نفس المرجع السابق، صص 153-154.

³ أبو حجاج أحمد زينهم، تنمية مهارات التعبير الشفوي والقراءة الجهرية لدى تلاميذ الصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، جامعة طنطا،، 1993، ص 3.

⁴ عليان أحمد فؤاد ، المهارات اللغوية ماهيتها وطرائق تدريسها . "الطبعة الأولى ، الرياض ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، 1992 ، ص 45.

⁵ بدير كريمان، التعلم الايجابي وصعوبات التعلم رؤية نفسية تربوية معاصرة، مصر القاهرة، عالم الكتب، 2006، ص 10.

⁶ الدليبي طه علي حسين، الوائلي، سعاد عبد الكريم عباس، اللغة العربية منهاجها وطرائق تدريسها، دار الشروق عمان الأردن، 2005، ص 105.

هو جميع الحروف والمقاطع الحرفية التي تمثل الفونيمات، ولكن ذلك ليس هو القضية حيث أن هناك 251 تهجٍ مختلف لعدد 44 صوتاً تتضمنهم اللغة الإنجليزية، كما أن اللغة الإنجليزية تضم أيضاً العديد من الكلمات التي يتم تهجها بشكل غير عادي، وهناك على سبيل المثال عدد من الكلمات تنتهي بنفس مجموعة الحروف Ough، ولكن نطقها يختلف، ومن هذه الكلمات Through ، Cough ، though ، tough؛ وفي هذا الإطار فإن المعلمين لا يحتاجون أيضاً أن يعرفوا الكثير عنها حتى يتمكنوا من مساعدة التلاميذ على تعلّم أوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات¹.

فالتلميذ أثناء قراءة كلمات أو عبارات أو جمل، أو فقرات باللغة الإنجليزية عليه أن ينطلق من فكرة أنه لا وجود لاختلاف بين قراءة النص باللغة العربية أو الإنجليزية، وأن يقرأ ما يثير اهتمامه، والذي لم يستطيع فهمه وإدراكه يمكنه الاستعانة بالقواميس والمعاجم، لأن القراءة مع الفهم تحتاج إلى أسابيع من الممارسة.

رابعاً: مهارة الكتابة

تعريف الكتابة: عبارة عن رسم الحروف والحركات، والرموز البصرية واللمسية الدالة على الأصوات مرورها بالأذهان؛ وهذه الرموز تعبر عن المعاني والأفكار التي يراد نقلها للغير². وهناك نمطان من الكتابة: أ- الكتابة بحروف منفصلة (شبيهة بالمادة المطبوعة) وتدعى Manuscript، ب- الكتابة بحروف متصلة (الكتابة اليدوية) وتدعى Cursive، ولقد تحولت المدارس إلى استخدام الطريقة الأولى إيماناً منها بأنها: أ- تشبه الكتابة المطبوعة، وهكذا فإنها تساعد في القراءة والتهجئة، ب- سهلة التعلم، ج- أكثر وضوحاً، د- الطريقة المفضلة من قبل الأطفال ذوي الإعاقات الحركية، هـ- تحتاج إلى حركات أقل تشكيل الحروف في الكلمات³.

الطرق والأساليب الشائعة لتعليم اللغة الإنجليزية: هي خطة شاملة لتنظيم وعرض مادة اللغة الإنجليزية تعتمد على اختيار الأسلوب المناسب لخصائص نمو التلميذ، وهي طريقة إجرائية تساعد في عملية التدريس⁴

طريقة القواعد والترجمة Grammar - Translation Method: تعد من أقدم الطرق التي استخدمت في تدريس اللغات الأجنبية، لا تركز على التخاطب بل تعتمد على اللغة الأم في شرح معاني الكلمات، وتراكيب اللغة الأجنبية، وتكتفي بجعل المتعلمين يتعرفون على القواعد النحوية للغة الأجنبية بطريقة صحيحة⁵.

الطريقة السمعية الشفهية Audio-Oral Method وترى أن اللغة هي الكلام، بينما الكتابة شيء ثانوي مما يستلزم عند تعلم اللغة الأجنبية البدء الاستماع، فالتخاطب ثم القراءة والكتابة بالترتيب " الطريقة المباشرة Direct Method: تهتم

¹ دانيال هلالاهان، جيمس كوفمان، جون لويد، مارجريت ويس، اليزابيث مارتينز، ترجمة عادل عبد الله محمد، المرجع السابق، ص 456.

² غافر مصطفى، طرق تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، ومهارات التعلم، دار السلام للنشر، الأردن، 2005، ص 164.

³ مراد علي عيسى، وليد السيد خليفة، كيف يتعلم المخ ذو صعوبات الكتابة والعسر الكتابي، دار الوفاء للطباعة، الاسكندرية، 2007، ص 137-138.

⁴ فارغ قائد دهبان على، واقع طرق تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية بمدينة مكة المكرمة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1987، ص 8.

⁵ Gauntelett J. Teaching English as a Foreign language. London Macmillan and co Ltd, 1975, p 96

بالمناقشة والمخاطبة وتجعلهما أسلوبًا لتدريس اللغة الإنجليزية، إلا أنها تقلل من شأن الترجمة؛ وتتجاهل القواعد النحوية، وتركز على التريديد والحفظ.¹

الطريقة الطبيعية The Natural Method: تركز الطريقة الطبيعية على تدريس المهارات اللغوية حسب ترتيبها الطبيعي، فتبدأ بالاستماع ثم التحدث ثم القراءة وأخيرًا الكتابة، ولذا سميت بالطبيعية.²

الطريقة الإشرافية Counseling-Learning Method: تهدف هذه الطريقة حسب كوران Curran إلى إتاحة الفرصة أمام الطالب ليعتمد على نفسه في تعلم اللغة الأجنبية تحت إشراف معلم متخصص في هذه اللغة، ويفضل أن يكون من الناطقين الأصليين بها.³

طريقة الاتصال اللغوي The Communicative Method: تركز على الاتصال بمتكلم اللغة الانجليزية، وتنبى لدى المتعلم الكفاءة اللغوية التي تجعله قادراً على فهم طبيعة اللغة وقواعدها النحوية.

الطريقة الإدراكية المعرفية Cognitive Code-Method: تركز هذه الطريقة في بداية التدريس على المهارات اللغوية خاصة الشفوية منها، وتهتم بالقواعد النحوية، وتتخذ أسلوب الاستنتاج وسيلة لتعليمها.⁴

الطريقة الصامتة The Silent Method: وهناك تكون فرصة المتعلم للكلام والتحدث أكبر من المدرس، حيث يتناقش المتعلمين فيما بينهم حول المهارات اللغوية.⁵

الطريقة السمعية – البصرية Audio-visual Method: ويستعان خلالها بالأشرطة للصور الذي يعاد عدة مرات وبالألفاظ مناسبة وهذا من خلال التركيز على النشاط الشفوي.⁶

الطريقة الانتقائية The Eclectic Method: يرى أصحاب هذه الطريقة بأن الطرق السابقة لتدريس اللغة الإنجليزية ليست صحيحة ولا مخطئة على الإطلاق، ولكنها تكمل بعضها البعض فهي تشجع المعلمين على استخدام الأساليب المختلفة في موقف تعليمي معين من أجل تحقيق أهداف سلوكية معينة، كما أنها تتيح الفرصة للمعلمين لتجريب الأساليب الجديدة ومن ثم مناقشتها مع زملائهم لكي يختاروا ما يناسب مستوى الطلاب وخصائص نموهم.

الدراسات السابقة: لم تعثر الباحثة على الدراسات السابقة التي تناولت موضوع صعوبات تعلم اللغة الانجليزية بصفة مباشرة مما جعلها تتطرق إلى الدراسات التالية التي:

قام الباحث كيتاو Kitao (1994) بمناقشة مشكلات القراءة في اللغة الانجليزية، ورد تلك المشكلات إلى الكتب المدرسية Textbooks، كما ناقش أثر طرق التدريس على فعالية القراءة، والقراءة النشطة، ووجد أن الطلاب ليس باستطاعتهم فهم

¹ الخولي محمد علي، العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة الثانية وكيفية تحسن تعليمها"، دراسة منشورة، حولية كلية التربية، السنة السابعة، العدد السابع، جامعة قطر، 1980، صص 140-154.

² Makey, William Francis, "Teaching Analysis" Hong Kong: Longman Group Limited, 8th ed, 1981, 69

³ Curran, Charles. "Counselling – Learning, in Methods That Work: A smorgasbord of ideas for Language Teachers". Edited by John W. Oller and others. London: Rolley, 1983, p18.

⁴ Rivers wilga M, Teaching Foreign Language Skill, 2 edition, U. S. A, The University of Chicago press 1980, p 70.

⁵ Curran, Charles. Op, cit, p 93

⁶ Rivers wilga M, ,op, cit, 72.

النصوص، أو القيام بعمل الملخصات لما قرءوه، وتوصل الباحث إلى أن هناك ارتباطاً عالياً بين القدرة على القراءة، والسرعة فيها؛ وأكد على أن نصوص القراءة المنظمة أو المعدة بشكل سليم، والملائمة لأهداف التعلم في الصف الدراسي هي الأمر المطلوب، كما طلب بتشجيع الطلاب على القراءة المستقلة.

ولقد تعرض سليمان Solaiman (1995) بدراسة حول المشكلات القائمة على دراسة مهارات اللغة الانجليزية، وضعف الطلاب في القراءة، وأشار بأن الضعف ينبع من المستوى التعليمي للطلاب، ومن مدى استخدام اللغة والاحتكاك بالناطقين باللغة الانجليزية، وأوصت الدراسة بأنه إذا تم رفع المستوى التعليمي وزاد استخدام اللغة، وكثر الاحتكاك مع الناطقين بها فلن تكون هناك استراتيجيات علاجية¹.

كما قام عوض (1999) بالحديث عن مشكلات تدريس اللغة الانجليزية في المرحلة المتوسطة، التي تواجه مدرسي اللغة الانجليزية أثناء تدريسهم في مدارس التعليم العام في منطقة القصيم، وبلغت عينة الدراسة

(228) معلماً، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي، بالاستعانة بالاستبيان، أما النتائج كانت أهمها: نجاح الطلاب في الامتحانات دون إتقان مهارات اللغة الأربعة، عدم توفر المعامل اللغوية ووسائل التعليم التقنية في المدارس، تركيز المقرر على قواعد اللغة الانجليزية فقط وليس المهارات، وأيضاً الاعتقاد السائد لدى الطلاب بصعوبة تعلم اللغة الانجليزية².

في حين تناول الخطيب موضوع الصعوبات التي يواجهها الطالب الليبي في تعلمه للغة الفرنسية في الجامعة (2009)، إذ عند تخرجه لا يكون قادراً على تعلمها ولا على متابعة تعليمه الجامعي. وأكد الباحث انه لتحسين مستوى اللغة الفرنسية في الجامعة لا بد من توافر كادر تعليمي تربي مؤهل قادر على إتقان المهمة الموكلة إليه، وبرنامج يلبي احتياجات الطلاب، و مناهج تحقق أهداف البرنامج التعليمي. ويشير الباحث انه إذا توافرت المعطيات السابقة فان الوصول إلى المستوى المطلوب يتطلب أن يبدأ المتعلم دراسة اللغة الفرنسية من سن السادسة أو في أصعب الظروف في سن الثانية عشرة وليس في مرحلة الجامعة، الذي يمكنهم من تدريس اللغة مستقبلاً أو متابعة تعليمهم الجامعي، ويجنبهم كثير من الصعوبات.

أما دراسة عتمة (2009) تطرقت إلى التعرف على الصعوبات التي تواجه طلاب قسم اللغة الفرنسية في جامعة النجاح في تعلم اللغة الفرنسية في مدينة نابلس، وقد خرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها: أن الطلاب يواجهون صعوبات كثيرة في تعلم اللغة الفرنسية، مما يؤدي إلى عدم امتلاكهم المستوى الكافي والمناسب (مستوى بكالوريوس مناسب قادراً على تعليم لغة فرنسية)؛ هذه الصعوبات إما أن تكون مرتبطة باللغة، والمدرسين في القسم، وإما أن تكون صعوبات نفسية أو ثقافية؛ أما الصعوبات اللغوية، فهي تندرج ضمن صعوبات تعلم القواعد والمفردات والاستيعاب الكتابي، وممارسة البحث، وتنجم عن قلة استعمال اللغة، والصعوبة في استخدام المفردات داخل النص المناسب، ووجود كلمات متعددة المعاني³.

هدفت دراسة سعاد معروف (2012) إلى تناول " اتجاهات طلبة نحو اللغة الانجليزية وعلاقتها بالتحصيل لدى الجنسين في ضوء أنماط الإدارة الصفية السائدة للتحقق من بعض الأسباب التي من المحتمل أنها تؤثر على حاصل تعلم اللغة الإنجليزية

¹ عمر الفاروق، مشكلات القراءة كمهارة في اللغة الانجليزية بين الأسباب والعلاج، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، www.wata.cc/site/researches، تاريخ الدخول 29 أكتوبر 2013.

² سعاد معروف، اتجاهات الطلبة نحو اللغة الانجليزية وعلاقتها بالتحصيل لدى الجنسين في ضوء أنماط الإدارة الصفية السائدة، دراسة ميدانية على عينة من طلبة الصف الأول الثانوي في ثانويات دمشق الرسمية والخاصة، مجلة جامعة دمشق، العدد 2+1، مجلد 26، 2012، ص 43.

³ منار عبد المنعم فوزي العكر، صعوبات تعلم اللغة الفرنسية في مدارس الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين، رسالة الماجستير في تخصص المناهج وطرق التدريس، جامعة النجاح الوطنية، 2011، ص 53-54.

للطلاب في تايوان، ومعرفة المنظورات حول تعلم اللغة الإنجليزية بين المختصين بغير الإنجليزية في تايوان. حيث أنشئ استبيان تعلم اللغة الإنجليزية. ويتألف من جزأين (1): خمسة عشر سؤالاً مغلقاً-منتهياً، (2): وسؤالين مفتوحين- منتهيين، لـ 346 متعلماً للغة الإنجليزية على مستوى-الجامعة في تايوان. وأظهرت النتائج بأن معظم الطلاب كانوا يملكون خوفاً أو مشاعر غير سارة حول تجاربهم الماضية في تعلم اللغة الإنجليزية، وكان الطلاب من الاختصاصات المختلفة لهم منظور مختلف حول تعلم اللغة الإنجليزية.

تعقيب على الدراسات السابقة: من خلال الدراسات المعروضة نجد أن دراسة كيتاو (1994) ودراسة سليمان (1995) اتفقت من حيث تطرقها إلى مشكلة مهارة القراءة في اللغة الانجليزية بخلاف دراسة القصيم (1999) التي تناولت مشكلات التدريس التي يتلقاها المعلمون، كما اتفقت دراسة الخطيب (1999) ودراسة عتمة (1999) في الحديث عن صعوبات تعلم اللغة الفرنسية، كما لم تحدد كل الدراسات المنهج المتبع ماعدا دراسة سعاد معروف ودراسة القصيم:

الإجراءات المنهجية :

مكان الدراسة: تم إجراء الدراسة في ثلاثة إكماليات التابعة لوهران، وهي إكمالية كرزازي عبد القادر، وشكيب أرسلان، نميش عبد القادر.

عينة الدراسة :

بالنسبة للأساتذة: عدددهم عشرة (10)، اختيروا بطريقة مقصودة لأنهم مكلفين بتعليم اللغة الانجليزية.

بالنسبة للأولياء: عدددهم ثلاثين (30)، اختيروا بطريقة عشوائية:

10- سلمت لهم بطريقة مباشرة وهذا أثناء مجيئهم لانتظار أبنائهم لمغادرة مقاعد الدراسة.

20- سلمت للتلاميذ بعد أن أعلمناهم أن هناك استبيان يوجه للأولياء ومن لديه الرغبة لتسليمه لهم وإرجاعه بعد ملئه.

مواصفات العينة :

بالنسبة للأساتذة: تم اختيارهم بطريقة مقصودة لأنهم مكلفون بتدريس مادة اللغة الانجليزية.

متغير الجنس والخبرة المهنية: جدول رقم (1) يبين جنس والخبرة المهنية للأساتذة الدراسة.

المجموع]20-15]]15-10]]10-5]]5-0]		الخبرة الجنس	
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
40	04	20	02	10	01	10	01	/	/	الذكور
60	06	30	03	10	01	20	02	/	/	الإناث
100	10	50	05	20	02	30	03	/	/	المجموع

من خلال الجدول رقم (1) يلاحظ أن الخبرة المهنية لعينة الدراسة مارست مهنة التدريس أكثر من خمسة عشرة سنة، فيما تقاربت بين الذين قاموا بمهنة التدريس بين خمسة وعشرة سنوات، ويمكن تفسير ذلك أن مدرسين الدراسة قد اكتسبوا أساليب تدريس اللغة الانجليزية عبر سنوات خدمتهم.

عينة الأولياء :

متغير الجنس و المستوى التعليمي : جدول رقم (2) يبين المستوى التعليمي للأولياء الدراسة .

م. التعليمي		أمي		ابتدائي		إكمالي		ثانوي		جامعي		المجموع	
جنس الولي		%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك
الأمهات		/	/	00	00	16.66	05	30	09	23.33	07	70	21
الآباء		/	/	3.3	01	6.66	02	13.33	04	6.66	02	30	09
المجموع		/	/	3.3	01	23.66	07	43.33	13	30	09	100	30

من خلال الجدول رقم (2) يظهر أن معظم الأولياء يتمتعون بالمستوى الدراسي الثانوي حيث قدرتهم نسبتهم بـ 43.33%، لتليها نسبة الأولياء الذين يحملون شهادة جامعية، ويمكن تفسير ذلك أن أولياء الدراسة لهم دراية بمكتسبات ومبادئ اللغة الانجليزية وطرق تدريسها.

أدوات الدراسة : استعنا باستبيان وجه لأساتذة والأولياء يضم سؤال مفتوح من أجل جمع المعطيات من واقع المؤسسة التربوية، والمجتمع الجزائري، وتمثل السؤال فيما يلي: ماهي صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة؟ ماهي صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأولياء؟

ولكن الاختلاف كان من حيث البيانات الشخصية للعينتين إذ طلب من المدرسين ملء خانة:

بالنسبة للأساتذة : الجنس ، الخبرة المهنية.

بالنسبة للأولياء: الجنس، المستوى التعليمي.

عرض ومناقشة نتائج الفرضيات :

الفرضية الأولى: يرجع الأساتذة صعوبات تعلم اللغة الانجليزية إلى العوامل التربوية والشخصية.

جدول رقم (3) يبين صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة.

الذكور		الإناث		صعوبات اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة	رقم
%	ك	%	ك		
40	4	50	5	عدم تدريس جميع المواد باللغة الانجليزية.	1
40	4	60	6	الحجم الساعي لتدريس اللغة الانجليزية غير كافٍ.	2
20	2	40	4	عدم دراية الأساتذة بطرق التدريس باللغة الانجليزية.	3
20	2	30	3	محتوى الكتاب غير مناسب.	4
40	4	50	5	غياب المخابر مجهزة بأشرطة التسجيل لأجل الاستفادة من حصص النطق.	5
30	3	60	6	عدم مشاهدة مواد تعليمية لغوية تعرض عن طريق الحاسوب.	6
30	3	50	5	عدم اهتمام الأولياء باللغة الانجليزية كمادة كالرياضيات أو العلوم.	7
20	2	40	4	عدم الاستعانة بالوسائل التعليمية لتدريس اللغة الانجليزية.	8
20	2	50	5	الاهتمام بالجانب النظري دون التطبيقي	9
30	3	60	6	عدم القدرة على التمييز بين قواعد اللغة الفرنسية والانجليزية.	10
40	4	60	6	تداخل بين اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية عند التلميذ.	11
30	3	50	5	عدم إدراك التلميذ لأهمية دراسة اللغة الانجليزية.	12
20	2	30	3	عدم إمتلاك مهارة التحدث الخاصة باللغة الانجليزية.	13
30	3	40	4	عدم إهتمام الأولياء بواجبات أبنائهم المتعلقة باللغة الانجليزية.	17

يظهر الجدول رقم (3) ومن خلال ما صرح به الأساتذة عوامل هي شخصية ومتعلقة بالتلميذ من حيث عدم قدرته على التفرقة بين أصوات وحروف اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية والتي ظهرت عند جميع الأساتذة (60% عند الأساتذات، و40% عند الأساتذة الذكور)، وعوامل تربوية والمتعلقة بالأستاذ والذي عليه أن يستعين بالأساليب التعليمية المتوازنة والتي ستقود المتعلم حتماً إلى إكتساب اللغة، وتترك لهم الحرية في النطق، ويشجعهم على استخدام ألفاظ لغوية من كلمات، وجمل، وعبارات باللغة الانجليزية مع عدم الاعتماد على المحادثة باللغة العربية، فهو بهذا يقودهم إلى تحسين تصورهم، وتعديل إدراكهم بأن اللغة هي في متناول الجميع، ويمكن أن تلقن دون الاعتماد على الترجمة الحرفية، مع تصريحهم بضرورة الاعتماد على الوسائل المسموعة والمرئية، والقيام بالأنشطة التعليمية التعلمية التي تتطلبها، وتقدير جهود مدرسيها، واقتناء الكتب ذات العلاقة

المنشورة بها، والرغبة في التواصل مع أصحاب اللغة الأصليين، والناطقين بها، وعوامل اجتماعية والمتعلقة بالدرجة الأولى بالأسرة كعدم اهتمامها باللغة الانجليزية كوحدة منفردة عن باقي المواد. ولعل هذا ما يتفق مع دراسة كيتاو (1994)، ودراسة سليمان (1995)، ودراسة عوض (1999)، ودراسة عتمة (2009) وهذا ما يجعلنا نقبل فرضية البحث المطروحة.

الفرضية الثانية: يرجع الأولياء صعوبات تعلم اللغة الانجليزية إلى المدرس بالدرجة الأولى.

جدول رقم (4): يبين صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأولياء

رقم	صعوبات اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأولياء	
	ك	%
1	11	36.66
2	17	56.66
3	23	76.66
4	09	30
5	09	30
6	13	43.33
7	16	53.33
8	21	70

من خلال الجدول رقم (4) يمكننا تقسيم عوامل صعوبات تعلم اللغة الانجليزية وحسب ما صرح به الأولياء إلى عوامل تربوية وأخرى اجتماعية ولم يُشار كل ما له علاقة بالتلميذ لدا يعطون الأولوية لإختيار معلمين اللغة الإنجليزية بكل عناية وحرص في جانب مهارات الكتابة والقراءة والإنشاء اللغوي والبلاغي لإيصال المعلومة للتلميذ مع تدريبهم وإعدادهم الإعداد المطلوب، وفقاً لمنهج لتعلم اللغة الإنجليزية لرفع الحاجز لدى المتعلمين، والارتقاء بهم، وحتى يطور التلميذ لغته يجب رعايته من قبل أوليائه، وتصحيح أخطائه اللغوية، وتوفير له كل الفرص التي تزوده بالمعارف من خلال الاقتناء له الأشرطة التعليمية، ومراقبة مستواه الدراسي خاصة إذا كان الوالدين يتمتعان بالمستوى الثقافي التعليمي لا بأس به، والذي يثير حوافزه، ويضبط سلوكه اللغوي، صف إلى ذلك فإن الاستعمال اللغوي للأولياء حتى وإن كانوا مثقفين فإنهم يتحدثون باللغة الفرنسية أكثر من اللغة الانجليزية، ومشاهداتهم للبرامج أو الحصص التلفزيونية تكون بالفرنسية أكثر؛ وهذا ما يتفق مع ما جاءت به دراسة سعاد معروف (2012). وهذا ما يجعلنا نرفض فرضية البحث المطروحة التي تقول أن المدرس تحمّل مسؤولية صعوبات تعلم اللغة الانجليزية بالدرجة الأولى.

خاتمة :

إن اللغات هي الوسيلة الأولى في تحصيل المعرفة ، وتنميتها، واللغة بالنسبة للطفل هي الأداة التي يعتمد عليها في الاتصال بالبيئة، وكسب الخبرات المباشرة ؛ لذلك كانت سيطرته عليها في سنواته الأولى أمر بالغ الأهمية من الناحية التربوية ؛ وبمأن اللغة الانجليزية هي مادة مقررة لدى التلميذ علينا أن نقوم بمراجعة بداية تعلمها، مع اختيار معلمين اللغة الإنجليزية بكل عناية وحرص في جانب مهارات الكتابة والقراءة والإنشاء اللغوي والبلاغي لإيصال المعلومة لدى الطلاب، بكل سهولة حتى تكون سهلة الهضم لديهم، دون عناء ومشقة.

قائمة المراجع :

الكتب :

- 1- الدليبي طه علي حسين، الوائلي سعاد عبد الكريم عباس، اللغة العربية مهاجها-وطرائق تدريسها، دار الشروق عمان، الأردن، 2005.
- 2- بدير كريمان، التعلم الايجابي وصعوبات التعلم رؤية نفسية تربوية معاصرة، مصر القاهرة، عالم الكتب، 2006.
- 3- دانيال هالاهان، جيمس كوفمان، جون لويد، مارجريت ويس، اليزابيث مارتينز، ترجمة عادل عبد الله محمد ، صعوبات التعلم-مفهومها-طبيعتها-التعليم العلاجي، دار الفكر، الأردن، 2007.
- 4- صالح بلعيد، علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008.
- 5- عليان أحمد فؤاد، المهارات اللغوية ماهيتها وطرائق تدريسها، دار المسلم للنشر، الرياض، 1992.
- 6- غافر مصطفى، طرق تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، ومهارات التعلم، دار السلام للنشر، الأردن، 2005.
- 8- مراد علي عيسى، وليد السيد خليفة، كيف يتعلم المخ ذو صعوبات الكتابة والعسر الكتابي، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، 2007.
- 9- محمد بن أبي بكر بن عبد الفتاح الرازي، مختار الصحاح، ط: 9، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1962.
- 10- محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم اللغة العربية، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1986.
- 11- نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 1990.

المجلات :

- 12- الخولي محمد علي، العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة الثانية وكيفية تحسن تعليمها، دراسة منشورة، حولية كلية التربية السنة السابعة ، العدد السابع ، قطر، 1980.
- 13- حمار فتيحة، واقع تعليم اللغة الأجنبية في الثانوية الجزائرية-دراسة ميدانية في ثانويات بلدية بن عكنون، مجلة دراسات نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، العدد: 8، 2012.

14- سعاد معروف، اتجاهات الطلبة نحو اللغة الانجليزية وعلاقتها بالتحصيل لدى الجنسين في ضوء أنماط الإدارة الصفية السائدة-دراسة ميدانية على عينة من طلبة الصف الأول الثانوي في ثانويات دمشق الرسمية والخاصة، مجلة جامعة دمشق، العدد 2+1، مجلد 26، 2012.

الأطروحات أو الرسائل :

15- أبو حجاج أحمد زينهم، تنمية مهارات التعبير الشفوي والقراءة الجهرية لدى تلاميذ الصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا، 1993.

16- إيمان محمد ترسن، أهمية استخدام مواقع تعليم اللغة الانجليزية على شبكة الانترنت في تحسين مهارة الاستماع والتحدث من وجهة نظر معلمات ومشرفات المرحلة الثانوية بمدينة جدة، رسالة الماجستير في المناهج وطرق تدريس اللغة الانجليزية، جامعة أم القرى، 1429هـ.

17- فارع قائد دبان على، واقع طرق تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، 1987.

18- منار عبد المنعم فوزي العكر، صعوبات تعلّم اللغة الفرنسية في مدارس الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين، رسالة الماجستير في تخصص المناهج وطرق التدريس، جامعة النجاح الوطنية، 2011.

الانترنت :

19- عمر الفاروق، مشكلات القراءة كمهارة في اللغة الانجليزية بين الأسباب والعلاج، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، www.wata.cc/site/researches، تاريخ الدخول 29 أكتوبر 2013.

باللغة الأجنبية :

19-Curran , Charles. "Counselling – Learning , in Methods That Work : A smorgasbord of ideas for Language Teachers" . Edited by John W. Oller and others . London : Rolley , Newbury House Publishers , 1983

20-Gauntelett , J . Teaching English as a Foreign language . London Macmillan and co Ltd, 1975

-21-Mackey , William Francis , "Teaching Analysis" Hong Kong : Longman group Limited , 8th ed, 1981

22-Rivers , wilga M . Teaching Foreign Language Skills . 2nd edition , U.S.A , The University of Chicago press, 1980

سؤال الكلام الجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

د.سنوسي سامي/جامعة أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر

ملخص:

تعد هذه الأسطر محاولة لبيان أهم النظريات في الفكر الفلسفي والكلامي الإسلامي، ولهذا تجلت أهمية هذه الدراسة في الوقوف على تاريخ تجديد التفكير الديني في العصر الإسلامي الحديث والمعاصر، مبيّنة ذلك في الفلسفة الدينية الناقدة للعقلانية السائدة، وقد بدأت باجتهادات الأفغاني ومحمد عبده في محاولتهم لإحياء الفكر الديني، وهي الآن تُطرح مقتضياتها في شكل نظريات تُهندس لبناء العقلانية الجديدة، وقد فضّل الكثير من المجددين المعاصرين تسميتها بفلسفة الدين أو علم الكلام الجديد، الداعي إلى بناء فكر إسلامي قائم على الروح الحوارية العالمية.

الكلمات المفتاحية: الفكر الديني، الفكر الفلسفي، علم الكلام الجديد، فلسفة الدين. نقد .

Abstract :

These lines are an attempt to illustrate the most important theories in the philosophical and Islamic thought. the importance of this study is to identify the history of the renewal of religious thought in the modern and contemporary Islamic era, it began with El Afghani and Mohammed Abdou to rebuild the religious thought., and now put forward its requirements in the form of theories engineered to build the new rationalism, and many modern innovators preferred to call it the philosophy of religion or the new science of speech, which calls for the construction of Islamic thought based on the spirit of global dialogue

Keywords: religious thought, philosophical thought, new theology, philosophy of religion. critic .

مقدمة:

لئن مرت القرون الزمنية على تولي الوضع الحوارى بين المسلمين وغيرهم، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض المحاولات لإعادة بعث ذلك الوضع، خاصة وأن الظرف الحضارى خارج التاريخ هو حديث الساعة، فلا يخفى على أي مسلم أن أغلبية البقاع في الحواضر الإسلامية تعيش المرحلة التهيبة، متخبطة في الدرك اللاحضارى

إن هذا المستوى لا يسمح البتة بالتقدم، ولو بدرجة نحو الأمام، وطالما أن الوضع هكذا، فلا يسعنا. نحن المسلمين. سوى الكلام وإثارة الكلام حول ذلك السبب الذي نقل أسلافنا الموحدين، من حالة خارج التاريخ نحو وضع آخر استطاعوا فيه الفعل في التاريخ، وبالتالي القيام بحضارة دامت قرونا زمنية، وعليه، إن الكلام له كل الدور في كشف العلل، لكن للأسف ليس كل الكلام كلام، بل فيه من النباهة إلى حد الحكمة والفلسفة الحقيقية، وهذا الكلام محمود وقليل الوجود؛ وفيه من التفاهة إلى درك السفسطة، وهذا النوع من الكلام مذموم و كثير الوجود، لكن الإشكالية اليوم في واقعنا الإسلامى، كيف نتكلم كلاما مفيدا؟ هل نتكلم عن كيفية كلام أسلافنا صانعي التاريخ ومن ثمة نحاكمهم في الكيفية علنا نظفر بما ظفروا؟ بمعنى آخر كيف نؤسس لعلم الكلام الذي من خلاله نصنع التاريخ من جديد؟، وهنا، هل المعضلة بخصوص علم الكلام الإسلامى في بحثه أم في بعثه؟ أم أن الأمر يقتضى ناظما تأسيسيا جديدا لكلام آخر تماما؟ والمغاير بذلك لطبيعة الكلام العقائدى الذي ساوق قوة حضارتنا الإسلامية، وامتاز تاليا بالقوة العقلانية الحوارية إلى حد شهد له أغيارنا بقمة المناظرة في كل الأديان السماوية.

ونجمل قولنا في أن المسلمين أدركوا بالإجماع دركهم غير المحسودين عليه، وبالتالي اتفقوا جميعا على أن الحل يكمن في استقراء ما أعلى من وجود أسلافهم، وهو إعادة النظر في كيفية جعل الإسلام صالحا لزمان أذن بموت المقولات التي صنعها أسلافنا، لكن هذا الحل سرعان ما تحول إلى إشكالية أخرى، مفادها، ماذا تتطلب إعادة القراءة للدين الإسلامى؟ هل الدين نقرؤه بالآليات التراثية؟ أم باستحداث آليات أخرى من شأنها استيفاء القراءة وبلوغ الغرض من هذا السعي؟ وفي هذا الفلك التفكيرى والتجديدي، تبلورت رؤى متفاوتة العمق والتوجه، حتى حاد بنفر من مفكرينا بتسمية هذا العمل بالاجتهاد والإصلاح الدينى، كما جعل البعض الآخر يصطلح عليه بالتجديد في التفكير الدينى، وانتهى الثالث إلى التصريح بأن هذه حلقة أخرى في علم الكلام، والأحرى أن نسميها علم الكلام الجديد، وما دام الأمر يتراوح بين الدين والجدة في فهمه، فلا بأس بإطلاق مصطلح الفلسفة العقدية المحدثة على كل ما أشار إليه مفكرون الإسلاميون في العصر الحديث والمعاصر، سواء أكانوا تراثيين أم حديثيين، إصلاحيين اتصاليين أم تجديديين انفصاليين.

في أصل الكلام وفصله:

من الأوليات واليقينيات المبرهن عليها أن الكلام كعلم، أو ما عهدنا تسميته بعلم الكلام، قد نشأ بسبب الكلام الإلهي، وفي الكلام الإلهي، وحول الكلام الإلهي، أما السبب فليس يخفى على أحد الموحدين أن علم الكلام الإسلامى، برز أول ما برز مع إعجاز الكلام الإلهي أو القرآن لسائر بلاغة الكلام البشرى من شعر ونثر، أما الاحتواء، فيتضح رأسا في عمق إثارة المسائل والاستدلال عليها والجدل حولها، وهذا دوما بتسليم الكلام الإلهي كعقيدة لكل مشروع كلامى، سواء كانت المناظرة مع أهل التوحيد أو مع غيرهم، ولما كان ذلك كذلك، سيكون دور المتكلم فقط حول الكلام الإلهي، إقناعا ودفاعا، وطالما أن الله تعالى أرسل كلامه العظيم إلى أهل العقول من خلقه، فذلك أكبر بيان لعظمة هذا العقل، لأن به يحدث التعاقل بين السماء والأرض، ومن دونه يخلو الإنسان من آية التكريم الإلهي.

ولما بان أن الفاهم الوحيد للكلام الإلهي هو العقل، سيكون حتما هو الصانع الوحيد للكلام حول هذا الكلام العظيم، وهنا نستحضر قول القاضي عبد الجبار المعتزلى في حد الكلام فيقول: "والذي نختاره في حد الكلام أنه ما حصل فيه نظام

مخصوص من هذه الحروف المعقولة، حصل في حرفين أو حروف، فما اختص بذلك وجب كونه كلاماً، وما فارقه لم يجب كونه كلاماً، وإن كان من جهة التعارف لا يوصف بذلك إلا إذا وقع ممن يفيد أو يصح أو يفيد، فلذلك لا يوصف منطلق الطير كلاماً، وإن كان قد يكون حرفين أو حروفاً منظومة⁽¹⁾، إذن يتضح مع شيوخ المعتزلة، أن الكلام نسق من المنطوقات والمسموعات شريطة أن تكون معقولة في ذاتها، أو من طرف تناولها، إن سمعنا أو قرأنا، وهذا كله بغض النظر عن طبيعة الكلام وحدوده المحتملة، إذ ليس كل حرف ينطق ويسمع يفهم ويعقل، لهذا يشير القاضي مرة أخرى إلى حكم أبي علي الجبائي بخصوص امتناع طبيعة الحروف عن لزومية الصوت، وبذلك يبين أن المكتوب والمحفوظ كلاهما كلام، وإن لم يقارنهما صوت⁽²⁾

وها هنا نعمل القول في أن الكلام هو الخطاب الذي يعبر عن معاني يتسنى للسامع فهمها، مع لزومية الغرض من طرف الواضع للكلام، وطالما أن علم الكلام الإسلامي سببه الرئيس هو الكلام الإلهي، سوف يكون أرفع العلوم وذلك بسبب تعلقه بأشرف معلوم، كما سيكون المتكلم أرفع العلماء لأنه الباحث في أصول الدين التي هي المقدمة لباقي الفروع، وبعد هذا التمهيد الموجز لا بد تالياً من الوقوف على بعض تعاريف علم الكلام الإسلامي، وذلك لضرورة فهم طبيعة الكلام وغرضه بصفة شمولية، ومدى الحاجة إليه.

يكاد يتفق دارسو الفلسفة الإسلامية والعقيدة أن علم الكلام موضوعه الكلام الإلهي، من جميع نواحيه، ثم أن مهمته والغرض منه في الأصل، الدفاع عن هذا الكلام نفسه، وأثناء عملية الدفاع هذه يتشكل الخطاب الذي نسميه بعلم الكلام، وقد وضع أبو حامد الغزالي مقصوده "في حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد أنبى الله - تعالى - إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم"⁽³⁾، والمتأمل يجد الغزالي قد تكلم عن علم الكلام، من جهة القصد والغاية، وبالتالي حصر مقصوده في الهوية الدفاعية، ومن ثمة ينطوي عمل المتكلم في الدفاع عن العقيدة التوحيدية ضد أهل البدعة من باقي الملل، وحسب الغزالي إذن، يدرج علم الكلام ضمن العلوم الإسلامية الظرفية والتي هي من اختصاص الخاصة من العلماء، وليس البتة من شأن العوام وقد بين ذلك بالتفصيل في مصنف "إلجام العوام عن علم الكلام".

هذا وقد حده الفارابي بالوظيفة الإنتاجية في قوله: "صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"⁽⁴⁾، وقد جرت العادة عند القدماء إطلاق لفظة صناعة ومعناها الحالي "علم"، وبذلك قصد الفارابي بلفظة صناعة الكلام، علم الكلام، وبه يتم الانتصار للدين تارة، والدفاع عنه أخرى، وهنا تكون الوظيفة الإنتاجية لإنتاج الكلام، أو كما اصطاح الفارابي عليها بالأقاويل، فعلم الكلام إذن من العلوم النظرية والملازم لقضايا العقيدة القائمة على بيان الحجج العقلية لتحلية الإيمان بالإيقان، وللتذكير فإن تعريف ابن خلدون يقترب من هذا المقصد، في قوله: "هو الحجاج في العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية"⁽⁵⁾.

إذن يمكننا إجمال الغاية من التعاريف السابقة التي قدمها علماء الكلام والحكماء في الطبيعة العامة لعلم الكلام الإسلامي، إذ من جهة هو العلم المتعلق أساساً بالدين أو الكلام الإلهي، ومن جهة أخرى هو تلك الممارسة النظرية العقلية المجردة المتعلقة أساساً بالدفاع والإقناع للدين، وبمعنى آخر، قد نلخص الهويات الكلامية في هوية واحدة مشتركة، وهي

(1) القاضي عبد الجبار، المغني، كتاب خلق القرآن، تقويم إبراهيم الأبياري، إشراف: طه حسين، د، ط، ص: 6.¹

(2) المصدر نفسه، ص: 7.²

(3) الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال، تحقيق سعد كريم الفقي (الإسكندرية: دار ابن خلدون، د.ت) ص: 13.³

(4) الفارابي، إحصاء العلوم، (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1991) ص: 41.⁴

(5) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط1 (القاهرة: دار الفجر للتراث، 2004) ص: 551.⁵

الموضوعات النظرية والغاية الدفاعية، إذ لا يخفى على دارسي الكلام أن قضاياها مجردة، تماما كالقضايا الميتافيزيقية في الفلسفة، وهذه نقطة قوة في علم الكلام، لأن بصحة مسأله تتبعها باقي القضايا الفرعية بالصحة والعكس بالعكس، وإذا كانت هذه عجالة حول تاريخ الكلام الإسلامي الأصيل، والذي لازم زمن قوة الحضارة الإسلامية، فماذا عن البوادر التي وافقت عصر النهضة العربية الحديثة؟.

إعادة النظر في المسائل العقيدية من الوجهة التاريخية:

لقد دعت الضرورة الحضارية للمسلمين لإعادة طرق القضايا الدينية، ومحاولة رد الاعتبار لأهم مسألهما، أو بمعنى آخر، البحث في أصول الدين، وعصرنتها وما يقتضيه الراهن المتخلف، لاسيما وقد مر على جغرافيا الحضارة الإسلامية التوحيدية. بعد سقوطها. العديد من الإستعمارات، ولا شك أن البادرة الأولى كانت مع بدايات عصر النهضة الإسلامية والعربية، وكان ذلك بطبيعة الحال مع اجتهادات جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده.

أما الأول فقد كتب مصنفا عنوانه بالرد على الدهريين، وهو في صميم الجدل في العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، كما ألف العروة الوثقى وفيه شخص مرض الأمة الإسلامية فيقول في إحدى الأسطر: "مضت سنة الله في خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانا على الأعمال البدنية، فما يكون في الأعمال من صلاح أو فساد، فإنما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على ما بينا في بعض الأعداد الماضية، ورب عقيدة واحدة تأخذ بأطراف الأفكار⁽¹⁾ فيتبعها عقائد أخرى، ومدركات أخرى، ثم تظهر على الدين بأعمال إذا عرضت على الأنفس في تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها الإشتباه على السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبيلها أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة"، وهنا بين الأفغاني أن الأعمال البادية (الظاهرة) كلها تنشأ عن قوة الدين من حيث أصوله، أو كما أسماها قوة العقيدة، ولا شك أن العقيدة هي مدى انعقاد رباط المعتقد على جوهر المعتقد، والعقيدة الصحيحة هي المسؤول الأول عن التقدم، وكل خلخلة يصيبها يصيب حتما باقي الفروع من أعمال بشتى مقاصدها، معاشا ومعادا.

وما أصاب المسلمين من خذلان وسوء تحضر، كان يقينا من تسليمهم الخاطيء بعقيدة القضاء والقدر، التي هي من الله. عز وجل. وإن كان في ذلك تناس صاخر لضرورة الجهاد كفرض عين على كل مسلم ومسلمة، مع التسليم بمختلف الوسائل الجهادية، وهذا لحفظ الأوطان من أطماع أعداء الإسلام والمسلمين، ومع إغفال كلي لهذه العقيدة والمنزلة في غير منزلتها تخلف المسلمون وأصبحوا قابلين للإستعمار من طرف أعدائهم، ثم هيئات أن يأمر الله. تعالى. بالتسليم المطلق للقضاء والقدر.

ورأي الأفغاني يذكرنا بما حدث في عصور أوروبا الوسطى، التي كانت الشعوب فيها تتخبط في فلك التسليم بالقضاء والقدر حول عقيدة الخطيئة، وتحت رحمة الطاعة العمياء للربان، وما ينفك تاريخهم إلا مسرحية ألفها الله ولزاما على الإنسان أن يمثلها، والمقصود ههنا هو، أن الوسيطيين وبالخصوص النصرانيين لا مخرج لهم من التخلف والخذلان والوهن، لأن إلههم أراد لهم ذلك ولا مناص من شريعته، وإنما كان ذلك كذلك كي يتم التطهير، و يحدث التصالح بين أهل الأرض والسماء، ويبعث أهل الخطيئة إلى الملك السماوي وهم على درجة من النقاء والصفاء، وبعد كل هذا يأتي الخلود والبقاء، هذا الكلام أشبه بخلاصة بعض الأساطير القديمة، لكن. وللأسف. الأمر شبيه جدا بحالنا ونحن خارج التاريخ، نحن المسلمين والمسلمين بما قام به أجدادنا وآباؤنا الأولون، وكأن أخطاء حكامنا وملوكنا الأوائل ملزمون نحن بدفع ثمنها، وما كان عمل الاستعمار الحديث سوى رفع وتهفيت لعقيدة المسرحية الإلهية التي يمثلها الإنسان المخطيء.

(جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، تقديم: سيد هادي خسروشاهي، ط 1، (القاهرة، 2002) ص: 140.

وبهذا كان الأفغاني أول المصلحين الدينيين الإسلاميين في تاريخ النهضة العربية الإسلامية، خاصة عندما راح يطرح فهوما جديدة للعقيدة التوحيدية، وفي ضوء هذا الوضع الوهن، صاغ الأفغاني إشكالية الأمة وهي كيف يمكن لأمم الشرق الإسلامية قهر التخلف و اللحاق بالأمم المتقدمة على أساس من روح الشرق ذاته؟⁽¹⁾ ولعل هذا الإشكال كان من أول الإشكالات في التعقيد الجديد للفلسفة العقدية المحدثة، أو كما سنسميها في الأسطر التالية علم الكلام الجديد، ويذكرنا هذا الإنجاز بالإشكالية التاريخية التي قعدت. هي الأخرى. للفلسفة العقدية الأصيلة أو علم الكلام الإسلامي، وهي بطبيعة الحال: كيف يمكن خلافة رسول الله. صلى الله عليه وسلم. ومن سيخلفه؟، وعليه لا شك أن التعقيدين التأسيسيين، الأول والآخر، يتشابهان في أمرين مفصليين هما، السند العقدي التوحيدي، والغرض السياسي الإصلاحي، وعليه قامت الخلافة الإسلامية، ونشأت أحداث متتالية بعدها جعلت علم الكلام يصبح ضرورة حضارية، ولا ضير أن أوج تطور الحضارة الإسلامية، ساوق ذروة علم الكلام، وما نحن اليوم لازلنا نلاحظ مفكرينا يطرحون أسئلة النهضة والتحديث والاجتهاد الديني، وربما هذه الإشكاليات كلها لم تظفر إحداها بالتميز الحضاري، والخروج من دائرة التخلف، وبالتالي استدعى هذا الوضع، إعادة النظر بجدية في المنظومة المنهجية والمعرفية للتراث والحداثة على حد سواء.

هذا ولم يكن اجتهاد جمال الدين الأفغاني منغلق التأثير، بل تعدى مشروعه الإصلاحي العقدي إلى التأثير في المفكر الحديث محمد عبده، وأضحى مشروع هذا الأخير مجرد امتداد لأفكار شيخه، ويمكن تحديد بعض مواطن إشكاليته في مصنفه، "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، فهو يرى أن النصرانية فاقت المسلمين في التطور وهذا سببه أن المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب باقي الأديان الأخرى، كما أن الطوائف الإسلامية اقتتلت في نفسها بسبب الاعتقادات الدينية، وهذا ولم يتسامح المسلمون مع تطور العلم في ضوء الدين، وهو الأمر الحادث عند النصرانيين بكل أرياحية، وكانت النتيجة بالضرورة بلوغ أوروبا النصرانية المدنية، وإن ذلك حدث ببركة التسامح في الدين والفلسفة والعلم، وبلوغنا التخلف بسبب غياب ذلك التسامح⁽²⁾، وهنا يشخص محمد عبده مرض الأمة معتبرا إياه منحصرًا في الشرخ الواضح بين أهل الإسلام وأهل النصرانية، وهذا الفرق بين في كيفية التعامل مع العقل والحرية، ومن ثمة بعث أو إخماد المجهودات الفلسفية والعلمية لأي شعب كان، ولما كان عندنا. نحن المسلمين. الطغيان سائداً والتسامح في ميادين العلم والتعلم مغيباً، فلا تطور مشهود في الحال، ولا أمل فيه في المآل، لأن سنن الله تعالى. في خلقه محكومة بتلازم المقدمات والنتائج ضرورة، وطالما أن وضع الأمة في تغييب التسامح والحوار، فلا نتيجة تترجى إلا الوبال والتخلف، والمدنية النصرانية أكبر آية على ذلك، إلا أن يتوب المسلمون إلى رشدهم ويستبدلون الحوار مكان الصراع، والانغلاق مكان التفتح والتعابش، فيما بينهم وتاليا فيما بين غيرهم من باقي الأمم.

إن الإسلام في جوهره يدعو إلى التعايش والتحاور، وبذلك فهو عالمي، وليس جغرافيا تحتكره أمة على حساب أخرى، أو قومي بصيغة أيديولوجية، وعليه يكون محمد عبده كذلك من المجددين للرؤية العقدية في الإسلام، خاصة وقد كتب في موضع آخر مصنفًا في صميم الفلسفة العقدية المحدثة، عنوانه: "رسالة التوحيد"، فيقول في مستهلها: "دعيت لتدريس بعض العلوم ومنها علم التوحيد، رأيت أن المختصرات في هذا الفن لا تأتي على الغرض من إفادة التلاميذ، والمطولات تعلق على أفهامهم، والمتوسطات ألفت لزمان غير زمانهم، فرأيت من الأليق أن ألمي على الفرقة الأولى في أسلوب لا يصعب تناوله، وإن لم يعهد تداوله"⁽³⁾، وهنا صرح الشيخ محمد عبده أن واقع الأمة لم يسمح بتدريس علم التوحيد أو الكلام بالطريقة المعهودة

(مجدي عبد الحافظ، جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997) ص: 96.

(محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ط2 (القاهرة، 1983) ص: 15.

(محمد عبده، رسالة التوحيد، (دار الأفاق، ط1، 2006) ص: 3.

الكلاسيكية والتميزة أساسا بالتعقيد، لما في نصوص علم الكلام رصانة وإحكام في الأسلوب، ولما كانت أفهام التلاميذ قاصرة عن ذلك لأبد تاليا من إعادة النظر في تبسيط تلك الطريقة القديمة، وهذه محاولة من الشيخ لتجديد الدرس العقدي والكلامي، ومسايرته بما يقتضي درجة عقول المتناولين له، وهم في أمة تعاني ويلات التخلف بكل تشظياته.

إن هذه الفترة التي حاول فيها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إعادة النظر في قضايا العقيدة الإسلامية، بصفتها العقيدة التوحيدية الصحيحة، تسمى بمرحلة بوادر عصر النهضة العربية الحديثة، فضلا عن المجددين المذكورين سالفا، ظهر كذلك نفر آخر من الداعين إلى التجديد على نفس خطى السابقين، ومنهم: شبلي النعماني الذي قرر أن المسألة في التجديد الكلامي، وذلك في كتابه: "علم الكلام الجديد"، لأن علم الكلام القديم كان منصبا فقط على بحث العقائد الإسلامية، بينما يزيد عليه علم الكلام الجديد بالمسائل الإنسانية، من اجتماعية واقتصادية وأخلاقية وغيرها⁽¹⁾، وبعبارة أخرى كما احتلت الفلسفة المسائل الكلامية في عصر ضعف الحضارة الإسلامية، أو في طريق ضعفها، يحدث الآن العكس، وبذلك يشمل علم الكلام المعاصر مسائل الفلسفة الإسلامية المعاصرة، خاصة وقد شاع طرح كل مسائل المسلمين في الفلك الديني، فلم تصبح السياسة سؤالا لوحده، ولا الاقتصاد ولا المجتمع، بل وأصبح سؤال الإسلام كدين ونص، يطرح يوميا في الحوارات والمناظرات العالمية المعاصرة، لهذا لا مناص من الإعلان عن دورة أخرى لعلم الكلام. إن علم الكلام المعاصر في رأي شبلي النعماني مبدئيا يشمل كل قضايا المسلمين، في معاشهم ومعادهم، فيما بينهم وفيما بين غيرهم، وبهذا ينشأ الحوار الدائم بين الشعوب للتفاهم والتعارف والتواصل.

كما نجد المفكر الهندي محمد إقبال، اجتهد كذلك في تجديد الفكر الديني ومحاولة إحيائه، ويظهر ذلك جليا في كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام"، الذي أصبغه السمة الصوفية الوجدانية، التي كان علم الكلام القديم خاليا منها، وكأنه أراد أن يضيف على علم الكلام ما كان ينقصه ليكون مشتركا بين الخواص العوام، ونجده في هذا الكتاب مزج بصراحة ووضوح بين الأوجه الثلاثة للفلسفة الإسلامية وهي الكلام والتصوف والمشائفة.

لقد طرح إقبال في هذا الكتاب مسألة المعرفة الدينية والرياضة الدينية، عن التصوف، وطرح البرهان الفلسفي على ظهور التجربة الدينية، وهذا عن الفلسفة، وخصص بعد ذلك الألوهية ومعنى الصلاة للكلام الإشرافي⁽²⁾، وفي جوهر هذا الكتاب، يعد إقبال من المجددين في التفكير الديني، وطالما الأمر هكذا فإن المصنف أقرب إلى الفلسفة الدينية منه إلى علم الكلام القديم، وكذا أقرب إلى تفعيل الجدلية القائمة بين التجربة الدينية الذاتية، والتطور العلمي الموضوعي، أو ما عهدناه بالعلاقة الجدلية بين الدين والعلم، والدين والفلسفة⁽³⁾، وفي كلمة لقد بدأ الاجتهاد الكلامي الحديث والمعاصر من الشرق الإسلامي، فبعد محاولات الأفغاني ومحمد عبده وشبلي النعماني، يتناول إقبال مرحلة الإحياء، فالمشكلة إذن واضحة، وهي أن الفكر الديني الإسلامي القديم لم يعد ناجعا ومجديا لحل مشكلات العصر، لاسيما تلك التي تخص الواقع المفصلي للمسلمين وتحل قضاياهم.

إن الحالة هذه جعلت أحد المفكرين المعاصرين كذلك يطرح بعض الحلول وهو، وحيد الدين خان، الذي بين في كتابه "الإسلام يتحدى" عظمة العقيدة التوحيدية و إعجاز القرآن الكريم، وصلاح هذا الدين لكل زمان ومكان وإنسان، ولعل ذلك السر يتجلى في موافقة النظريات العلمية للآيات القرآنية، أو بمعنى آخر موافقة العقل العلمي للنص القرآني، وليس البتة كما يظن البعض بأن الأساطير السماوية تجاوزها العلم وأثبت يقينيته بالعقل والتجربة بعيدا عن الدين، لكن هذا الكتاب

(عبد الجبار الرفاعي، موسوعة فلسفة الدين. علم الكلام الجديد. ط1، (بغداد: مركز دراسات فلسفة، 2016) ص: 146.)

(حسن حنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، ط1 (بيروت: دار الهدى الإسلامي، 2009) ص: 484.)

(المرجع نفسه، ص، 484.)

أخفق في تمثيل رؤى إقبال الفلسفية الحرة في بناء فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد⁽¹⁾، والمقصود هنا هو إعراض القراء عن كتاب "الإسلام يتحدى"، وهذا ما جعله بعيداً عن الفكرية والعكس بالنسبة لمؤلفات إقبال.

إن كان هذا هو التوصيف للوضع الفكري الديني التجديدي في المشرق الإسلامي الأقصى، فماذا عن الوضع ذاته في المشرق الأوسط، أو بعبارة أخرى عند العرب المعاصرين، هل ثمة اجتهادات لاستحداث فلسفة عقديّة وكلامية جديدة؟

ابتداء سنتناول بعض المحاولات الأولى التي طرحت مشكلة التفكير الأصولي، ومنها حسن حنفي الذي ظل يناضل من أجل إحياء اليسار الإسلامي، وهذا ضد الزحف العلماني الطامس للهوية التوحيدية، فمن الكتب التي ألفها مبتغياً منها إصلاح الواقع الحضاري والديني، "التراث والتجديد"، يقول: "التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية، والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر، فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة"⁽²⁾، وبالتالي يرى حسن حنفي أن قيمة التراث في مدى تفعيله لمعالجة قضايا ومشكلات العصر، وعليه لا سبيل إلى التغني به كقيمة في ذاته، بل هو قيمة بقدر ما يقدم من آليات، فعلم الكلام القديم هو قيمة في محاولة بعثنا له وإحيائه وتجديده بطريقة جدلية كما يقول حسن حنفي.

هذا وتجدر الإشارة إلى مشروع أبي القاسم حاج حمد، الذي أراد من خلاله إعادة الاعتبار لمعجزة التاريخ الإنساني، وهو القرآن في بعده المنهجي والمعرفي، وقد أورد ذلك في كتابه "منهجية القرآن المعرفية"، يقول: "ثم أشرت إلى ملامح المنهجية المعرفية القرآنية والتي يتكشف مكنونها بداية من خطاب إلهي، حصري واصطفائي، موجه إلى أقوام محددة وانتهاء بخطاب عالمي يتسع للناس كافة، وأطر هذا الخطاب الإلهي وتدرجه التاريخي ومنتهيا بحتمية ظهور الهدى ودين الحق منهجاً للمعرفة"⁽³⁾، وبهذا بين أبو القاسم أن القرآن ظهر كتاباً لأمة الوسط لتكون شهيدة على الناس بالدليل والحجة، وهي مجرد حاملة لرسالة، وليست مصطفاهما، لهذا ينبغي على المسلم المعاصر أن يعد القرآن خطاباً كونياً، ولا بد تالياً من قراءته بصفة إطلاقية شمولية، لبناء مشروع أسلمة المعرفة والمنهج، أو أسلمة العلوم الطبيعية والإنسانية.

إن هذا العمل هو جدلية مناقضة ومناهضة لمنطق التأله الغربي في الأرض بعد انحطاط الأمة التوحيدية الإسلامية، وخروجها من التاريخ الحضاري، كما ألف أبو القاسم كذلك كتاب "جدلية الغيب والإنسان والطبيعة"، وفي متنه بين التناسق الأزلي بين هذه الأساسيات الوجودية، ويبقى الإنسان هو المصطفى بالأمانة، وبالتالي هو المسؤول عنها أمام التاريخ الكوني الكلي، ويعد أهل التوحيد من أوائل المكلفين، كونهم الحاملون لرسالة الرسالات ونبوة النبوات، وفي عبارة جامعة، المسلمون هم السبب الأول في ضياع وضمور المنهج القرآني كناظم أزلي للإنسان في الطبيعة، ولعزتهم لا بد من استرجاعه وبعثه، وتأسيس العالمية الإسلامية الثانية، والتي هي خالية من التجربة النبوية، فالنبوة تجربة عملية بيانية.. والمنهج تجريد نظري دقيق⁽⁴⁾، التجربة العملية تتعلق بخصائص فردية ومحلية ويحكمها الظرف التاريخي والاجتماعي، أما المنهج الإلهي فهو تجريد تعلى المستوى الكوني، يعلو على كل الخصائص الفردية والمحلية ويهيمن على متغيرات الظرف التاريخي والاجتماعي.

إذن، فلسفة الدين في منظور أبي القاسم حاج حمد تتوقف على ركيزتين لا مخرج عنهما، الناظم المنهجي، والجهاز المعرفي، وكلاهما يستنبطان من القرآن الكريم، كونه الكلام الحامل والحاوي لكل مكنونات ما كان وما هو كائن وما سيكون، ودليل ذلك تقسيمه العالمية إلى عالميتين، الأولى عكست التجربة النبوية في سلوك نبي الإسلام. محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك ظهر

(عبد الجبار الرفاعي، مرجع سابق، ص: 48).

(حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1992) ص: 48.

(أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ط1 (بغداد: دار الهادي، 2003) ص: 26.

(أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ط1 (بيروت: دار الهادي، 2004) ص: 620.

المنهج الإلهي في معاملات النبي مع أمته، أما العالمية الثانية، فهي مرحلة تخلو من التجربة النبوية، وعليه يتجلى المنهج الإلهي في العلوم الطبيعية والإنسانية مع الغرب غير المسلم، لكن وفق أسلمتها بناظم المنهج المعرفي القرآني الدقيق من طرف الموحدين فتصبح إذ ذاك عاكسة لعالمية إسلامية ثانية.

وبعد ذكرنا لطرح حاج حمد ننتقل للكلام عن مشروع مالك بن نبي في شقه العقدي والكلامي، لكونه هو الآخر ألف كتابا حاول فيه إعادة النظر في الفكر الديني، كما طرح رؤية تجديدية لمنطق الفهم القرآني، وذلك في مصنفه "الظاهرة القرآنية" الذي يستهله بقوله: "جوهر الموضوع، وهو الاهتمام بتحقيق منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية وهو منهج يحقق من الناحية العملية هدفا مزدوجا

. أنه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين.

. وأنه يقترح إصلاحا مناسباً للمنهج القديم في تفسير القرآن⁽¹⁾.

وطالما أن مالك بن نبي عاش عقودا في البلاد الأجنبية (فرنسا)، فقد لاحظ بعين البصيرة كيفية تكوّن النشء المسلم في البلاد غير الإسلامية، والمقصود ههنا، تلك الطريقة المتعامل بها مع الثقافة الغربية وتبنيها، لاسيما وأن الواقع العربي الإسلامي يعاني الفراغ التقدمي، وبالتالي يظن ظن اليقين أن كل ثقافة متقدمة صالحة للفرد المسلم (المؤمن)، وهذا ما رآه بن نبي خطرا على شباب الأمة بالخصوص فيقول "إنه مما يثير العجب أن ترى كثيرا من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم عناصر ثقافة تتصل بمعتقداتهم الدينية، وأحيانا بدوافعهم الروحية نفسها، من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين"⁽²⁾، وبهذا بات الخطر بارز المعالم على المسلمة، وبالأخص تلك التي تسعى جاهدة لطلب المعرفة من البلدان المتقدمة، متناسية أو متغافلة عن الدسائس التي تمارسها تلك الأمم المتقدمة ماديا، والمتخلفة روحيا، فلا ترضى اليهود ولا النصراني عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم وثقافتهم، ويقينا ملتهم غير ملتنا، فكان مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية، مجددا آخر في علم الكلام الإسلامي.

كما تجدر الإشارة لكتابات محمد أركون، كونها تحمل ملامح تجديدية في التفكير الديني، وقد حاول هذا المفكر هو الآخر أن يجدد في المسائل الدينية العقدية والفقهية، ومقارنة ذلك بما يقدمه الغرب من بضاعة معرفية، سواء أكانت معارف أو مناهج، وههنا انتقد الخطابات الأصولية الفارغة من المحتوى، والخارجة من دائرة التاريخ، وبكلام آخر، لقد أراد أركون أن يؤنس الخطاب الإلهي، أو النص القرآني، ولا يبقى بذلك مجرد نص مقدس و مفارق للواقع، فيقول: "ولكننا سوف نلاحظ أن هناك اختلال توازن فظيلا بين الاستهلاك الأيديولوجي اليومي للقرآن وبين الفكر الحر النقدي الذي يأخذ بعين الاعتبار كل المشاكل التي يطرحها القرآن اليوم، ليس فقط على المسلمين وإنما على كل النفوس الحريصة على تجديد معرفتنا بالظاهرة الدينية"⁽³⁾.

أركون يبين إذن إشكالية التعامل مع النصوص القرآنية، بين الأيديولوجي والإبستيمولوجي، ففريق يتبنى النصوص الدينية لأغراض سياسية غير معرفية البتة، وفريق آخر يتخذ من هذه النصوص حقولا معرفية لإنشاء الإشكاليات والتطلع للبحث، وعليه سيحدث الصراع بين الفريقين حتما، لأن السياسيين جلمهم أيديولوجيون، وليسوا إبستيمولوجيين، أما المفكرون والعلماء فقليل ما هم أيديولوجيين، وهذه المعضلة ضاربة في التاريخ الإسلامي في جدلية السياسي والديني، وبهذا يعد أركون مجددا في المسائل الكلامية ومعصرن لها، وفق ما تقتضيه الإشكاليات الجديدة من أغراض، دون مشاحة في مصدرها إن كان

(مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4 (دمشق: دار الفكر، 1987) ص: 53.

(المصدر نفسه، ص: 54.

(محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية. ترجمة هاشم صالح، ط2، (بيروت: مركز الانماء القومي، 1996) ص: 246.

تراثا أو حداثة. ونستنج بهذا أن أركون أضحي قارنا اجتهاديا وبطريقة أخرى للنصوص الدينية، وعليه يمكن إدراجه ضمن زمرة المجددين الدينيين أو علماء الكلام الجدد.

وبعد التعرّيج على موجز كلام بن نبي و أركون، من الجدير بالاختيار الوقوف على بعض ما أتى به طه عبد الرحمن من تنظير ونقد للمشاريع الفكرية التي تحفل بها مكتبة الفكر العربي الإسلامي المعاصر، لاسيما وأنه قد ألف الكثير من الكتب في مضمار الدفاع عن الدين والذب عن أخلاقه ومحاولة الترسّخ لها، ومنظرا لكمال الدين الإسلامي، منهجا ومعرفة، وقصور باقي المناهج عن المناهج الإسلامية التراثية، والمقصود بها المناهج الحداثية المستوردة لتسليطها على النصوص التراثية دون رد اعتبار للأطر المشكلة لهذه المناهج، وهذا ما يوقع المجددين. حسب طه عبد الرحمن. في شبهة الفقر المعرفي والمنطقي والخلو من المقولات الواجبة الوجود في استقراء النص التراثي، وهنا بالذات انتقد الرؤى المتعددة بخصوص التراث واستنطاقه، وأفرد لذلك مصنفنا عنوانه بـ "تجديد المنهج في تقويم التراث"، وفيه بين التعقيبات الموجهة للدعاوى المنقصة من التراث وآلياته المنهجية والمعرفية، وعده من النصوص الميتة، يقول: "إن التقويم الذي يغلب عليه الاشتغال بمضامين النص التراثي ولا ينظر البتة في الوسائل اللغوية والمنطقية التي أنشئت وبلغت بها هذه المضامين، يقع في نظرة تجزيئية إلى التراث"⁽¹⁾، وههنا انتقد طه عبد الرحمن دارسي التراث والمشتغلين عليه، بأنهم وقعوا في دعوى النظرة التجزيئية، لأن هؤلاء المجددين بحثوا التراث بوسائل غير وسائله، وكان قد حددها طه عبد الرحمن في الآليات المنطقية واللغوية، وعليه وقع قول النقد والتجريح على المهتمين بالنص التراثي بأساليب غريبة بعيدة كل البعد عن هذا النص، زمانا ومكانا، وتاليا الغامضة منهجا إذا ما قورنت بالمناهج التراثية.

هذا وكتب كتابا آخر في صميم تجديد علم الكلام الإسلامي، كان عنوانه: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، وفي هذا المصنف بان طه عبد الرحمن من المتكلمين الجدد، إذ بين فيه الاسم الجديد لعلم التوحيد وهو "علم المناظرة العقدي"، فيقول: "وإذا كانت أغلب المعارف الإسلامية آخذة بمسلك المناظرة الجدلي، فإنها تفاوتت في درجة التقيد به على قدر الإفتقار إليه، بمقتضى نوعية شروطها المعرفية، ولم يأخذ أي مجال علمي إسلامي بهذا المنهج مثلما أخذ به علم الكلام (...) حتى أننا نرى أنه أحق أن يدعى علم المناظرة العقدي"⁽²⁾، إذن بهذا أضحي المتكلم يدعى مناظرا، وقبل كونه كذلك لا بد من توفره على شروط أظهرها الاعتقاد لدين ما، كما ينبغي مراعاة المنهج الجدلي المعروف عند أهل الكلام القدامى مع باقي الملل الأخرى، ليس هذا فقط بل بين أن التواصل أساسه الحوار والحجاج وأساس الحوار الاختلاف، وأداب هذا كله التحلي بمنهج المناظرة، وليس المنهج النظري، الأول يقضي بتساوي الرأيين مع سماع حجة الطرفين، بينما يعمد الثاني إلى مسلمات عقلية فلسفية لا جدال فيها، وههنا أشار طه عبد الرحمن إلى مفارقات شراح أرسطو. أكبرهم ابن رشد. عندما راحوا يشرحون نصوصه معتقدين بصحتها المطلقة ومضاهاتها لنصوص القرآن، وهذا ما لم تعهده العقلانية الكلامية، وبعد هذا السرد التاريخي الموجز لا بد الآن من ذكر أهم المسائل العقدية والكلامية المعاصرة.

. أهم المسائل العقدية الكلامية المحدثة:

إن الواقع الحضاري الإسلامي المعاصر قد أثمر العديد من القضايا، التي دعت الضرورة إثرها لإعادة التجديد في أصول الدين وفروعه، ولعلنا لا نختلف مع جل الباحثين إذا وصفنا أهم هذه المسائل في، المعرفة الدينية، وإشكالية المنهج الناظم لهذه المعرفة.

(طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2 (بيروت : المركز الثقافي العربي ، د.ت) ص: 15.)¹

(طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2 (بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2000) ص: 70.)²

1. المنهج وإعادة النظر في المنهج الديني : لقد سعى المتكلمون الجدد إلى البحث في قضية المناهج المستعملة، ومدى صلاحيتها لاستنطاق المعرفة الدينية، وبهذا صرح معظم المجددين بانتهاء دور معظم المناهج القديمة، وتحيزها في التراث، فلا بد إذن من تحديث المنهج في التفكير الديني، وهنا يقول حيدر حب الله في المنهج: ⁽¹⁾ "لأن المنهج في التفكير والممارسة، هو الذي يضيء للأمة سبيل العمل للتفكير في تلك الحلول أو المنعطفات الجزئية"، وعليه أضى المنهج في المعرفة الإنسانية من الضرورات الواجبة الإيجاد، لاسيما إذا تعلق الأمر بالمعرفة الدينية، التي هي أم المعارف الأخرى، ودرجة المنهج في المعرفة كدرجة المنطق في التفكير، ألم ترى كم كان تشديد الأوائل على تحصيل صناعة المنطق، قبل الخوض في أي صناعة أخرى مهما كانت طبيعتها، وبالتالي في تصور حيدر حب الله، بات المنهج من الوسائل والآليات التي تؤدي إلى غايات. وبسلامته وتماه تكون الغايات كذلك سليمة والعكس بالعكس، ولعل أصول الدين من أهم الأضلاع المعرفية الإسلامية، التي ينبغي منهجها بشكل جدي، لأن بالأصول تكون الفروع أو لا تكون، وهنا شدد المفكر على تجديد المنهج معتبرا إياه أهم كل التجديدات، أي في علم الكلام الإسلامي، إذ طالما ساد المنهج الجدلي في علم الكلام التراثي، والقائم على القضايا المسلمة والمشهورة لدى الطرفين.

وبعد التطورات الحاصلة تغيرت المناهج، ليس فقط في العلوم الطبيعية، بل شمل العلوم الإنسانية وخاصة الفلسفة، وهذا بسبب النقلة الكبيرة في العالم برمته، بل حتى المنهج في ذاته، أصبح عرضة للنقد والتحليل، وبذلك كان الأجدد بالمجددين البحث في أساليب أخرى تكون وافية بالغرض، كإحداث المناهج وتفعيلها ومسيرة العصر بما أثمر من جديد مفيد وهذا يستدعي موقفا عمليا من الكلام المعاصر تجاهه ⁽²⁾، إذن نفهم من كلام حيدر حب الله أن مهمة المتكلم المجدد تتمثل أساسا في إرساء المناهج الناجعة من الدرجة الأولى، وبمعنى آخر لا بد على المتكلمين المعاصرين من وضع منهج كلامي حديث، يساير العصر بما يحوي من تحولات إن على مستوى الحياة الدينية المعاشية، أو على مستوى الحياة الدينية المعادية، ونجاح المتكلمين في ذلك يعني ضرورة نجاحهم في باقي المحاور المعرفية.

هذا، ونجد أحد قراملكي هو الآخر يشاطر حيدر حب الله في النظرية التجديدية للمنهج قبل الخوض في المسائل الكلامية، أو بكلام آخر، لقد عدّ مسألة المنهج أول المسائل على الإطلاق التي ينبغي للمتكلم أن يشتغل حولها، ثم تاليا يعرض له أن يجعلها مدخلا لسائر الإشكاليات المعرفية، فهو يرى أن مهمة المتكلمين المعاصرين تتمثل في إعادة بعث المنهج الرسالي الوسائطي بين الوحي ومخاطبيه، فالكلام الجديد من حيث أنه كلام، هو واسطة بين المفارق والميتافيزيقي من حيث التأصيل، وبين عقل ولغة المخاطبين (المكلفين) من حيث التفعيل، وهنا ليس من شأن المتكلم المحدث سوى عرض وتفهم وإثبات وتعليم الأفكار الدينية ⁽³⁾، فتكون المهمة الكلامية الأولى في إرساء المناهج اللازمة للتوصل إلى المعارف التجديدية المناسبة والمقبولة، وبمعنى أفصح لا بد. حسب هؤلاء. من دراسة وتدريس فلسفة المناهج، علّ ذلك يظفر صاحبها (المتكلم) بتأسيس لتفكير ديني معاصر سليم، إن في الحال أو في المآل.

2. الدين في ذاته والدين في ذواتنا: الدين في ذاته هو الوحي بكل ما أتت الكلمة من تأويل، أما الدين في ذواتنا فهو تلك الفهم اللامتناهية لذلك الوحي أو الدين، وبعبير آخر الدين هو كلام الله. جل وعز. الذي نعتقد بصحته المطلقة، أما الفهم حول الدين فهي كلام بشري الذي نعتقد بتعرضه للخطأ، والمفارقة هنا هي إشكالية العلاقة بين الدين الإلهي والتدين الإنساني، فإذا كان الدين الإسلامي هو مجمل النصوص الإلهية الوحيوية، سواء المنزلة على نبيه. صلى الله عليه وسلم. أو المنطوقة على

(حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني، ط1 (بيروت، 2007) ص109)

(حيدر حب الله، مسألة المنهج، ص 230)

(أحد قراملكي، الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة حيف نجف وحسن العمري، ط1 (بيروت: دار الهادي، 2002) ص: 96)

لسانه والمتواترة عليه بالنقل الصحيح، ثابتة ومطلقة، فهل إدراكنا ومعرفتنا وتناولنا لهذه النصوص مطلق كذلك؟ أو بصيغة بديلة ما الفرق بين الدين والمعرفة الدينية، وما طبيعة العلاقة الجدلية بينهما؟

إن الدين إلهي، كامل، والمعرفة الدينية بشرية ناقصة، والعلاقة بينة بينهما كتابين الميتافيزيقي والفيزيقي، وهنا يرى المفكر الإيراني عبد الكريم سروش أن المعرفة الدينية كواحدة من المعارف البشرية، وتسعى في المرحلة الأولى إلى كشف أولية الفهم الديني وكيفيته⁽¹⁾، وبالتالي يؤسس بهذا المنطق للتمييز بين المؤله السماوي والمؤنسن الأرضي، الأول كامل بسيط، والثاني ناقص مركب، ثم يستنتج أن المعرفة الدينية ماهي إلا مسعى ابستمولوجي كغيره من المعارف بغية فقه الدين واستنطاق مراميه، وبذلك يقرر أن هذه المعرفة تخضع لكفتي القبض والبسط، تماما كما خضعت في تراثنا الإسلامي، ويردف هذا الكلام على أن المعارف الدينية كلها من تفسير وأخلاق وفقه وكلام وأصول، متطورة ومتحولة حسب مقتضيات الإنسان وحاجاته ومقاصده في الزمان والمكان، وبذلك يبطل سروش دعوى القائلين بكمال هذه المعارف الدينية مع ميلادها أول مرة.

يقول: "إذن، بما أن الفلسفة والعلوم التجريبية ناقصة، وتسعى نحو الكمال، فإن مسافة تفصل أيضا علوم الفقه والتفسير والأخلاق والكلام الدينية عن الكمال، وحتى الآن لم يولد بعد الفقه الكامل أو التفسير الكامل، وكيف نعد المعرفة بشرية، وندعي من ثمة أنها كاملة؟"⁽²⁾، وفي هذه القولة يبين سروش المفارقة الصارخة التي يتخبط فيها المتكلمون، أو نقول المتدينون، وهي اعتقادهم أن العلوم الدينية الإسلامية بلغت درجة الكمال، ولا سبيل للزيادة فيها أو الاجتهاد في مضامينها، فمثلا نجد علم التفسير - رغم كثرة المصنفات فيه - يعتقد أنه بلغ درجة الصحة في تأويل آيات التنزيل الكريم، و الأمر نفسه بالنسبة لعلوم الأصول والفقه و... وبمعنى أوضح، كل ما بلغت المعرفة الدينية زمن بسطها، لا تعدوه المعرفة الدينية الآن، حتى وإن أعيد بسطها من جديد، ثم يبرز أن هؤلاء المعتقدين بكمال المعرفة الدينية، وقعوا في شبهة التسوية بين الدين كنص إلهي مفارق ومقدس و متناهي الكمال، والمعرفة الدينية حوله كخطابات إنسانية معرضة للخطأ والنسبية.

إن هذه النظرية التي يؤصل لها عبد الكريم سروش، تؤول إلى غايات أو تشمل بصداها باقي التجليات التدينية، ليس فقط المعرفة، بل حتى الممارسات العملية، فالاعتقاد ممارسة نظرية، لكن التعدد فيه، أي في التدين، يعد في الدرجة الأولى من الطابع التطبيقي للدين، ولتلك المعرفة التي أقر بنسبيتها، وهذا سنكون أمام مسألة أخرى، وهي نسبة التدين للدين الواحد، وعليه لن يكون هناك صراط فريد و أحد، بل صراطات عديدة تبين إرادة الله - تعالى - لسنة الاختلاف في خلقه، يقول: "الصراطات المستقيمة تمثل جولة في قارة الأديان (التعددية الدينية) الواسعة، والتعددية الدينية نظرية معرفية في باب حقانية الأديان والمتدينين"⁽³⁾، فلا غرابة أن نجد المفكر عبد الكريم سروش يبرز موقفه التوافقي مع التعددية الدينية، وهو قبلا يسلم بنسبية المعارف الدينية، إن التعدد سر من أسرار الله - تعالى - في مخلوقاته، وهو لا يشمل الأشياء بمختلف حلقاتها، بل حتى الجهاز الإدراكي للإنسان وعلاقته مع الله - جل وعز - دوما في تغير، وهذا مقتضى الجهاز الإدراكي كما أرادته سبحانه.

خاتمة:

بعد هذا التوصيف الذي حاولنا إصباغه على الممارسة الكلامية الجديدة، بادئين بالإشارة إلى علم الكلام التراثي، مع معالجة تاريخية لواقع الدرس العقدي أو الديني بعد تدهور الحضارة الإسلامية، حتى يوم الناس هذا، ارتأينا أن نبين أهم النتائج التي توصلنا إليها ويمكن أن نمحصها كما يلي:

(عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس، (دار الجديد، دت) ص 157.1)

(المصدر نفسه، ص 157.2)

(عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة، ترجمة أحمد القبانجي، ط1 (بيروت: منشورات دار الجمل، 2009) ص 05.3)

. الفلسفة العقديّة من حيث التسمية: ينبغي التنبيه أن هذه الممارسة لم يشهد لها اسم يميزها عن باقي أنواع الممارسات، لهذا فتارة نجد البعض يطلق عليها، فلسفة الدين، وتارة أخرى علم الكلام الجديد، وثالثة تجديد الفكر الديني، لهذا وضعت أداة التخيير. أو. في العنوان ليخبر القارئ بين اجتهادين لتسمية هذه الممارسة.

. الفلسفة العقديّة من حيث الموضوع: كما حدث في التسمية وتذبذبها بتعدد رؤى المجتهدين، سوف يكون الاختلاف ملازماً لطابع الكلام الجديد، ففي الوقت الذي اختص الكلام التراثي بالمسائل الدينية العقديّة، يتجاوزها الكلام الجديد. حسب مفكره المجددين. تلك القضايا ليحوي كل القضايا الإنسانية من دينية ودينيّة، معاشية ومَعادِيّة.

. الفلسفة العقديّة من حيث المنهج والغاية: الشيء ذاته بالنسبة لإطار المنهج والغاية من هذا العلم، إذ كلما تعددت النظريات والاجتهادات ستعدد المناهج والغايات كذلك حتماً.

إن هذه الملاحظات تبين بوضوح. ليس معه ريب. أن الفلسفة الكلامية الحديثة والمعاصرة، أو علم الكلام الجديد لا يزال في طور النشأة والتكوين التدريجي، وربما في العقود الزمنية القادمة، تمدنا محصلة ما كُتب حول هذه الفلسفة تأطيراً ساطع المعالم، يؤذن بعلمية هذا الفكر العقدي التجديدي، أو بمعنى أفصح، تعلن هذه الكتب الكلامية عن علم الكلام المعاصر، الذي يؤسس للمسلم. أنى كانت جنسيته في العالم. وجوده لينظر غيره تارة من أجل الذود عن الدين والدفاع، وتارة في سبيل تفهيم المخالف والإقناع.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحد قراملكي، الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة حيف نجف وحسن العمري، ط1، بيروت: دار الهادي، 2002.
2. أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية، ط1، بغداد: دار الهادي، 2003.
3. أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ط1، بيروت: دار الهادي، 2004.
4. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط1، القاهرة: دار الفجر للتراث، 2004.
5. جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى، تقديم سيد هادي خسروشاهي، ط1، القاهرة: 2002.
6. حسن حنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، ط1، بيروت: دار الهدى الإسلامي، 2009.
7. حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1992.
8. حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007.
9. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي، د.ت.
10. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2000.
11. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، دمشق: دار الفكر، 1987.
12. مجدي عبد الحافظ، جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.
13. محمد أركون، الفكر الإسلامي. قراءة علمية. ترجمة هاشم صالح، ط2، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1996.
14. محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ط2، بيروت، 1983.



15. محمد عبده، رسالة التوحيد، ط1، دار الآفاق، 2006.
16. عبد الجبار الرفاعي، موسوعة فلسفة الدين. علم الكلام الجديد. ط1، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، 2016.
17. عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، ترجمة دلال عباس، ط1، دار الجديد، 2002.
18. عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة، ترجمة أحمد القبانجي، ط1، بيروت: منشورات الجمل، بيروت، 2009.
19. الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق سعد كريم الفقي، الإسكندرية: دار ابن خلدون، د.ت.
20. الفارابي، إحصاء العلوم، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1991.
21. القاضي عبد الجبار، المغني. كتاب: خلق القرآن، تقويم إبراهيم الأبياري، إشراف: طه حسين.



تكنولوجيات الاتصال الحديثة و اقتصاد المعرفة: قراءة تحليلية في ميكانزمات التكامل ومعوقاته د.بغداد باي عبد القادر/المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان الجزائر

Abstract :

Modern information technologies and advanced communications technology are linked to the development of societies in our time, and a pivotal contribution to the development of scientific mechanisms and the promotion of the knowledge economy across countries and countries. It is the most important means of transferring developing societies to more developed societies. It contributes directly to building a new society that is compatible with and adapted to the wave of changes and transformations that have taken place in various aspects of life, especially scientific and economic, where the transition from the industrial society to the structured information society To employ and upgrade technology and technology in human life, Strategic employment, based on knowledge and technology, is the catalyst for this transformation, which makes the global economy benefit from the speed and efficiency it provides and makes an effective contribution to the appreciation and strengthening of the knowledge economy for a generation.

key words: Knowledge economy, advanced communication technology, influence, interaction, knowledge economy upgrade, knowledge society.

ملخص:

لقد باتت تقنيات المعلومات الحديثة و تكنولوجيا الاتصالات المتطورة مرتبطة بتطور المجتمعات في عصرنا الحاضر، ومساهمة محورية في تطوير الميكانيزمات العلمية و ترقية اقتصاد المعرفة عبر البلدان والدول، و تعد الوسيلة الأكثر أهمية لنقل المجتمعات النامية إلى مجتمعات أكثر تطورا، فهي تساهم بطريقة مباشرة في بناء مجتمع جديدا يتوافق و يتكيف مع موجة التغيرات والتحولت الرهيبة التي مست مختلف مناحي الحياة لاسيما العلمية و الاقتصادية منها، أين تم الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات المبني على توظيف التقنية و التكنولوجيا في حياة الإنسان و الارتقاء بها، التوظيف الاستراتيجي الذي يتخذ من المعرفة و التقنية مرتكزا له، هذا التحول جعل الاقتصاد العالمي يستفيد من السرعة و الفعالية التي توفرها له و أصبح يساهم مساهمة فعالة في تامين و تقوية اقتصاد المعرفة جيلا بع جيل.

فبعد أن استقرت ثورة تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات و أصبحت هاجس الهيئات الدولية العامة و الخاصة و رمزا للسيطرة و القوة و سبيلا استراتيجيا لدعم اقتصاد المعرفة و تنوير الجماهير الإعلامية بأهميته و فعالته، فمن يملكها يمتلك زمام الأمور و من تقاعس عن التعامل معها بذلك أصبح في مؤخرة العالم، و بات الصراع الجديد بين العالم هو الوصول السريع إلى المعلومات و امتلاك طرق تداولها و تحليلها و استعمالها بما يخدم العلم و المعرفة، من أجل اتخاذ قرار سليم مبني على الدقة و التحليل و تطوير الوطن، مما كون ثورة جديدة يطلق عليها ثورة تكنولوجيا الاتصالات التي تساهم بقدر كبير في تكوين التيار الجارف لمفهوم العولمة التي شملت اقتصاديات العالم ساهمت بقدر كبير جدا في تطوير جوانب العلم و المعارف و ترقية الأبحاث و العلوم خلال العقدين السابقين. و عليه فالورقة البحثية التي بين أيدينا ستعالج قضية جوهرية تتعلق بالأدوار المحورية لتكنولوجيا المعلومات و المؤسسات الإعلامية و حواملها في ترقية الاقتصاد المعرفي و بعث سبل الارتقاء و التطور في الأفراد و المجتمعات تماشيا مع متطلبات العصر و دواعي الاستعمال الأمثل للإعلام و التكنولوجيا في مواكبة عصر اقتصاد المعرفة الحديث.

الكلمات المفتاحية: اقتصاد المعرفة، تكنولوجيا الاتصال المتطورة، التأثير، التفاعل، ترقية الاقتصاد المعرفي، مجتمع المعرفة.

مقدمة:

لقد عرف مجال الإعلام خلال السنوات الأخيرة ثورة كبيرة فتعددت وسائله و اختلفت أهدافه و وظائفه و ذلك تماشيا مع روح العصر و الفاعلية الموضوعية و الأبعاد التثقيفية حيث يستأثر موضوع الإعلام باهتمام كبير من طرف المنشغلين بالإعلام بصفة عامة و أساتذة الإعلام بشكل خاص.

و بطبيعة الإنسان البشرية فانه يتأثر بما تطرحه وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و المرئية لكن في المقابل للفرد مبادئ و أعراف و قيم و دين - تتحكم في سلوكه و تصرفاته - التي هي عبارة عن صفات تميزه عن غيره من الأمم، و منها يستمد إحساسه بالهوية و الانتماء، فالهوية تؤثر بشكل كبير على كافة النشاطات الرئيسية في حياة الفرد و العائلة و الجماعة و المجتمع.

ورغم ما عرفته المجتمعات الإنسانية من تطورات في كافة المجالات إلا أن التفكير في الهوية و الدين بقي محصورا في عدم القدرة على احتضان تلك الهويات و تجاوز الانقسامات الغائية السائدة في صفوفنا و خلق الظروف المساندة للارتقاء بأوضاعنا إلا أن هذا الطرح عاد يطفو على الساحة من خلال الممارسات العدوانية، إلى جانب التفريق على أساس الدين و الهوية الثقافية من خلال ظهور الحروب و الأزمات التي أصبحت تعصف بالقلب النابض للمجتمعات - الشباب - الذين

يعدون صانعي مستقبل المجتمعات من خلال تغيير الظروف السائدة نحو الأفضل إلا أن ما يطفو على الساحة من أزمات التي اجتاحت المجتمعات العربية تعد نقطة تحول في ظل الأوضاع الدولية الراهنة وأصبح موضوع الهوية الثقافية والإعلام هو السلاح الأقوى لضرب أساس المجتمعات وذلك من خلال خبرة شبابها وتحريك جماعات والمنظمات لخلق مشكلات سياسية تؤثر في تغيير مصير الشعوب وهذا ما يبرز على الساحة العربية في الوقت الراهن. بالرغم من أن هذه الجماعات والمنظمات كانت وليدة لانحياز هوية ودين على حساب آخر داخل الدولة نفسها أو بين الدول.

ولم يبق المجتمع الجزائري على غرار مجتمعات العالم في معزل عن تلك الثورة العلمية و التكنولوجيا التي عرفها القرن العشرين ، أين اختزلت تكنولوجيات الاتصال الحديثة الأبعاد والمسافات ولم تكتفي بتجاوز الحدود السياسية والجغرافية بين المجتمعات وإنما تعدت ذلك إلى الحدود الثقافية ، هذا ما خلق للوجود الاجتماعي مجموعة من الظواهر الاجتماعية تهدد الهويات الثقافية للمجتمعات خاصة تلك المستوردة للتكنولوجيا، حيث أصبحت هذه التكنولوجيات الحديثة للاتصال مصدرا رئيسيا من مصادر التنشئة الاجتماعية تستطيع أن تشكل فردا فعالا في المجتمع يساهم في بناءه كما تستطيع أن تشكل فردا منحرفا في المجتمع، خاصة و أنه ليس بمقدور أي بلد أن يعيش بمعزل عن هذا التقارب الاتصالي الذي شكل نظاما عالميا يعتمد على انفتاح إعلامي لا تتحكم فيه الأنظمة.

الإطار المفاهيمي:

1. تعريف وسائل الإعلام:

إن وسيلة الاتصال أو الإعلام هي ما تؤدي به الرسالة الإعلامية أو القناة التي تحمل الرموز التي تحتويها الرسالة، من المرسل إلى المستقبل، ففي أية عملية اتصال يختار المرسل وسيلة لنقل رسالته، إما شفويا أو بواسطة الاتصال الجماهيري (سمعية، بصرية، سمعية-بصرية)، ولكن مع ملاحظة أن الوسيلة ليست هي الآلة أو الجهاز في حد ذاته فقط، ولكنها، تتشخصن في هيكل التواصل كله... بمعنى أن الجريدة مثلا بدون مطبعة وبدون موزع ليست وسيلة اتصال¹.

وتعرف وسائل الاتصال أيضا ، فهي كل تقنية أو أداة تصل بين فردين أو أكثر تنقل بموجها لغة أو رموز أو حركات يفهما طرفا الاتصال ، المرسل والمستقبل... إن وسائل الاتصال هي : الوسائل السمعية التي تشمل الكلام المحكي والأصوات و الموسيقى ، و الوسائل البصرية التي تشمل الصور و الرسوم الجامدة و المتحركة ، و الوسائل النصية و الرقمية ، و لكن إذا انتقلنا إلى التوصيف الجوهرية للتقنية الجديدة ، وهذا هو العامل الحاسم ، لوجدنا أن لهذه التقنية ميزة أساسية أصبحت في جوهرها ، وهي إمكانية التعامل الإيجابي (الأخذ و الرد) ، إي التواصل مع مواد الاتصال الموجودة في برنامج الكمبيوتر المعروض ، وتاليا فان الباحثين المتخصصين يرون أن تسمية " الوسائل المتعددة" عاجزة عن توصيل المضمون لان فيها تغييرا للعنصر الجوهرية².

وهناك من يستعمل مفهوم " وسيلة الاتصال " بمعنى مزدوج يشمل في آن واحد نظام المعاني أو الرمز الذي يسمح بـ " فهم " الوسائل ، و الأجهزة التقنية التي تسمح بـ " بث " الرسائل (إرسالها واستقبالها). وكما هو معروف ، فان الفهم والبث شيان مختلفان لإشارتهما إلى مستويين من الاتصال يحمل ثانيهما (الراديو مثلا) أولهما (اللغة مثلا) إي يكون وسيلة له. لكن العكس غير صحيح : لا ترسل الراديو مثلا . و هناك من يشير إلى نوع آخر من الوسائل أو مستوى اتصالي ثالث ليخص به و وسائل

¹ أحمد زاهر: تكنولوجيا التعليم وتصميم وإنتاج الوسائل التعليمية، الطبعة الأولى، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1997، ص51.

² محمد الفاتح حمدي: تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديث، مؤسسة الكنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، ص44.

اتصالية مكانية مثل: المكتبة، المسرح، المسجد، البرلمان... هذه الوسائل، التي تشير إلى أماكن للاتصال، ليست رمزية مثل اللغة ولا تقنية اتصالية مثل الراديو بل سوسيولوجية أي تفاعلية أساسا.

كما قد يكون لوسائل الاتصال معنى مزدوجا آخر: عندما يشير من جهة إلى البعد التقني الإرسالي بطابعه الوسيط، المتوسطي أو الوكيلي لوسائل مثل التلفزة، الراديو، الصحافة، الخ. ومن جهة أخرى إلى معنى المحيط، الوسط أو الجو العام أو المؤسسة الاتصالية التي تندرج ضمنها: الأخبار، الإعلانات.

2. التأثير الإعلامي: يعد التأثير من أهم أهداف الاتصال، فنحن نتصل ببعضنا لنؤثر، ولكن قياس الأثر ومداه أمر ليس من السهولة بمكان. وصعوبة قياس الأثر ودراسته ناجمة عن تداخل تأثير الاتصال بتأثيرات أخرى محيطية بالإنسان كالمؤسسات الاجتماعية ومنظمات التنشئة الاجتماعية. وبالنسبة للاتصال المباشر (الاتصال الفردي والجمعي والوفاهي) فيمكن معرفة رد الفعل والتأثير حيث يمكن رصد التأثير ومعرفة الاتجاهات المختلفة للرسالة الاتصالية. ولكن الصعوبة تكمن في حالة الاتصال الجماهيري الواسع حيث أنه من الصعب قياس رجوع الصدى ومدى تأثير الجمهور بالرسالة إلا بعد إجراء استطلاعات ودراسات حول الموضوع.

ونقصد بالأثر الإعلامي للرسالة الإعلامية هو ما يحدث من تغيرات على المتلقي، وتعلمه شيئا من محتوى الرسالة، أو تبنيه اتجاهها جديدا، أو تخليه عن اتجاهات كانت لديه سابقا، أو تعديل اتجاه معين.¹

3. الإعلام الجديد ووسائله: يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة الإعلام الجديد بشكل مختصر ويصفه بأنه اندماج الكمبيوتر وشبكات الكمبيوتر، والوسائط المتعددة، وبحسب ليستر الإعلام الجديد باختصار هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام.

ويعرفه قاموس الكمبيوتر عبر مدخلين هما:²

إن الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والانترنت، وهو يدل على استخدام الكمبيوترات الشخصية والنقالة فضلا عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق. وتكون تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو بالتزامن مع معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي كمبيوتر.

يشير المفهوم أيضا إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم أجمع. (4)، وقد تعددت وسائل الإعلام الجديد وهي تزداد تنوعا ونموا وتداخلت مع مرور الوقت، ومن أهم هذه الوسائل:

• المدونات Blogs

وهي مواقع تتمتع بتحديثات منتظمة، وعادة ما تجمع بين النصوص والصور، الرسومات أو الفيديو، وروابط لصفحات ويب أخرى، وعادة ما تكون غير رسمية وتعتمد على إدخال مذكرات أو أخبار يومية.³

¹ فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 60.

² عزام محمد أبو الحمام: الإعلام والمجتمع، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 47.

³ فضيل دليو: تاريخ وسائل الاتصال، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، (ط3)، 2007، ص 63.

- المزج Mashups

هو موقع يجمع بين بيانات من أكثر من مصدر واحد في أداة واحدة كاملة، مصادر البيانات وغالبا ما تشمل الخرائط، مثل جوجل خرائط والمواقع التجارية.

- مواقع مشاركة الصور Photo Sharing Sites

هي مواقع تسمح لك بمشاركة الصور حرفيا عبر الانترنت مع أصدقائك، زملائك وأفراد العائلة، ويعتبر فليكر من أكثرها شيوعا على الانترنت.

- البودكاست "التدوين الصوتي" Podcasts

مزيج من مصطلحات "أي بود" و"البث" وهي ملفات الصوت أو الفيديو التي يمكنك الاستماع إليها أو مشاهدتها على جهاز الكمبيوتر الهام بك أو على مجموعة متنوعة من أجهزة الوسائط المحمولة (مثل أي بود، الهواتف المحمولة).

- مواقع الشبكات الاجتماعية Social Network Sites

هي مجتمعات الانترنت التي تعطيك فرص للتواصل مع الآخرين ومع الأفراد الذين تربطك بهم مصالح مشتركة أو توفير الموارد اللازمة.

- مواقع مشاركة الفيديو Video Sharing Sites

تسمح لك بتحميل وتبادل أشرطة الفيديو على الانترنت وهي مشابهة لمواقع مشاركة الصور، وموقع اليوتيوب هو الأكثر شهرة ضمن هذه المواقع.¹

4. تكنولوجيا الاتصال: قبل أن نعرف تكنولوجيا الاتصال يجب أولا أن نحدد ماهية التكنولوجيا في حد ذاتها، ذلك أن الجديد فيها ليس معناها وإنما لفظها، فالظاهرة نفسها قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، ومن الخطأ أن نربط بين التكنولوجيا وبين المخترعات الحديثة التي تعتبر آخر المراحل في تطور الظاهرة الاتصالية، وكلمة تكنولوجيا كلمة معربة لا أصل لها في كتب اللغة والقواميس وما يقابلها في اللغة العربية هو مصطلح "تقنية" وكلمة تكنولوجيا مكونة من مقطعين هما:

"تكنيك" والذي معناه الطريق أو الوسيلة و "لوجي" التي تعني العلم، وبالتالي يكون معنى الكلمة كلها "علم الوسيلة" الذي بها يستطيع الإنسان أن يبلغ مراده²، كما ويحدد الدكتور زاهر أحمد مصطلح التكنولوجيا في ثلاث مفاهيم أساسية:

أولا: التكنولوجيا كعملية: وهو التطبيق المنظم للمحتوى العلمي أو المعلومات بغرض أداء محدد يؤدي في النهاية إلى حل مشكلة معينة.

ثانيا: التكنولوجيا كمنتج: محصلة تطبيق الأساليب العملية يكون في المساعدة في إنتاج الآلات والخامات، بالفيلم كمادة خام وآلة العرض نفسها هما نتاج للتطبيق التكنولوجي للمفاهيم والأساليب العلمية.

¹ كامل خورشيد مراد: الاتصال الجماهيري والإعلام، ط1، دار المسيرة، الأردن، ب س، ص75.

² محمد مراياتي: "تطور مهن صناعة المعلوماتية و مرودها الاقتصادي": ندوة الدراسات الإنمائية، المؤتمر الوطني السابع عشر للإنماء، بيروت، 2000، ص141.

ثالثاً: التكنولوجيا كمزيج للأسلوب والمنتج: من هذا يتضح أن عملية الاختراع تصاحبها عملية إنتاج وبالتالي لا يمكن فصل التكنولوجيا كأسلوب عنها كمنتج وأوضح مثال على ذلك هو الحاسب الآلي، فنفس الجهاز يصاحبه دائماً تطور في إنتاج البرامج وتوسع كبير فيها¹

أما الاتصال فهو تبادل الأفكار والمعلومات والآراء بين طرفين أو أكثر عن طريق أساليب ووسائل مختلفة مثل الإشارة، الكلام، القراءة والكتابة وبالتالي نعني بتكنولوجيا الاتصال " أي أداة أو جهاز أو وسيلة تساعد على إنتاج أو توزيع أو تخزين أو استقبال أو عرض البيانات واسترجاعها²، من خلال النظر إلى التعريف المقدم لتكنولوجيا الاتصال نجد أنه من الصعب إيجاد وجه للشبه بين مختلف وسائل تكنولوجيا الاتصال مثلاً: الهاتف، الآلة الكاتبة، الحاسب الإلكتروني من الناحية الظاهرية، أما من الناحية الضمنية للدور الذي تؤديه هذه الأجهزة فإننا نجد أن تكنولوجيا الاتصال تزيد من طاقة الإنسان وقدراته المختلفة وبالتالي يمكن القول أن تكنولوجيا الاتصال هي مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي والتي يتم من خلالها جمع المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو المرسومة أو المسموعة المرئية أو المطبوعة أو الرقمية من خلال الحاسبات الإلكترونية ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات واسترجاعها في الوقت المناسب وأخيراً نشر هذه المواد الاتصالية ونقلها من مكان إلى آخر وتبادلها، وقد تكون تلك التكنولوجيات يدوية أو آلية أو إلكترونية حسب مرحلة التطور التاريخي لها والمجالات التي يشملها هذا التطور.

التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال:

تظهر التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال من خلال الجمع بين الكلمة مكتوبة ومنطوقة والصور الساكنة ومتحركة بين الاتصالات سلكية ولا سلكية أرضية أو فضائية ثم تخزين المعطيات وتحليل مضامينها وإتاحتها بالشكل المرغوب في الوقت المناسب والسرعة اللازمة. ويعرفها معالي فهي حيدر بأن " التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال تشير إلى جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات في شكل الكتروني، وتشمل تكنولوجيا الحاسبات الآلية، ووسائل الاتصالات وشبكات الربط وأجهزة الفاكس وغيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصال"³

سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة:

وتظهر أهم هذه السمات في:

- التكامل والاندماج: بين كافة وسائل الإعلام الجماهيري وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، فمع تطور الحاسبات وشبكات الهاتف وشبكات المعلومات، واستخدام تكنولوجيا البث الفضائي، ظهرت تكنولوجيا الاتصال متعدد الوسائط وتكنولوجيا الاتصال التفاعلي بتطبيقاتها المختلفة وأشهرها حالياً شبكة الأنترنت.
- التفاعلية: أي القدرة على تبادل الأدوار بين المرسل الرسالة الاتصالية ومستقبلها إذ يتحول من يتعامل مع وسائل الاتصال الحديثة من مجرد من متلقي سلمي إلى مشارك متفاعل يرسل ويستقبل المعلومات في الوقت ذاته.

¹ مصطفى الصادق، عباس الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ط1، الأردن، دار الشروق، 2008، ص71.

² أولجا جوديس بيلي وآخرون، تر: علا أحمد صلاح: فهم الإعلام البديل، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط1، 2009، ص121.

³ عبد الباسط محمد عبد الوهاب: استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، المكتب الجامعي الحديث، 2005، ص68.

• اللاتزامنية: إن عمل وسائل الاتصال الحديثة بتكنولوجياتها المتقدمة والتي مكنتها من العمل الدائم والمستمر على مدار (24س) يوميا تجاوز بها محدودية الوقت في استقبال الرسائل والاتصال من طرف الجمهور إلى إمكانية إرسال واستقبال الرسالة في الوقت الذي يناسب المرسل والمستقبل على حد سواء¹.

• قابلية التحرك والتحويل والتوصيل: فهناك وسائل اتصال كثيرة يمكن استخدامها والاستفادة منها في أي مكان دون الحاجة إلى التواجد في مكان ثابت ولا إلى معدات كثيرة من أجل الاتصال أو التشغيل مثل: الهاتف النقال، التلفون، السيارات أو الطائرات، والتلفون المدمج مع ساعة اليد... وغيرها كثير من الوسائل الحديثة التي طور تكنولوجياتها كما أصبحت لكثير من وسائل الاتصال الحديثة ذات التكنولوجيات العالية القدرة على نقل المعلومات من وسيط، إلى آخر، وتحويلها من صورة إلى أخرى.

• الشبوع والانتشار: ونعني به تغلغل وسائط الاتصال حول العالم وداخل كل طبقة اجتماعية، فتكنولوجيا الاتصال تتجه من الضخم إلى الصغير، ومن المعقد إلى البسيط ومن الأحادي إلى المعقد مثل: الكمبيوتر الذي تميز بأجياله الأولى بالضخامة والعمليات المحددة ليصبح فيما بعد صغيرا، وفي متناول الشرائح، ومتعدد الخدمات والوظائف وهو ما يطلق عليه اسم الكمبيوتر². إضافة إلى التدفق السريع والكثيف للمعلومات مما يسمح للفرد بتنمية قدراته³.

- وظائف تكنولوجيا الاتصال:

لتكنولوجيا الاتصال مجموعة من الوظائف لعل أهمها:

1. التحول من الصوتي إلى الرقمي: بعد استخدام شبكات الهاتف لنقل بيانات الكمبيوتر تضاعفت الحاجة لتبادل البيانات و انقلب الوضع فأصبحت الشبكات تصمم أصلا لنقل البيانات و أصبحت المكالمات الهاتفية عملا ثانويا لها , وأدى نقل البيانات رقميا إلى تحسن واضح في مستوى الخدمات خاصة فيما يتعلق بتقليص حجم المعدات الاتصال و التخفيف من وزنها
2. التحول نحو الرخيص المتاح دوما: عندما انتشر استخدام التكنيك الرقمي في الأجهزة الإلكترونية فإن ذلك أدى إلى تصغير المعدات ووفرته وبالتالي رخصها.
3. التحول من الإلكتروني إلى الفوتون: ظلت الإشارة الهاتفية تنتقل عبر الأسلاك النحاسية كتيار كهربائي ضعيف إلى أن حدثت النقلة النوعية باختراع الألياف الضوئية، وهكذا استبدل تيار الإلكتروني المعرض لتشويش بتيار الفوتون (جسيمات الضوء) النقي.
4. التحول من الخاص إلى العام و من المتنوع إلى المتكامل: بدلا من احتكار الشخص لخط تليفوني واحد استحدث أسلوب تحويل حزم الرسائل بديلا عن تحويل الدوائر , في ظل هذا الأسلوب تخزن الرسائل ثم توجه بواسطة مراكز تحويل الرسائل إلى غايتها ، يتم ذلك عبر أي مسار متاح يربط بين نقطة الأصل و نقطة الهدف دون الالتزام بمبدأ النقل عن طريق أقصر مسار بينهما ، و هذا النظام المتكامل لا يفرق بين البيانات التي ينقلها سواء كانت عبارة عن مكالمات هاتفية أو رسائل فاكس أو بيانات كمبيوتر فكلها بالنسبة له سلسلة من البيانات الرقمية يتم توجيهها عبر مسارات الشبكة إلى أن تصل إلى غايتها.

¹ فضيل دليو: الاتصال مفاهيمه، نظرياته، وسائله، دار الفجر للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص74.

² معيل سعادة، فارس بوباكور، أثر التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال في المؤسسة الاقتصادية مجلة الاقتصاد والمناجمنت، جامعة تلمسان، 2004، عدد03، ص44.

³ شطاح محمد وآخرون، القنوات الفضائية تأثيرها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري دراسة ميدانية، دار الهدى، عين مليلة، ص49.

5. العمل على التحول من السلبي (أحادي الاتجاه) إلى التجاوبي (ثنائي الاتجاه): معظم نظم بث المعلومات تعمل على أساس الطور السلبي حيث تنتقل المعلومات في اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبل إلى أن ظهرت مرافق معلومات تعمل على أساس الطور التجاوبي مثل شبكات الفيديو تكس ثنائية الاتجاه وبالتالي أصبح من الممكن تبادل الرسائل مع مراكز المعلومات.

6. التحول من الثابت إلى النقال: أصبح من الممكن أن يحمل معه الإنسان معلومات وبيانات كثيرة وبرامج وملفات أينما ذهب من خلال تكنولوجيات الاتصال الحديثة مثل الهاتف النقال، الكمبيوتر المحمول¹

أهم أنواع تكنولوجيا الاتصال:

1- الانترنت: هي اختصار لعبارة الشبكة الدولية وهي شبكة تربط بين العديد من شبكات المعلومات وقواعد البيانات في معظم دول العالم ويمكن لأي فرد من أي مكان النفاذ إليها.

2-الهاتف النقال: "هو وسيلة أو جهاز صغير يستخدم للتواصل، موصل بشبكة اتصالات لاسلكية رقمية تسمح ببث و استقلال الرسائل الصوتية والنصية و الصور"² ويعتبر الهاتف النقال أحد أهم تقنيات الاتصال الحديثة التي تطور باستمرار حتى أصبحت أكثر من مجرد وسيلة اتصال صوتي و تعديها إلى القيام بمهام الكمبيوتر ، الكاميرا ، آلة التصوير ، المسجل ، آلة حاسبة ، المذياع ... الخ .

3-الأقمار الصناعية: عبارة عن جهاز يدور في الفلك الخارجي حول الأرض أو حول كوكب آخر ويقوم بأعمال عديدة مثل الاتصال، الفحص، الكشف.

4-الإذاعة: الإذاعة كمؤسسة وكوسيلة اتصال تعد وعاء للمضمون الثقافي الذي تحفل به برامجها وهي بذلك تصنف ضمن المواد الحاملة للثقافة والعاملة على نشرها بين مستعملها³.

خصائص تكنولوجيا الاتصال:

1-التفاعلية: وذلك لوجود سلسلة من الأفعال الاتصالية، فالمرسل يستقبل ويرسل في الوقت نفسه، وكذلك المستقبل ومثال ذلك بعض الوسائل التي يوجد فيها تفاعل بين المستخدم والمرسل مثل الهاتف، التلفاز التفاعلي والمؤتمرات عن بعد والكمبيوتر الشخصي الذي يستخدم في الاتصال وكذلك البريد الإلكتروني...الخ.

2-اللاتزامنية: وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم ولا تتطلب من كل المشاركين أن يستخدموا النظام في الوقت نفسه فمثلا في نظم البريد الإلكتروني ترسل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت دون الحاجة لتواجد المستقبل للرسالة.

3-قابلية الحركة: هناك وسائل اتصالية كثيرة يمكن لمستخدمها الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان مثل الهاتف النقال، جهاز الفيديو يوضع في الجيب، وجهاز فاكسميل يوضع في السيارة وحاسب آلي نقال مزود بطابعة.

¹ فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ط01، ص20.

² معالي فهد حيدر، نظم المعلومات، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية، 2002، ص88.

³ نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994، ص125.

4-قابلية التحويل: وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسيط إلى آخر كالتقنيات التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة وبالعكس، والأفلام السينمائية التي يمكن عرضها في دور السينما وعلى أشرطة الفيديو وعلى الأسطوانات المدمجة على الرغم من اختلافها في الشكل.

5-الشيوع والانتشار: ويعني به الانتشار المهيج لنظام الاتصال حول العالم وفي داخل كل طبقة من طبقات المجتمع ولا يكون حكرا على الأثرياء فقط وإنما يشمل كل فئات وطبقات المجتمع.

6-الكونية: البيئة الأساسية الجديدة لوسائل الاتصال هي بيئة عالمية دولية حتى تستطيع المعلومة أن تتبع المسارات المعقدة، كتعدد المسالك التي يتدفق عليها رأس المال إلكترونيا عند الحدود الدولية في أي مكان في العالم¹

تكنولوجيا المعلومات والاقتصاد المعرفي:

يتجه الاقتصاد أكثر فأكثر نحو اقتصاد مبني على المعرفة، وتعتبر تكنولوجيا المعلومات وضمها البرمجيات من أهم دعائم هذا الاقتصاد. ويرافق ذلك أيضا تغيرات اجتماعية تجعل البعض يسمي المجتمعات القادمة مجتمعات المعلومات .

1. اقتصاد المعرفة:

لقد أخذ اقتصاد المعرفة أو الاقتصاد الكمبيوتر، أو كما يعرف الاقتصاد العقلي يحل بسرعة كبيرة محل اقتصاد العمل والأرض والآلة كمصدر للثروة.

يمكن أن نعرف اقتصاد المعرفة على أنه نظام اقتصادي يمثل فيه العلم الكيفي والنوعي عنصر الإنتاج الأساسي والقوة الدافعة الرئيسية لتكوين الثروة. وعلى هذا الأساس يختلف هذا الاقتصاد عن باقي الاقتصاديات في بعض الأوجه أهمها²:

- على عكس عناصر الإنتاج الأخرى، لا يمكن نقل ملكية المعرفة.

- يتسم اقتصاد المعرفة بأنه اقتصاد وفرة أكثر من كونه اقتصاد ندرة فعلى عكس الموارد الأخرى التي تنفذ من جراء الاستهلاك، تزداد المعرفة بالممارسة والاستخدام وتنتشر بالمشاركة.

- يسمح استخدام التقانة الملائمة يخلق الأسواق ومنشآت افتراضية تلغي قيود الزمان والمكان من خلال التجارة الإلكترونية التي توفر الكثير من المزايا من حيث تخفيض التكلفة ورفع الكفاءة والسرعة في إنجاز المعاملات.

- من الصعوبة بمكان في اقتصاد المعرفة تطبيق القوانين والضرائب، فطالما أن المعرفة متاحة في أي مكان في العالم، فإن ذلك يعني أن هناك اقتصادا علميا يهيمن على الاقتصاد الوطني.

وبما أن المعرفة هي خليط من التعلم والخبرة المتراكمة وتعتمد على الفهم والإدراك البشري، فإن مجرد وجود معلومات مشتتة لا يشكل إضافة حقيقية للاقتصاد باعتبار أن المعلومات لا تكون ذات قيمة ما لم يتم تحليلها ووضعها في إطار مفهوم، ومن هذا المنطلق فإن تطبيقات المعرفة أصبحت عاملا حاسما في تحديد الوضع التنافسي والميزة النسبية لكل بلد وصناعة ومؤسسة.

¹ حسانة محي الدين: " اقتصاد المعرفة في مجتمع المعلومات"، مؤتمر المعلومات، النادي العربي للمعلومات، دمشق، سوريا 2002، ص121.

² Carl Shapiro, hab varian: " Information rules (A strategic guide to the network economy, New york, MIT press 2000, p22.2.

2. مؤشرات التوجه نحو اقتصاد المعرفة وتكنولوجيا المعلومات:

إذ ما تتبعنا التحولات في عالم اليوم، فإننا نجد العديد من المؤشرات التي تدل على توجه العالم التدريجي نحو المعرفة، وتؤكد على تعاظم دور المعلومات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ويمكن أن نعدد أهم هذه المؤشرات في النقاط الآتية¹:

- اعتماد الاقتصاد على اليد العاملة المؤهلة و المتخصصة، حيث أن أهم ما يميز الوضع الاقتصادي الجديد هو ارتفاع الطلب على اليد العاملة ذات الكفاءات العالية والمتخصصة في ميدان المعرفة، وانخفاض الأنشطة التي تعتمد على اليد العاملة الأقل كفاية.

- انتقال تنظيم الاقتصاد من إنتاج السلع إلى إنتاج الخدمات، حيث أن هناك انتقال متصاعد للنشاط الاقتصادي من التركيز على السلع إلى صناعة الخدمات بأشكالها، فمثلا نلاحظ في دول شمال أمريكا أن ما يزيد عن 70% من اليد العاملة تشتغل في ميدان الخدمات، وتزداد هذه النسب سنويا بما يناهز 2,3% بينما تعرف انخفاضا يصل 0,2% سنويا في قطاع السلع) ولعله من أهم العوامل المفسرة لهذا التحول هو ارتفاع الطلب على الخدمات من طرف الوحدات الإنتاجية والمستهلك على حد سواء. ويتجلى طلب واستعمال الوحدات الإنتاجية من خلال اعتمادها على البرامج الإعلامية على طول سلسلة الإنتاج.

إشراك المؤسسات في بناء مجتمع المعرفة والمعلوماتية:

توجد المعلومات في صلب الإدارة الحديثة للمنظمات، خاصة تلك التي دخلت في العولمة، أصبحت مطالبة أكثر من ذي قبل بالاستثمار في الرأسمال المعرفة للحفاظ عليه وتنميته، وكذلك بالإدارة المحكمة لرصيد المعلوماتي، ويعد هذا الاستثمار في الإدارة الحديثة للمعلومات شرطا أساسيا للمنافسة الدائمة بين المؤسسات، إلا أن المعلومات لا يمكن استخدامها والتحكم فيها بسهولة على غرار ما يحدث بالنسبة للممتلكات المادية، وهذا ما يفسر كثرة الإخفاق في إدارة المعلومات رغم الاستخدام الواسع بالإنترنت والتكنولوجيا الرقمية وتعدد الوسائط²

وهكذا أصبح الاستثمار في المعلومات أحد عوامل الإنتاج، فهو يزيد في الإنتاجية، كما يزيد من توفير فرص العمل، حيث أن توفير المعرفة وتحويلها إلى معلومات رقمية يجعلها تتحول إلى سلعة ويعتمد ذلك على مراحل: توليد المعرفة، نقلها ونشرها، استثمارها.

وفي هذا يعتمد اقتصاد المعرفة اعتمادا كبيرا على فعالية المؤسسات في جمع المعرفة واستعمالها لرفع الإنتاجية وتوليد السلع وخدمات جديدة توزع عبر شبكات المعرفة التي تتغير فيها المعلومات بمعدلات سريعة.

إن العلاقة بين التنمية وبين المعلومات واستخدامها أصبحت واضحة، وبالتالي أصبح الاستثمار في المعلومات والانترنت بشكل مصدر جديدا للإحداث الوفرة في التكلفة ورفع الكفاءة الإنتاجية - حيث وفرت الانترنت المعلومات وبأقل التكاليف - كما أن التجارة الإلكترونية تزايد استعمالها على صعيد المنافسة العالمية.

¹ Opcit, p 41.

² Kamel Youcef Toumi : " Industrial infomation technology", First Arab conference on Industrial Iformation and Networks , Dubai , decembre 2002

لا يمكن الآن الاستغناء على المعرفة في المؤسسة التي تريد أن تنجح في الاقتصاد العالمي الجديد فالنجاح في المستقبل سيتوقف على الإدارة الإستراتيجية للمعرفة، وعليه فإن تطوير وإدارة مصادر المعرفة ستشكلان المحك الأساسي في احتفاظ المؤسسة بعافيتها الاقتصادية وقوتها في السوق .

3.11 مستلزمات التحول والتطوير:

إن تنمية اقتصاد مبني على المعرفة بات يفرض مجموعة من التغيرات في طبيعة وتنظيم المجتمع بصفة عامة وفي إطار المحيط الاقتصادي -خاصة- المتميز أساسا بمنافسة قوية ، الشيء الذي دفع الكثير من المؤسسات إلى إعادة ترتيبها التنظيمية والإستراتيجية لتصبح أكثر تلائما مع : العولمة ، التكنولوجيا والقيم الاقتصادية الجديدة.

ويتطلب مسار التحول والتطور جملة من العوامل يمكن أن نوردتها فيما يلي:

- ضرورة استخدام المعلومات بين عامة الناس وبشكل واسع - في إطار مجتمع المعلومات - فهم يستخدمون المعلومات بشكل مكثف في أنشطتهم كمستهلكين وكذلك كمواطنين لممارسة حقوقهم ومسؤولياتهم ، إضافة إلى إنشاء نظم المعلومات التي توسع من إتاحة التعليم والثقافة لكافة أفراد المجتمع .

- ضرورة استخدام المعلومات كمورد اقتصادي حيث يجب على المؤسسات والشركات استغلال المعلومات وزيادة كفاءتها ، ومما يؤكد هذا الاتجاه المتزايد نحو شركات المعلومات لتحسين الاقتصاد الكلي للدولة .

- وكضمان لفعالية ما سبق ذكره لابد من توفير عامل أساسي وضروري وهو عامل التكوين والتعليم المستمر ، فما يميز الاقتصاد المبني على المعرفة هو ضرورة الاكتساب الدائم للمعلومات وتنمية المؤهلات الضرورية لاستثمارها ، حيث أصبحت التربية والتكوين المستمر الشرطان الأساسيان للنجاح داخل أي مجتمع بغض النظر عن الضرورة الاقتصادية .

3.12 تأثير التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات كأداة جديدة في الاقتصاد :

إن الاقتصاد العالمي يشهد ثورة معلوماتية في كل القطاعات، خاصة القطاع الصناعي. تدل عليها مؤشرات تصف هذه التحولات، فقد أدى هذا إلى نمو وزيادة مستدامة في الإنتاجية بسبب فرضية التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة .

يمكن النظر إلى المعرفة على أنها :

- المعلومات know what

- الخبرات know how

- معرفة الأسباب know why

- معرفة الاختصاص في مختلف المجالات know who

بالإضافة إلى هذا ينظر إلى تصنيع العمليات الأساسية التي تجري في المجالات المعرفة، في أربعة عمليات هي توليد المعرفة ، توثيقها وتخزينها ، نشر المعرفة وأخيرا وهي أهم استعمال واستخدام واستثمار المعرفة.

تكنولوجيا المعلومات تعد من إفرزات اقتصاد المعرفي ، فهي تعتمد على الصفات التالية:

(1) تقدم هذه التكنولوجيا طرقا جديدة في إدارة واستعمال المعلومات في كل القطاعات الاقتصادية، فمقارنتها مع تكنولوجيا أخرى نجدها تتميز بإمكانية تطبيقها على كل الاقتصاد وعملياته؛

(2) تكنولوجيا المعلومات والاتصال تحقق مكاسب اقتصادية، نظرا لأنها تحسن من قدرات كل القطاعات في حيازة ومعالجة ونشر واستخدام المعلومات؛

(3) إن الإبداع والتطور في التكنولوجيا المعلومات والاتصالات يزيد من إنتاجية الفرد واستفادته من المعرفة والعلم والتكنولوجيا.

فتكنولوجيا المعلومات تأثر في الاقتصاد تأثيرا إيجابيا كأداة هامة لتحسين الأداة، نتيجة لازدياد المعارف على كل المستويات، وهذا ما يمكن لاقتصاد الجزائر للالتفات له والتخطيط لحسن استعمال هذه الأداة.

1.1.1.1. تأثير تكنولوجيا المعلومات على الإنتاجية في مختلف المستويات :

1.1.1.1.1. تأثيرها على إنتاجية المؤسسة :

أكدت العديد من الدراسات والتقارير مؤخرا أن تكنولوجيا المعلومات تؤثر تأثيرا أساسيا في نمو المؤسسات، خاصة عندما يرافق إدخال تكنولوجيا المعلومات مؤسسة لإدخال تغييرات تنظيمية وإدارية مرافقة.

فقد بنيت عدة دراسات أن معدل الإنتاجية كان أعلى ما يمكن لدى المؤسسات التي استثمرت في التكنولوجيا المعلومات، وفي توزيع الإدارة والتنظيم. إلا أن هذه الدراسة بنيت أن الاستثمار في المعلوماتية دون أن يرافقه إعادة توزيع وتحسين في الإدارة والتنظيم لم يؤدي إلى زيادة محسوبة في الإنتاج. إن استفادة القسوى من تكنولوجيا المعلومات تحقق عندما يرافقه استثمار في: إستراتيجيات جديدة، و هيكلية جديدة، وأعمال جديدة.

2.1.1.1.1. تأثير تكنولوجيا المعلومات على الإنتاجية القطاعية:

إذا كان الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات وما يوافقها من تغييرات تنظيمية وإدارية، يحسن إنتاجية المؤسسات في قطاع ما، فإن الاستثمار في هذه التكنولوجيا على مستوى القطاع يظهر نمو أعلى في الإنتاجية لهذا القطاع بالنسبة للقطاعات الأخرى. وتدل الدراسات في و.م.أعلى أن قطاعات إنتاج السلع كثيفة الاستثمار في التكنولوجيا المعلومات، أظهرت إنتاجية أعلى من قطاعات الأخرى، كما أن إنتاجية قطاع صناعات تكنولوجيا المعلومات أيضا أظهرت إنتاجية أعلى¹.

3.1.1.1.1. تأثير تكنولوجيا المعلومات على توليد فرص العمل:

ازدادت عالميا فرص العمل التي ولدتها مهن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مع أوائل التسعينيات، ففي و.م.أ كان هناك في عام 1992 4.3 مليون عامل في مهن تكنولوجيا المعلومات، ثم نما هذا الرقم إلى 5.3 مليون عام 1998. وكانت هذه الزيادات في فرص العمل بمعدل 6.5% سنويا وهو معدل أعلى من المعدلات أي قطاع آخر، وإذا أخذنا عدد العاملين في كلا القطاعات المنتجة لتكنولوجيا المعلومات، والقطاعات المستعملة لتكنولوجيا المعلومات، فإن العدد يصل إلى 7.4 مليون عام 1998 أي ما نسبة 6.1%، من مجمل القوى العاملة الأمريكية. وإذا أخذنا فقط ازدياد عدد العاملين بمهن برمجيات فترى أنها ارتفعت من 850 ألف عام 1998 إلى 1.6 مليون عام 1998.

¹ Opcit, p 49.

1.III. 4. تأثير تكنولوجيا المعلومات على قوى العاملة:

لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تأثير آخر هو إدخال متطلبات جديدة حول القوى العاملة ، من هذه التغيرات زيادة أجور العاملين في مهن هذا القطاع زيادة كبيرة نسبيا إن معدل الأجور السنوي في الصناعات المنتجة لتكنولوجيا المعلومات كان 58000 دولار لعام 1998 في و.م.أ أي 85% أعلى من معدل الأجور السنوي البالغ 31400 دولار في القطاعات الأخرى، ومنذ عام 1992 ارتفعت الأجور للعاملين في الصناعات المنتجة لتكنولوجيا المعلومات بمعدل 5.8 % سنويا بالمقابل لم يرتفع الأجور العاملين في الصناعات الخاصة الأخرى بأكثر من 3.6%.

من جهة أخرى هناك زيادة في مستوى المعلومات والخبرة المطلوبة من القوى العاملة، فالتطور السريع، والإبداعات الجديدة في هذا القطاع يتطلب عاملين على مستوى عالي من الخبرة. كما أن إدخال تكنولوجيا المعلومات في القطاعات الأخرى عن طريق استعمال تجهيزات وبرمجيات أكثر تعقيدا وتطورا من التجهيزات المستعملة سابقا ، يجعل هذه القطاعات بحاجة لعمالة أعلى خبرة وتعليما من قبل، كما يحتاج لتدريب مستقر لهذه القوى العاملة يتناسب مع تطور التجهيزات والبرمجيات .

من جهة أخرى ازداد في جميع القطاعات نوع من المهن يرتبط بالتعامل مع المعلومات ، من حيث توليها ودمجها ومعالجتها واستعمالها ، كذلك المهن الخاصة باتخاذ القرار وبالاعتماد على المعلومات. إن كل القطاعات الإنتاجية، و الخدمية تحتوي على وظائف مبنية على التعامل مع المعلومات أو المعرفة، لذلك فإن تأثير تكنولوجيا المعلومات طال عمليا كل القطاعات وأدى إلى تنقلات في المهن إضافة، كما ذكر سابقا لزيادة في الإنتاجية، وبذلك يكون هناك نوعان من العاملين من التكنولوجيا المعلومات ، الأول العاملين في قطاع نفسه ، والثاني للعاملين في قطاعات أخرى التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصال كأداة .

1.III. 5. تأثير التكنولوجيا المعلومات على تطوير المنتج:

لقد اكتشفت المؤسسات أن هذه التكنولوجيا يمكن استخدامها لتطوير منتجات وخدمات جديدة ، كما يمكن استخدامها لتطوير خطوط إنتاجها أو عمليات الإنتاج. وبالفعل فقد طورت الكثير من المؤسسات منتجات جديدة تتضمن داخلها عناصر وتجهيزات معلوماتية أو برمجيات حاسوبية. إن تطوير المنتج سواء كان سلعة أو عملية إنتاج قد تأثر تأثيرا كبيرا بدخول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فيها .

من جهة أخرى وعندما أخذت المؤسسات تستفيد من التكنولوجيا المعلومات والاتصالات، دعاها إلى إعادة النظر بعمليات البحث وتطوير الإنتاج والتسويق وخدمات ما بعد البيع .

ولقد ساعد نشوء الانترنت، في نشر معلومات البحث والتطوير العلمي وتكنولوجي ، فالكثير من المؤسسات تستعمل الانترنت لزيادة فعاليتها من أجل زيادة إنتاجها كما تستعملها الجامعات ومركز البحوث استعمالا واسعا في مشاريع البحث والتطوير .

إن الكثير من المعلومات العلمية والتكنولوجية العامة لتطوير المنتج ومتوفرة على الانترنت بأشكال عدة من غير ماهية عملية التطوير المنتج تغيرا كبيرا .

1.III. 6. تأثير التكنولوجيا المعلومات والاتصالات على الإنتاج :

أدت استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في خطوط الإنتاج، والتغيرات السريعة في هذه التكنولوجيا، إلى توجه نحو استخدام وحدة إنتاج أصغر من السابق وأكثر مرونة ، كما رافق هذا التوجه توجهات أخرى نحو التزود بعناصر إنتاج من خارج المؤسسة، وكذلك التوجه إلى تصغير كل وحدات الإنتاج الكبرى.

لقد ساعدت تكنولوجيا المعلومات في تحقيق آليات جديدة في الإنتاج، الأتمتة الكلية لآلية الإنتاج وتنسيق كل مرحلة من مراحلها في الوقت المناسب (jit)، ومثل الدقة في صناعة مركبات السلعة المنتجة، وعدم تصنيع أي عناصر أو مركبات خاطئة في عملية إنتاج سلعة من السلع.

وقد أثرت الانترنت والمؤسسات الحاسوبية في الكثير من العمليات المتعلقة بالإنتاج استعملت في :

- تنسيق وتصميم المنتج؛

- تخفيض تكلفة إدارة المشاريع؛

- إدارة المخزون؛

- تقديم التدريب للعمال والموظفين؛

- زيادة أتمنة ومرونة خطوط الإنتاج؛

- تسهيل وإصدار وثائق الإنتاج؛

1.111. 7. تأثير التكنولوجيا المعلومات في التسويق :

يمكن اليوم للمستهلكين في الكثير من دول العالم الدخول إلى الانترنت والإطلاع على مواصفات وعروض أي من السلع التي يرغبون في شرائها، فالانترنت أصبحت مكانا للتسوق، يمكن للمستهلك المفاضلة بين العديد من العارضين، ثم إجراء عملية الشراء على الانترنت، ثم في الكثير من الأحيان الدفع عبر هذه الشبكة، وعندما تكون سلعة رقمية، يمكن استلامها أيضا عبر هذه الانترنت.

أثرت التجارة الإلكترونية تأثيرا كبيرا على سعر السوق لمعظم البضائع، فالمشتري يمكن أن يتفحص سعر السلعة ومواصفاتها من كل بقاع العالم وبسرعة وتكلفة قليلة بالمقارنة مع الوسائل السابقة (السفر، الزيارات، المعارض) وأكثر من ذلك فقد ظهرت بعض البرمجيات على الانترنت لتسهيل هذه العملية، فتسهل هذه البوابات عمليات التسويق وعمليات الشراء.

وتقوم هذه البرمجيات بالإبحار عبر الانترنت في العديد من المواقع وبسرعة فائقة باحثة عن أفضل سعر وأفضل مواصفات لصالح المشتري، و تدعى هذه البرمجيات بالمشتري الرقمي Bots. ومن جهة نظرا البائع فإن الانترنت أصبحت وسيلة هامة للتسويق عالميا، فالمصنعين ومقدمي الخدمات يعرضون الآن على الانترنت معلومات ومواصفات وأسعار وخدمات لسلعهم، مع إمكانية الصيانة والإطلاع بالاستعانة بالانترنت، وكذلك التدريب عن بعد مع كل اللوازم التسويقية وكلها عبر الانترنت.

خاتمة:

لقد بات التقدم السريع لشركات التكنولوجيا العالمية وما تقدمه من منتجات تقنية عالية الدقة مع اتساع نطاق استخدامها حول العالم وتزايد الاستثمار فيها خلال الأعوام المقبلة، يفرض نمطاً جديداً على القطاعات الاقتصادية قد تلغي النمط الإنتاجي الحالي ليحل محلها نمط إنتاجي آخر، يحمل معالم الاقتصاد الجديد الذي تقودنا إليه التكنولوجيا الحالية في المستقبل.

ولقد شكل انتشار استخدام الكمبيوتر وبعده الانترنت منذ تسعينات القرن الماضي نقلة نوعية للقطاعات الاقتصادية (صناعة، زراعة، تجارة، خدمات) بدأت رويداً رويداً تتغير معالمها، إذ صار عامل التكنولوجيا محركاً كبيراً لزيادة الإنتاج واعتبر العامل الخامس من عوامل الإنتاج (الأرض، العمل، رأس المال، التنظيم).

إذ عملت التكنولوجيا على استغلال الموارد الطبيعية بأفضل صورة ممكنة وخلفت آثاراً إيجابية على العملية الإنتاجية، كالسرعة في تنفيذ العملية الإنتاجية وزيادة الإنتاج كمّاً ونوعاً، وتقليل التكلفة والزيادة في معدلات النمو الاقتصادي وتحسين المستوى العام للحياة، وأتاحت الاتصال بكل أنحاء العالم، وخلقت فرص عمل جديدة. واخترقت مجالات الطب والهندسة وعلوم الفضاء والأرض وأصبحت جزءاً أساسياً في التسليح والحروب، وأصبحت مصدراً لتلقي الخبر والمعرفة ونشرهما.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد زاهر: تكنولوجيا التعليم وتصميم وانتاج الوسائل التعليمية، الطبعة الأولى، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1997.
2. محمد الفاتح حمدي: تكنولوجيا الاتصال والاعلام الحديث، مؤسسة الكنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2011.
3. فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1998 .
4. عزام محمد أبو الحمام: الإعلام و المجتمع، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
5. فضيل دليو: تاريخ وسائل الاتصال ، دار أقطاب الفكر، قسنطينة، (ط3)، 2007.
6. كامل خورشيد مراد: الاتصال الجماهيري والإعلام، ط1، دار المسيرة، الأردن.
7. محمد مراياتي: "تطور مهن صناعة المعلوماتية و مرودها الاقتصادي": ندوة الدراسات الإنمائية، المؤتمر الوطني السابع عشر للإنماء ، بيروت 2000.
8. مصطفى الصادق، عباس الإعلام الجديد، المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ط1، الأردن، دار الشروق، 2008
9. أولجا جوديس بيبي وآخرون، تر: علا أحمد صلاح: فهم الإعلام البديل، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط1، 2009.
10. عبد الباسط محمد عبد الوهاب: استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الاذاعي والتلفزيوني، المكتب الجامعي الحديث، 2005.
11. فضيل دليو: الاتصال مفاهيمه، نظرياته، وسائله، دار الفجر للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
12. ومعييل سعادة، فارس بوباكور، أثر التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال في المؤسسة الاقتصادية مجلة الاقتصاد والمناجمنت، جامعة تلمسان، 2004، عدد03
13. شطاح محمد وآخرون، القنوات الفضائية تأثيرها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري دراسة ميدانية، دار الهدى، عين مليلة.
14. فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ط01.
15. معالي فهيم حيدر، نظم المعلومات ، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية ، 2002
16. نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994.
17. حسانة محي الدين: " اقتصاد المعرفة في مجتمع المعلومات "، مؤتمر المعلومات، النادي العربي للمعلومات، دمشق ، سوريا 2002.



المراجع الأجنبية:

1. Carl shapro, hab varian : " **Information rules (A strategic guide to the network economy**, New york, MIT press 2000, p22.2.
2. Kamel Youcef Toumi : " **Industrial infomation technology** " , First Arab conference on Industrial Iformation and Networks , Dubai , decembre 2002

الأبعاد الإستراتيجية لتشييد القصبات المغربية في عهد السلطان المولى إسماعيل

د.نجاة القلاي/جامعة محمد الخامس، المغرب

ملخص:

رغم أن المغرب قد عرف في تشييد القلاع والقصبات في عصر الموحدين والمرينيين والسعديين، حيث كان دورها منحصرا في الدفاع عن حدود البلاد الخارجية وعن رد هجومات القبائل، إلى أن استراتيجية المولى إسماعيل في تشييد القصبات كان يكتسي طابعا جديدا. وترجع جدة هذا النظام بالأساس إلى الدواعي الأمنية المتمثلة في استخدام القلاع لمراقبة القبائل، وضبط و تأمين الطرق التجارية وضمان سلامة المسافرين، واستخلاص الضرائب، وتعد الواحات وتحديدًا واحة تافيلالت من أكثر المناطق احتضانًا لهذه القصبات.

الكلمات المفتاحية: القصبات- القلاع- المولى إسماعيل- تافيلالت.

Abstract :

Although Morocco was known for the construction of castles and fortresses in the era, the Almohads, the Mirinides and the Saadian, where its role was confined to defending the country's external borders and responding to tribal attacks, the strategy of Moulay Ismail in the construction of the bays was new. This system is mainly due to the security reasons of using castles to control tribes, control and secure commercial routes, ensure the safety of passengers, and extract taxes. Oasis, specifically Tafilalat Oasis, is one of the most densely populated areas of these bays.

Keywords: Kasbah - Castles - Moulay Ismail – Tafilalat.

مقدمة:

عمل السلطان المولى إسماعيل طيلة فترة حكمه (1672-1727) على إنشاء نظام دفاعي فعّال قائم على تشييد وترميم قصبات وحصون تسمح كامل تراب المغرب، هذه القصبات التي لاتزال تشكل مظهر بارز في تاريخ المغرب وتراثا شاهدا على أحوال ووقائع الماضي وتجلياته الراهنة، فقد انتشرت في كل المجال المغربي وارتبطت بفترات زمنية متعددة، حيث كان المخزن يكلف عددا من القبائل ببنائها.

84

وتكتسي القصبات والحصون المخزنية المنتشرة بواحات بلاد المغرب الأقصى أهمية خاصة نظرا للأبعاد الإستراتيجية التي كانت وراء تشييدها. كما شكلت القصبات الإسماعيلية بهذه المناطق تراثا شاهدا على الأدوار التي اضطلعت بها، وعلى الأبعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية التي تحكمت في تأسيسها. وبفعل هذه السياسة الذكية تمكن المولى إسماعيل من ضمان استقرار نسبي للمغرب خلال فترة حكمه.

ومن المعلوم أن المولى إسماعيل شرع في غزو القبائل الصنهاجية منذ السنوات الأولى من حكمه، خصوصا المتمرده منها بكل من الأطلس المتوسط الأطلس الكبير الشرقي؛ فانطلق جيش عبيد البخاري من سايس وتادلا وتافيلالت ومن جهة الشرق لإرغام القبائل الصنهاجية على الخضوع للسلطة المركزية.

ورغبة منه للحد من النزوح المتكرر لهذه القبائل أقام السلطان سلسلة من القصبات، أحاطت بالقبائل الصنهاجية من جميع الجهات ابتداء من قصبة تادلا إلى تافيلالت مرورا بأدخسان وعين اللوح وأزرو وكيكو وقصبة حميدوش بالضفة اليمنى لتانسيفت¹.

من هذا المنطق نروم في هذا المقال الوقوف على نماذج من تلك التي أسست بمنطقة تافيلالت، من خلال إبراز الأبعاد الإستراتيجية لتأسيسها؛ والكشف عن الأدوار التي قامت بها؟ ودراسة مواقعها ومكوناتها المعمارية؟.

1- الأبعاد العامة لتشييد القصبات في المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل.

يندرج تشييد القصبات في المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل في إطار مشروع إعادة توحيد وتحصين أطراف البلاد، وضبط الأمن وتسهيل حركة مرور القوافل والمسافرين بفضل الشبكة الأمنية التي بنيت في مختلف أرجاء البلاد والتي كان قوامها الحصون والأبراج والقلاع والقصبات بعد فترة من التصدع السياسي والانقلاط الأمني، يأتي هذا الإجراء كخيار استراتيجي يستهدف تكريس سلطة الدولة وضبط الدينامية الاجتماعية لمختلف المجموعات البشرية سواء بالمدن الكبرى أو على امتداد الطرق التجارية أو في المناطق الواحية.

فقد شهد المغرب القرنان 16 و17م تحركات قبلية واسعة النطاق غيرت إلى حد بعيد الخريطة البشرية لمغرب هذه المرحلة؛ لذلك صار لزاما على المولى إسماعيل في هذه الحالة أن يعد استراتيجيا عسكرية وسياسية تتناسب مع حجم هذه التغيرات الجبهوية والتحديات القبلية الصعبة، كما أن رغبته في الحفاظ على ولاء القبائل للسلطة جعله يشيد العديد من القصبات لسكن أبنائه بقصد استخلافهم على إدارة بعض المناطق الواحية.

¹ - إبراهيم بوطالب، معلمة المغرب، مادة: "المولى إسماعيل"، نشر مطابع سلا، 1989، ج 2، ص: 447.

2- الأبعاد الإستراتيجية لتأسيس القصبات الإسماعيلية بمنطقة تافيلالت.

استغلت قبائل الرحل التي كانت تجوب المراعي الممتدة جنوب الأطلس الكبير، أحداث النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/17م، وما نتج عنه من انهيار اقتصادي واضطراب اجتماعي، وانشغال الدولة العلوية بمشاكل المناطق الشمالية، فاندفعت في عمليات غزو واسعة لتركيز وجودها في المجال الممتد من تافيلالت شرقا إلى حوض وادي درعة غربا، ومن السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوبا. وتشكل اتحادية آيت عطا¹ نموذجا لتشكيل هذه القبائل الصنهاجية².

وقد كانت قبائل آيت عطا مصدر تعب وفتح لسكان الواحات والجبال من مناطق توات إلى جبل باني ومن بلاد واد درعة إلى بلاد آيت يوسي³، والحقيقة أن منطلق القوة هو الذي كان يحكم علاقة القبائل الرعوية بالأهالي المستقرين في الواحات خصوصا بعد انضمام قبائل بني معقل المنحلة وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى للاتحادية العطاوية⁴. ولم يستطع السلطان مولاي إسماعيل وضع حد لهذه التهديدات التي تشكلها قبائل آيت عطا بالنسبة لسكان القصور، نظرا لانشغاله بمشاكل الثوار الخارجين⁵ عن سلطة الدولة وكانت أشدها خروج ابن أخيه أحمد بن محرز الذي طالب بالملك لنفسه⁶، واكتفى بتعيين خليفة له من أبنائه على سجلماسة. ويبدو أن عامل سجلماسة في مطلع القرن 12هـ/17م، مولاي المأمون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة قبائل الرحل من بقايا بني معقل وآيت عطا⁷.

ونستشف من إحدى رسائل الحسن اليوسي إلى السلطان مولاي إسماعيل، أن قبائل آيت عطا، قامت بمهاجمة القصور بواحات وادي درعة وتافيلالت، وهذا نص الرسالة "وأما قطع الطريق فإنما كانت في آيت عطا... وما تركوا ذلك قط ولا دخلوا في الطاعة دخول غيرهم، وإنما يخادعون تارة على التمر وتارة على الزرع وسراياهم سارية في كل أرض من هاهنا. يعني بلاد آيت يوسي، إلى درعة لا في هذه الأرض وحدها، وما تحركوا هنا حتى قضوا الغرض في الصحراء، فقتلوا الفقراء من أولاد من لا يخاف⁸، خارج النخل واستباحوا تلك البلاد كلها كما بلغكم⁹.

وتعد واحة تافيلالت من بين الواحات التي خصها السلطان المولى إسماعيل بعناية خاصة، وفضلها لإبعاد أبنائه عن مجال الحكم المركزي، والاستفادة من مزاياها، ذلك ما عبر عنه صاحب الاستقصا بقوله "فكان رحمه الله (أي المولى إسماعيل)

1 - تتشكل من القبائل الصنهاجية الصحراوية وبعض فلول قبائل بني معقل وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى، ينظر - مولاي التقي العلوي: اتحادية آيت عطا، مجلة البحث العلمي، عدد 23، 1974، ص: 116.

2 - حول ظروف تشكيل الاتحادية العطاوية ينظر:

- Spillman (Capitaine Georges), les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa, Rabat, 1936, p.40.

3 - مولاي التقي العلوي، "أصول المغاربة القسم البربري"، مجلة البحث العلمي، عدد 33، سنة 1982، ص: 118.

4 - مولاي التقي العلوي، ن.م، ص: 116.

5 - نشير هنا إلى تمرد وخروج إخوة السلطان الثلاثة عن طاعته وهم مولاي الحران وموبي هاشم ومولاي أحمد وثلاثة من أبناء عمومتهم ودخلوا لقبائل آيت عطا من البربر. - محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي، الجزء الأول، مطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، 1996، ص: 127.

6 - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء دار الكتاب، 1956، ج 7، ص: 46.

7 - أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17م، مطلع القرن 20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطة، 1994، ص: 110.

8 - اسم لأحد القصور بمنطقة تافيلالت.

9 - فاطمة خليل القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1981، ص: 211-212.

سديد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناس إلى تافيلالت مع بني عمهم من الأشراف ليتدربوا على معيشتها التي تدوم لهم، فكان ذلك صوتنا لهم من نكبات الدهر وفضيحة الخصاصة بعد موته وزوال النعمة وانزواء رداء الملك الساتر لهم بين العامة¹. وهو نفس الكلام الذي أورده صاحب المتزغ اللطيف بقوله: "وأسس الدور والقصور العديدة لأولاده بسجلماسة، كل واحد قصرا أو دارا، وأعطى لكل على حدة نخلا وأرضا للحراثة والغراسة ومن يقوم به من الممالك، كل على قدر رتبته ومكانته لديه..."²

وبفعل هذه السياسة التحصينية، تمكن المولى إسماعيل من الهيمنة والسيطرة على المغرب، وتعهد أيضا بالالتزام بإعادة الاستقرار وفرض الأمن على كل المجالات الخاضعة لسلطته. وعلى الرغم من الثورات والتمردات الداخلية التي عانى منها السلطان، فقد استمر في تحصين البلاد من أي تمرد محتمل على عرشه، فقد ناهز عدد هذه القصبات حسب صاحب الاستقصا مائة وخمسة "وكل واحد من هذه الدور المائة والخمس التي بسجلماسة لواحد من أولاد صلبة³، وكانت تخصص هذه القصور القصبات للأمرء بواسطة ظهير سلطاني من أجل الاستقرار بها واستغلال ممتلكاتها⁴، وقد عدد صاحب الدرر الهية بعض هذه القصبات وأشار إلى أبناء السلطان المولى إسماعيل الذين كانت لهم قصور مستقلة في المنطقة حيث يقول "ومنهم الشريف النزيه المتوكل على الله نزيل مزكيدة والسيد أحمد الذهبي نزيل قصبه الشهيرة والسيد علي نزيل الشقارنة والسيد المأمون والسيد المهدي نزيلا قصبتهما الشهيرة بهما والسيد زيدان..."⁵، وقد عدتسع وأربعين من أبناء السلطان وقال هؤلاء كلهم سكان سجلماسة بقصور متفرقة في أنحاءها ولكل منهم قصر خاص به وبعياله وحشمه.

كما قام المولى إسماعيل خلال زيارته لمنطقة تافيلالت بتشديد وإعادة بناء مجموعة من القصبات أهمها القصبه السجلماسية التي كانت بمثابة الإدارة المحلية وكانت محاطة بسور قوي، وتضم القلعة والمسجد الجامع فضلا عن المدارس القرآنية، ومنازل الموظفين الساميين⁶، وجدد سقوف المنازل الواقعة بداخل القصبه... وأسس مخزنا للبارود... وشيد المدارس دراسة القرآن وباقي فروع التعليم الإسلامي⁷.

1-2. البعد السياسي.

خص المولى إسماعيل منطقة تافيلالت بعناية خاصة، فعين احد أبنائه مكلفا بتسيير أمورها، وقام ببناء عدة قصور وقصبات قصد إيواء بعض أبنائه الذين كانوا يفضلون الاستقرار بها، إذ يعد بحق المشيد الأول لمعظم القصبات والقصور بالمنطقة، ويندرج ذلك أيضا في إطار سياسته الهادفة إلى تقوية الدولة الناشئة، وقد ورد ذكر هذه القصبات متفرقا بالمصادر التاريخية،

¹- أبو العباس احمد خالد الناصري، م. س، ج 7، ص. 102.

²- ابن زيدان (عبد الرحمان)، المتزغ اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة ادريال، ط1، 1993، ص. 387.

³- ابن زيدان، المتزغ...، ن. م، ص 387.

⁴- عبد الرحمان ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مطابع إدريال، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1990، الجزء ج 5، ص. 338-336.

⁵- مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي، الدرر الهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، طبعة حجرية، فاس، 1314، ج 1، ص. 193-194.

⁶- لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008، ج 2، ص: 461.

⁷- astugue (Henri) : « quelques mots au sujet du Tafilalet et Sijilmassa », Bulletin de la Société de Géographie. Paris, Tome XIII, avril 1867, P371

ومن ذلك قصبة مولاي المامون، وقصبة المدسة، وقصبة اولاد يوسف، وقصبة المولى المكتفي، وقصبة كرنفود، وقصبة اولاد عائشة...

شيدت كل هذه القصور القصبات على عهد السلطان المولى إسماعيل حيث أوكل الإشراف عليها إلى بشوات وقواد عسكريين، وإلى أبنائه الذين عينهم خلفاء له لتسيير شؤون الإدارات الإقليمية والجهوية للدولة¹. وترجع بعض أهداف هذا القرار إلى استحضاره للخاصية الأمنية المتمثلة في استخدام القلاع لمراقبة القبائل.

2-2. البعد العسكري.

كانت مسألة التحصينات حاضرة بقوة في عهد المولى إسماعيل، حيث شيد العديد من القصبات في مواقع متعددة، وسن نظاما جديدا في مجال التحصين، وقسم المغرب إلى ثلاث مقاطعات عسكرية: تافيلالت ومراكش وفاس²، لضمان استقرار القبائل، وخاصة تلك المتمردة باستمرار، فكان تشيد القصبات والقلاع لمراقبة القبائل.

2-3. البعد الاقتصادي.

كان للعامل التجاري أيضا دوره في الإكثار من تشيد هذه القصبات لحماية الطرق التجارية الواصلة بين الأقاليم الجنوبية وبلاد السودان إضافة إلى استخلاص المستحقات الجبائية³، إذ كان من بين الوظائف التي تم تكليف الحامية العسكرية المقيمة بهذه القصبات هو تحصيل الضرائب أي تقريب الإدارة الجبائية من القبائل وضبط عملية الجباية المحلية واستغلال جزء من هذه الضرائب لتموين القلاع: وقد أشار الناصري لذلك: عين [السلطان مولاي إسماعيل] لكل قبيلة تلك البلاد قلعتها التي تدفع بها زكواتها وأعشارها لمؤونة العبيد وعلف خيولهم⁴.

هذا ما جعل سير القلاع متوقفا على الجباية القبلية. فبمجرد ما تمتنع القبائل عن أداء الضرائب وتضعف السلطة المركزية، يتأثر سير القلاع وتتضرر حامياتها من جراء ذلك. ولعل هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى فشل نظام القلاع، خصوصا بعد وفاة المولى إسماعيل. وقد انتبه اكنسوس إلى هذه الظاهرة، فأشار إلى ما يلي:

"لما مات المولى إسماعيل انقطع عن عسكر القلع المدد الذي كان به قوامهم ولم يلتفت إليهم أحد من أولاد الملوك من بعد، ولا وصلهم بإعانة فخرجوا إلى التمعش على أولادهم وأنفسهم بالقبائل التي هم فيها وامتدت أيدي النهب للقلع التي تركوها فأخذوا أبوابها وسقوفها ولم يبق إلا الجدران..."⁵.

3- القصبات بمنطقة تافيلالت

1-3. الخصائص المعمارية للقصبات الفيلاية.

بالرجوع إلى دراسة المعطيات الميدانية التي قام بها الباحث بوعصب، نلاحظ أن القصور والقصبات بنيت بتقنية عالية حيث توفرت فيها جميع شروط التحصين والدفاع قلما حظيت بها القصور الأخرى، وهذا يدل على أهميتها كمراكز دفاعية.

1 - الفقيه الإدريسي، القصبات الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، بني ملال عدد 5، 2000، ص.90.

2 - محمد شقير، تطور الدولة في المغرب، من القرن الثالث ق.م إلى القرن العشرين، مطبعة الشرق، 2000، ص:254.

3 - محمد الفاسي، رسائل إسماعيلية، صدرت عن السلطان مولاي إسماعيل إلى ولد الأمير المامون، وعددها خمسة. المطبعة الملكية بالرباط 1967/1387، ص.19.

4 - أحمد الناصري، الاستقصا، م، س، ج، 7، ص:62.

5 - محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم، م، س، ج، 1، ص 158.

إن ما يميز هذه القصور هو توفرها على مجموعة من المرافق الإضافية التي تنعدم في غيرها، فهي تتوفر على عكس أغلب قصور المنطقة على أبواب ضخمة شيدت من الحجارة وعلى أسوار أكثر ارتفاعاً من غيرها، لا تلتصق بالمنازل كما أن أزقتها أقل اتساعاً وأكثر انعراجاً. وهي قصور صغيرة المساحة مقارنة مع باقي أصناف القصور بالمنطقة، أقيمت إلى جانب القصور الكبيرة خصوصاً المخزنية منها بحيث اعتبرت ملحقات لها وهي صنفان¹:

قصبات سكنية أتخذها بعض الأسر المتميزة في الواحات مسكناً لهم كما سكنها أبناء السلاطين مع المقربين منهم، واتخذها أيضاً بعض القواد المخزنيين الذين أقاموا في الواحات مقراً لهم، فهي بذلك تعبر عن مركز اقتصادي، وسياسي، واجتماعي لسكانها. والصنف الثاني من هذه القصور القصبات يستعمل لأداء مجموعة من الخدمات المخزنية².

شيدت كل هذه القصور والقصبات على عهد السلطان المولى إسماعيل، حيث أوكل الإشراف عليها إلى بشوات وقواد عسكريين، وإلى أبنائه الذين عينهم خلفاء له لتسيير شؤون الإدارات الإقليمية والجهوية للدولة³.

2-3. جرد للقصبات الإسماعيلية بتافيلالت.

اسم القصر القصبية	موقعه
قصبية أولاد رحو	يقع على بعد ثلاث كلمترات جنوب مدينة الريصاني، اتخذه مولاي المهدي بن مولاي الشريف بن علي سكننا له ومن بعده زين العابدين ابن السلطان مولاي إسماعيل ⁴ .
قصبية جنان القاضي	حسب ما أمدتنا به الرواية الشفوية فإن القصر أسس في القرن السابع عشر وفيه ولد ابن أبي محلي.
قصبية أولاد عدو	يوجد هذا القصر بواد ايقلي بناه السلطان مولاي إسماعيل لابنه زين العابدين ⁵ .
قصبية أولاد المودن	تقع بمشيخة تانيجيوت كان مقراً لسكن ابن السلطان مولاي إسماعيل مولاي المودن.
قصبية الفرخ	توجد هذا القصر بواد ايقلي، سكنه احد أبناء مولاي الشريف بن علي ⁶ .

¹ - بوعصب (امبارك) القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت دراسة عمرانية ومعمارية، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، 2017، ص 326.

² - ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، م. س، ج 5، ص. 573.

³ - الفقيه الإدريسي، القصبات الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، بني ملال ع 5، 2000. ص. 90.

⁴ - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 1433 د، ص ص. 231.

⁵ - عبد الرحمان ابن زيدان، المنزح اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف. تحقيق عبد الهادي التازي. مطابع إديال. الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1993، ص. 387.

⁶ - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء، ن. م، ص. 231.

قصبة عمارة	تقع بمشيخة واد ايفلي بالقرب من قصر أولاد عبد الحليم، وحسب ما استقيناه من الرواية الشفوية فالقصر شكل خزان للحبوب في عهد السلطان مولاي إسماعيل.
قصبة مولاي سليمان	تقع بواد ايفلي نسبة إلى مولاي سليمان ابن محمد الرابع.
قصبة مولاي الهادي	يوجد هذا القصر بواد ايفلي بناه السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي الهادي ¹ .
قصبة مولاي الحران	يوجد بواد ايفلي بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي الحران.
قصبة تعرمت	يوجد بواد ايفلي، أسس ² خلال القرن 17م.
قصبة مولاي عبد الكريم	تقع قرب ضريح مولاي علي الشريف بنيت لإقامة مولاي الشريف بن مولاي محمد ³ .
قصبة مولاي مستعين	تقع بواد ايفلي أسست في القرن السابع عشر ⁴ .
قصبة سيدي ملوك	تقع على بعد كلمتر ونصف شرق موقع سجلماسة.
قصبة كحاك	تقع على بعد كلمتين شرق الريصاني.
قصبة اشقارنة	تقع على بعد ثلاث كلمترات غرب مدينة الريصاني، بناه السلطان، المولى إسماعيل لإقامة ابنه علي ⁵ .
قصبة مولاي احمد الذهبي	بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي احمد الذهبي ⁶ .
قصبة المنصورية	تقع أقص شمال خراب سجلماسة بناها السلطان مولاي الشريف بن علي ⁷ .

1 - ابن زيدان، المنزع، ن. م، ص. 387.

2 - لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة، م. س، ج 2، ص. 692.

3 - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء، م. س، ص. 230.

4 - لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة، م. س، ج 2، ص. 692.

5 - مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيبي، الدرر الهية، م. س، ص. 193.

6 - مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيبي، ن. م، ص 193.

7 - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء، ن. م، ص. 231.

قصبة لبطرني	تقع بمشيخة بني امحمد على بعد كلمتر شمال غرب سجلماسة، كانت مقرا لسكنى أبناء مولاي إسماعيل مولاي العباس و مولاي العباس ¹ .
قصبة أولاد يوسف	تقع بمشيخة تانيجيوت على بعد ثلاث كلمترات شرق الريصاني، كان مقر سكنى
قصبة القصر الفوقاني	كانت مقرا لسكنى السيد زيدان ابن السلطان المولى إسماعيل ² .
قصبة ترست	يوجد على الضفة اليمنى لواد زيز بجوار قصبة توجديت أسسها مولاي إسماعيل لابنه مولاي الحران ³ .
قصبة توجديت	تقع على الضفة اليمنى لواد زيز على بعد سبع كلمترات شمال مدينة الريصاني.
قصبة كرينفود	تقع في الجهة الجنوبية لموقع سجلماسة.
قصبة الجديد	تقع بمشيخة الغرفة عل مسافة خمس كلمترات جنوب شرق الريصاني.
قصبة حمودة	يقع بواد ايفلي وهو اسم لعلم لم نهتد لدلالة الاسم
قصبة اسرغين	تقع بمشيخة الغرفة عل مسافة خمس كلمترات جنوب شرق الريصاني، بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي بالنصر ⁴
قصبة الحاج الهاشمي	يوجد هذا القصر في الجنوب الشرقي لمدينة الريصاني على بعد ست كلمترات يحده شمالا قصر اسرغين وجنوبا زاوية الماطي.
قصبة لوجارشة	يوجد بمشيخة بني امحمد على المرتفع الذي يتواجد عليه قصر الجبيل بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي المعتضد .
قصابي مولاي الشريف (قصبة مولاي الهادي،	تقع بمقاطعة واد ايفلي يحدها شرقا قصر جنان القاضي وبني ميمون الشرفاء وغربا أولاد رحو وجنوبا أولاد عدو وشمالا قصر صوصو ⁵ .

¹ - محمد الزكي بن هاشم العلوي، ن. م، ص. 247.

² - مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي، ن. م، ص. 247.

³ - ابن زيدان، المنزوع، م. س، ص. 388.

⁴ - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء، م. س، ص. 246.

⁵ - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م. س، ج 2، ص. 506.

مولاي الحران، مولاي الشريف	
قصبة بني ميمون	تقع بمشيخة واد ايفلي، أسسه السلطان مولاي إسماعيل لابنه زين العابدين ¹ .

المصدر: القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت، امبارك بوعصب، م. س، ص 432

خاتمة:

سعيانا من خلال هذا المقال إلى إبراز الإبعاد الإستراتيجية التي وراء بناء المولى إسماعيل للقصبات في المغرب عموما ومنطقة تافيلالت تحديدا، والتي كانت الأولى من نوعها على صعيد السلالات الحاكمة بالمغرب الحديث. فتبين أن هذه التحصينات كانت متعددة إذ مارست إلى جانب وظيفة السكن والتخزين الوظيفة العسكرية والاقتصادية، وإن بفضل سياسة تطوير المجال بالقصبات استعادت الدولة هيبتها وانتشر الأمن والاستقرار، في المدن والبوادي وعلى طول المحاور التجارية الصحراوية، مما انعكس إيجابا على الاقتصاد المغربي، وفسح المجال أمام السلطان مولاي إسماعيل لتحقيق نهضة رائدة على جميع الأصعدة وإعادة ترتيب موازين القوى الداخلية في البلاد.

كما ركز المقال على إبراز الخصوصيات العمرانية للقصبات بمنطقة تافيلالت، وذلك من خلال البحث في مكوناتها والتي أهلتها للقيام بأدوارها التاريخية، إذ صممت بتصميم منطقي يشمل كل المرافق والأجنحة ومرابض الخيل ومخازن المون وأبراج التحصين والمراقبة وان كانت لا ترقى إلى مستوى القصبات التي شيدت في الحواضر الكبرى كفاس ومكناس وتادلا وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. العلوي، (مولاي التقى)، "اتحادية آيت عطا"، مجلة البحث العلمي، عدد 23، 1974.
2. ابن زيدان، (عبد الرحمان)، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. مطابع إديال. الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1990، الجزء ج5.
3. ابن زيدان، (عبد الرحمان)، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة اديال، ط1، 1993.
4. البوزيدي، (احمد)، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17، مطلع القرن 20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطة، 1994.
5. العلوي، (مولاي التقى)، "أصول المغاربة القسم البربري"، مجلة البحث العلمي، ع 33، سنة 1982.118.
6. الفاسي، (محمد)، رسائل إسماعيلية، صدرت عن السلطان مولاي إسماعيل إلى ولد الأمير المامون، وعددها خمسة. المطبعة الملكية بالرباط 1967/1387.

¹ - ابن زيدان، المنزع اللطيف، م. س، ص. 387.

7. الفضيلي، (مولاي إدريس بن أحمد العلوي)، الدرر الهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، طبعة حجرية، فاس، 1314، ج1.
8. الفقيه، (الإدرسي)، القصبات الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب، بني ملال ع 5، 2000.
9. القبلي، (فاطمة)، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1981.
10. الكنوسوسي، (محمد بن أحمد)، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق أحمد بن يوسف الكنوسوسي، الجزء الأول، مطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، 1996.
11. الناصري، (أبو العباس احمد خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء دار الكتاب، 1956، ج 7.
12. بوطالب، (إبراهيم)، معلمة المغرب، مادة: "المولى إسماعيل"، نشر مطابع سلا، 1989.
13. بوعصب، (امبارك)، القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت دراسة عمرانية ومعمارية، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، 2017.
14. تاوشيخت، (لحسن)، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008، ج2.
15. شقير، (محمد) تطور الدولة في المغرب، من القرن الثالث ق.م إلى القرن العشرين، مطبعة الشرق، 2000.
- 16- Spillman (Capitaine Georges), les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa, Rabat, 1936.
- 17-Dstugue (Henri) : « quelques mots au sujet du Tafilalet et Sijilmassa », Bulletin de la Société de Géographie. Paris, Tome XIII, avril 1867.

دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية

د. بانقطة الزبير حسين/جامعة الخرطوم أ. عياد صالح عياد الجليدي الحربي/خبير إعلام تربوي

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين بمنطقة الرياض. اتبع الباحثان المنهج الوصفي؛ وشمل مجتمع الدراسة (345) خبيراً وإعلامياً تربوياً. اختار الباحثان عينة عشوائية بسيطة بلغت (65) خبيراً وإعلامياً تربوياً. استخدم الباحثان أداة الإستبانة لجمع البيانات، ولتحليل البيانات استخدم الباحثان برنامج الحزمة الإحصائية (SPSS). وتوصل الباحثان إلى العديد من النتائج، أهمها: أن الإعلام التربوي له دور ضعيف جداً في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط، والتنظيم، والرقابة، والتطوير من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين. وفي ضوء هذه النتائج أوصى الباحثان بأن يتم تفعيل دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط، والتنظيم، والرقابة، والتطوير. وأن توفر كافة الوسائل التكنولوجية الحديثة المعينة على تنفيذ برامج التنمية المهنية وتطور الإعلام التربوي.

الكلمات المفتاحية: الإعلام التربوي، وقضايا الإدارة التعليمية.

ABSTRACT

This study aims at investigating the role of educational media in proposing issues of educational administration in the area of Riyadh from the viewpoint of experts, educators and media men. In this study, researchers have used the descriptive method; and the population of study included (345) educational experts and media men. Then, they selected a random sample of (65) instructional and media experts. The researchers used questionnaire for data collection and then analyzed through the program of statistical packages for social sciences (SPSS). The study has revealed number of important findings such as : educational media has no role in proposing issues of educational management that are related to planning, development, organization, control, guidance and training from the standpoint of educational experts and media men. In light of these findings, the researchers recommended with the set of following important recommendations: the role of educational media should be activated in proposing issues of educational administration related to planning, development, organization, control, guidance and training. All modern technologically-assisted mediums should be provided to implement the programs of professional development and educational media.

Keywords: Educational Media, Issues of Instructional Administration

مقدمة

تعد وسائل الإعلام سواءً كانت التقليدية أو الوسائل الحديثة كالصحافة الإلكترونية، ومواقع الأخبار والمعرفة المختلفة على شبكة الإنترنت، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر والتي تعد الآن أحد وسائل نقل الأخبار والأكثر شهرة في العالم، وكل هذه الوسائل لها تأثير كبير على تشكيل البناء الإدراكي والمعرفي للفرد أو المجتمع ويساهم هذا البناء في تشكيل رؤية الفرد والمجتمع تجاه قضايا مجتمعة والقدرة على تحليلها واستيعابها لاتخاذ السلوك المناسب حول هذه القضايا، فوسائل الإعلام أيضا قادرة على تغيير سلوك وأنماط المجتمع، إن الإعلام مؤسسة، حيثما وجه إليه وباعتبارها مؤسسة تعليمية وتربوية في نظر المرابين يجب بيان وظائفها التربوية كما تبين الوظائف التربوية لغيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى مثل الأسرة والمدرسة ويجب مواجهة التيارات الإعلامية الغازية، وتحصين الأجيال ضدها بتكوين حصانة ومناعة لدى الشباب ضد الغزو الثقافي. ويعتبر الإعلام التربوي من أهم الأدوات التي لها دور قومي في تشكيل الرأي العام وطرح قضايا وموضوعات وقضايا الإدارة التعليمية، والارتقاء بالبناء المعرفي والإدراكي بالنسبة للطلاب وكذلك الارتقاء بمجتمع مطلع قادر على التفكير والتحليل، وربط واقع الأحداث والمشاهدات من حوله بالصورة الذهنية التي ترسمها وسائل الإعلام، وقد يكون تأثير وسائل الإعلام في بعض الأحيان قوية جداً وقادراً على نشر نمط سلوكي وثقافي واجتماعي ينتهجه الفرد أو المجتمع.

وتشغل الإدارة التعليمية في بنية التعليم أهمية بالغة التأثير، كونها المنظم والموجه لعملية التعليم، والمشراف على مساراتها، والضابط لمداخلتها ومخرجاتها، ومن ثم لا يمكن تصور أي منتج تربوي تعليمي دون تصور الجهاز الإداري القائم على هذا المنتج، لاسيما إذا تعلق الأمر بمنتج تعليمي تربوي، وتعتبر الإدارة التعليمية المحور الأساس في إدارة شؤون التربية والتعليم، باعتبارها هدفية تربوية بالدرجة الأولى، وأصبحت عملية مهمة في المجتمعات، وهي المنظمة لنشاطات الأفراد خاصة إذا تعلق الأمر بالتجديدات والتحسينات التي تقوم بها وزارة التربية الوطنية بما في ذلك مشروع المؤسسة أنشأ المجتمع المدرسة لخدمته ولتحقيق أهدافه في تربية الأبناء، ويتوقف نجاح المدرسة في تحقيق أهدافها على مدى ارتباطها بالمجتمع الذي توجد فيه، يربط البرامج مع المجتمع، والمدرسة لاتستطيع أن تعيش بمعزل عن ما يدور حولها، بل إن كثيراً من المشكلات التي تواجه العملية التعليمية داخل المدرسة، قد تكون الحلول اللازمة لها تقع خارج إطار المدرسة، ولهذا أنشأت الإدارة التعليمية بعض التنظيمات المساعدة: مثل مجالس الأباء، المعلمين والمجالس المدرسية بدافع إيجاد قنوات دائمة الاتصال بين المدرسة والمجتمع¹. إن العلاقة بين الإعلام والتربية علاقة وثيقة الصلة بصفة عامة من حيث إن الثقافة مطعم ومشرّب للتربية لتحقيق أهدافها وطموحاتها، ذلك إن التربية تستخدم الثقافة التي بينتها فيما سبق في بناء الأجيال كما يريد المجتمع، لأن نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال من أكبر مهام التربية ولأنه بذلك تستمر هوية المجتمع أو الأمة وتنتقل من جيل إلى آخر عبر التاريخ وكل مجتمع وكل أمة تحرص على ذلك².

ويواجه الإعلام التربوي معقوبات كثيرة تعيقه عن أداء دوره، فهناك فهم خاطئ لمفهوم الإعلام التربوي من قبل القياديين وأن الدور الذي يلعبه الإعلام التربوي غير واضح ولا يلعب الإعلام التربوي دوراً حقيقياً في مواجهة قضايا الإدارة التعليمية وفي الغالب يقوم بهذا الدور كواد غير مؤهلة فنياً ومهنيّاً. والإعلام التربوي هو المرأة التي تعكس للمجتمع شكل ومضمون المحتوى التعليمي ومدى تقبل المجتمع له ومدى تأثيراته على السلوكيات التعليمية التي تتماشى مع حاجات المجتمع وفلسفته وقيمه

¹ مرسي، محمد منير (1996): الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، عالم الكتب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

² محامدة، ندى عبد الرحيم (2005): الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الثقافية، ولذلك فإن الإعلام التربوي له دور متعاظم من خلال طرح وتحليل قضايا الإدارة التعليمية حتى يساهم في معالجة كثير من المعوقات والمشكلات وليس بمعزل عن البحوث السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

1. مشكلة الدراسة:

لاحظ الباحثان من خلال عملهم في مجال الإعلام التربوي بمنطقة الرياض أن هناك العديد من المشكلات التي تواجه الإعلام التربوي مما تحول دون أداء وظيفته وربما يرجع هذا إلى عدم تأهيل وتدريب المعلمين، وكذلك عدم مقدرة المديرين على تحمل المسؤولية تجاه الإعلام التربوي، وأيضاً أن هناك العديد من المشكلات التي تواجه سير العمل الإداري فيما يتعلق بضعف تأهيل المعلمين، وأن المديرين ينقصهم التدريب الذي يمكنهم من ممارسة الإدارة الحديثة، وانعدام المشاركة الواعية والمناقشة الهادفة بين المديرين والعاملين بالمدارس، مما يدل على أن هنالك قصور في طرح ومناقشة القضايا المتعلقة بالإدارة التعليمية والتي تتمثل في هذه الدراسة في التخطيط، والتنظيم، والرقابة، والتطوير، من قبل الخبراء والإعلاميين التربويين، وهنالك العديد من الدراسات التي أثبتت أن هنالك مشاكل تواجه الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية والتي أوصت بدراسة هذه المشاكل والعمل على حلها وتطوير نتائج الحل ومنها على سبيل المثال لا الحصر دراسة الحربي (2018م) ودراسة المفتي (2013م) وكذلك دراسة عيسى (2013م) ولذلك تسعى هذه الدراسة إلى معرفة دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية، وعليه تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: **مادور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين؟** ويتفرع من هذا السؤال الرئيس أسئلة الفرعية التالية:

1/ ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين؟

2/ إلى أي مدى يساهم الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتنظيم من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين؟

3/ ما مدى إسهام الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين؟

4/ ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين؟

2. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على:

1/ دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين.

2/ إسهام الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتنظيم من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين.

3/ إسهام الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين.

4/ دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير من وجهة نظر الخبراء والإعلاميين التربويين.

3. أهمية الدراسة

يتوقع أن تساهم هذه الدراسة في الكشف عن الدور الفعلي والحقيقي للإعلام التربوي من خلال طرح القضايا والمشكلات التي تواجه الإدارة التعليمية والمدرسة وإيجاد الحلول المناسبة لها. ويمكن أن تفيد هذه الدراسة الباحثين في هذا المجال من خلال الأدب النظري والنتائج كذلك. وأيضاً يتوقع أن تساهم نتائج هذه الدراسة في تقديم حقائق وإحصاءات دقيقة عن الموضوعات

التي تقوم وسائل الإعلام بطرحها فيما يتعلق بقضايا الإدارة المدرسية والتعليمية ومعالجتها. ويتوقع أن تسهم نتائج هذا البحث لبحث وسائل الإعلام التربوية على إلقاء الضوء على القضايا التعليمية ومعالجتها.

4. حدود الدراسة

1-4 الموضوعية: تتمثل في دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين.

2-4 الحدود البشرية: وتشمل الخبراء التربويين وكذلك الإعلاميين التربويين.

3-4 المكانية: منطقة الرياض التعليمية بالمملكة العربية السعودية.

4-4 الزمانية: 2018م.

5- مصطلحات الدراسة

1/ الإعلام التربوي: هو نشر ما يحدث داخل الميدان التربوي باستخدام وسائل التقنية الحديثة. ويعني بالإعلام التربوي التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية، وأساليب توثيقها وتصنيفها والإفادة منها¹.

إجرائياً: كل ما تبثه وسائل الإعلام التربوي المختلفة من رسائل إعلامية، تسعى للقيام بوظائف التربية في المجتمع، من نقل للتراث الثقافي، وغرس لمشاعر الانتماء للوطن، بحيث تتمكن مختلف فئات المجتمع من إدراك المفاهيم، واكتساب المهارات، والتزود بالخبرات، وتنمية الاتجاهات، وتعديل السلوك.

2/ قضايا الإدارة: يقصد بها الباحثان في هذه الدراسة التخطيط، والتنظيم، والرقابة، والتطوير.

3/ الإدارة التعليمية: هي الكيفية التي يدار بها التعليم في دولة ما وفقاً لايديولوجية المجتمع وأوضاعه، وما يتلاءم مع طبيعة المجتمع وظروفه ومثله والاتجاهات الفكرية والتربوية السائدة فيه حتى تحقق الأهداف المرجوة من هذا التعليم نتيجة لتنفيذ السياسة المرسومة له ويتم ذلك على مستوى الدولة أو المنطقة أو المدينة أو القرية، كل بحسب مسمياته وظروف تنفيذه².

إجرائياً: هي مجموعة من العمليات والإجراءات والوسائل المصممة وفق تنظيم معين، للاتجاه بالطاقات والإمكانات البشرية والمادية نحو أهداف موضوعية، وتعمل على تحقيقها في إطار النظام التربوي الشامل وعلاقاته بالمجتمع.

الإطار النظري والدراسات السابقة

الإعلام التربوي يشتمل على المهام التربوية للعملية التربوية والبحث العلمي التربوي وتعتبر أجهزه الإعلام وهي مؤسسة اجتماعية لها من حقوق مؤسسة أخرى في سعيها في البقاء والتكيف من خلال اكمال أدائها الوظيفي كوحدة من النظام الثقافي المتكامل في المجتمع وبالتالي فإن عليها أيضا واجبات ينبغي لها أن تقوم بها غير أن تلك الواجبات مهما تتسع فلا ينبغي أن تعمل على تحويل وسائل الإعلام عن وظائفها التقليدية كالإعلام والتثقيف والتحليل والشرح والترفيه إلى رسالة جديدة هي التربية والتعليم³.

¹ بدر، حامد أحمد (1993). السلوك التنظيمي. دار النهضة العربية، القاهرة.

² عبد العزيز، سليمان عرفات (1987): الاتجاهات التربوية المعاصرة "دراسة في التربية المقارنة"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

³ عبد الفتاح، إسماعيل (2011): تحديات الإعلام التربوي العربي. العربي للنشر.

الحاجة إلى الإعلام التربوي

الحقيقة أن لوسائل الإعلام التربوي دور رئيسي في الكثير من مجالات العملية التربوية، يمكن إيجازه في مايلي:

أولاً: في مجالات التعليم والتعلم: تعمل وسائل الإعلام التربوي في مجالات التعليم والتعلم عليا شباع الكثير من حاجات الطلاب، وإثارة اهتمامات نحو موضوعات الدراسة، وفتح آفاق جديدة من المعرفة لهم، حيث تقدم الوسائل الإعلامية- كالرحلات والأفلام التعليمية والثقافية وقراءة الصحف والنشرات- للطلاب خبرات متنوعة، يأخذ منها ما يثير اهتمامهم، مما يؤدي إلى تعلم مستمر مؤثر، وتنمية قدرات الطلاب على التأمل ودقة الملاحظة وإتباع التفكير العلمي للوصول إلى حل المشكلات، مما يساعد على تحسن وعي التعليم، ورفع مستوى أداء الطلاب، وكذلك التنوع في أساليب التعزيز.

ثانياً: علاج مشكلات التعليم والتنمية الاجتماعية: ومن أهمها ازدحام الفصول بالطلاب ونقص أعضاء هيئة التدريس، والتنمية الاجتماعية، لم تعد المدرسة أو المؤسسات الاجتماعية وحدها المسئولة عن التنمية الاجتماعية، بل يشاركها الكثير من المؤسسات الأخرى، والتي يجب أن تأخذ بالأساليب الحديثة في التعليم لإعداد كوادر مهنية قادرة على سد متطلبات التنمية في كافة المجالات باستخدام كافة وسائل الاتصال الحديثة في حملات جديدة¹.

أهداف الإعلام التربوي

إن أهداف الإعلام في التعليم لا تنحصر في تسريع العملية التربوية وتطويرها فحسب بل تتعدى ذلك نحو توجيه القطاع التربوي، وإحداث التأثيرات فيه، بما يخدم خطط الإعلام ووجهات النظر التي يعمل لأجلها، وهذا ما يزيد من خطورة التعامل مع هذا النوع من الإعلام. ومن أهم أهداف الإعلام التربوي²:

- شرح السياسات التربوية وتوضيحها، مما يسهم في إنجاحها وإغنائها والتفاعل معها.
- تحقيق أغراض التربية الحديثة، القائمة على العلم، والهادفة إلى خلق مجتمع مبدع.
- دعم التكامل التربوي بين البيت والمدرسة بخلق وسائل اتصال فعالة، تنقل وجهات النظر بين الطرفين.
- تنمية روح التعاون، وإذابة الفردية والأنانية، وتشكيل الكائن الاجتماعي المتفاعل مع من حوله.
- إغناء الحياة الثقافية، والمشاركة فيها بشكل فعال.
- تنمية الذوق الفني والإحساس بالجمال، وصقل الهوايات بالإثراء والممارسة.
- إرساء قيم أخلاقية: كحب الحرية والتضحية في سبيلها، والاعتماد على النفس، والمطالبة بحق التعبير.
- اكتشاف المواهب الصحفية والإعلامية المبكرة التي تظهر بين الطلبة، والعمل على صقلها لتقديمها إلى المؤسسات الإعلامية المتخصصة.

أهمية الإعلام التربوي:

تزداد الحاجة للإعلام التربوي في المجتمع العربي والإسلامي لاعتماده بشكل كبير على غيره من الدول في جميع مجالات الحياة، وهو الاعتماد الذي أدى إلى حدوث تبعية إعلامية وثقافية، مما جعل من الضروري التفكير بجدية في وضع الأسس

1 العوضي، عبد اللطيف (2008): التربية في مجتمع تكنولوجيا الإعلام. مجلة التربية.

2 أبو هلال، محمد (2010): المراجع في مبادئ التربية، الشروق للنشر والتوزيع.

لإعلام تربوي، يستفيد من وسائل الاتصال والتقنية الحديثة في إعداد برامج تربوية وتعليمية تؤكد على الاتجاهات والقيم والسلوكيات التي تسعى التربية بمؤسساتها المختلفة لغرسها في نفوس الناشئة¹.

دور الإعلام في بناء اتجاهات التربية نحو قضايا الإدارة التعليمية

أولاً: التخطيط: يعد التخطيط السليم الأسلوب الأمثل الذي يُمكن الإعلام التربوي في المدارس والهيئات الأهلية من تسيير العمل من خلاله وفق خطط وبرامج محددة تستشرف المستقبل واحتمالاته، وتوظف الامكانيات المادية والبشرية لمواجهة متطلبات التنمية الشاملة².

عناصر التخطيط: وتشمل تحديد الأهداف المراد تحقيقها، ووضع السياسات التي تحكم تصرفات العاملين، وكذلك تحديد مستلزمات الخطة من العناصر البشرية والمادية الواجب توفرها واستخدامها لتحقيق الأهداف، وإقرار الخطوات التفصيلية التي تتبع مختلف العمليات، وأيضاً وضع البرامج الزمنية أي ترتيب الأعمال المراد القيام بها ترتيباً زمنياً مع ربطها بعضها ببعض³.

ثانياً: التنظيم: هو إعداد الجهاز اللازم لإنجاز العمل الجماعي وتوزيع الواجبات على أعضاء الجماعة العاملة تحقيقاً للتنسيق بين جهودهم لكي تضمن تحقيق الأهداف المرسومة.

أهمية التنظيم: يجعل التنظيم المدير على علم بأوجه الأنشطة المناطة به، وإلى من يجب أن يرفع تقاريره عن نتائج العمل، ومن يساعده في هذه الأنشطة، وكذلك من هم الذين سيعرضون عليه نتائج أعمالهم، وكيفية تكوين العلاقات داخل التنظيم، وأيضاً معرفة طرق الاتصالات الأفقية والرأسية⁴.

ثالثاً: الرقابة: تعني الرقابة قياس أداء الأعمال التي يقوم بها المرؤوسون وتصحيحها لضمان تحقيق الأهداف. وهي أيضاً متابعة الجهود الخاصة بالعمل وفقاً للخطة المحددة سلفاً من أجل التأكد من تحقيق الأهداف والعمل على تصحيح الأخطاء. ولكي تحقق الرقابة أهدافها ينبغي اتخاذ ما يلي:

- اليقظة التامة من الإدارة التربوية ممثلة في مديرها ومعلمها وإداريها.
- مداومة الاتصال بمجالات العمل والتأكد من أن الأعمال تسير كما خطط لها ومعرفة نواحي النقص.
- تهيئة الجو المناسب للعمل المثمر بما يشيع فيه من تعاون وتآلف والإفادة من الخبرات المختلفة.
- جعل الاجتماعات مجالاً واسعاً للمشورة وتبادل الآراء واتخاذ القرارات⁵.

رابعاً: التطوير: يعتبر نشاطاً مخططاً ومنظماً يمكن المعلمين من النمو في المهنة بالحصول على المزيد من الخبرات الشفافية والمسلكية والمعرفية وكل ما من شأنه أن يرفع من مستوى عملية التعليم والتعلم.

¹ فوزي، إبراهيم (1430هـ): المناهج المعاصرة، ط3، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

² إبراهيم، فهد (2015): مسؤوليات وواجبات مدير المدرسة في ضوء الأنماط المختلفة للإدارة المدرسية، دراسات تربوية.

³ مرسي، محمد منير (2005): التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة.

⁴ مرسي، محمد منير (2005): التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة.

⁵ أحمد، سناء محمد (2010م): مقترح برنامج لتدريب معلمات رياض الأطفال أثناء الخدمة بمحلية بور تسودان بولاية البحر الأحمر في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة. رسالة دكتوراه: كلية التربية، جامعة الخرطوم.

فلسفة التطوير: تعتمد ثورة المعلومات اليوم على المعرفة العلمية المتقدمة والاستخدام الأمثل للمعلومات المتدفقة بخطى سريعة. بحيث أصبح عصرنا عصر التغيير السريع والانفتاح الإعلامي والثقافي والحضاري على العالم ومن هنا تزايد الاهتمام بنوع جديد من التطوير يهني الفرد والمجتمع لحقائق وديناميات جديدة. وفي إطار ذلك يمكن التوصل إلى فلسفة مقترحة للنظام التطويري تتمثل في أن التطوير يعمل على زيادة التنمية البشرية على المستوى القومي ووسيلة لتحسين مخرجات المؤسسات التعليمية وحل مشكلاتها وضمان استمراريتها وتكوين الأفراد القادرين على قيادة عملية التعليم وتطويرها وتحقيق الكفاءة التعليمية.

أهداف التطوير: وتتمثل في رفع الأداء المهني مادةً وطريقةً بما يلاءم أهداف المرحلة التعليمية، وتصحيح أوضاع المعلمين في المراحل التعليمية تبعاً لمستوى الكفاية المهنية، والإلمام بالأساليب والطرق المتبعة والمستخدمه في مجال التعليم، وكذلك الإلمام بمشكلات النظام التعليمي وحلولها ومعرفة مسؤولياتهم إزاءها، والاهتمام بالبحوث والدراسات العلمية والتربوية واكتساب الخبرة العلمية المرتبطة بها، وأيضاً توثيق الصلة بين المدرسة والوسط الاجتماعي الذي توجد فيه، واكتساب القدرة على البحث العلمي والنمو الذاتي¹.

الدراسات السابقة والتعقيب عليها:

تمت مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية، بهدف التعرف على أهم النتائج والمؤشرات العامة التي أسفرت عنها تلك الدراسات، وفيما يلي استعراض لأهم تلك الدراسات وفق تسلسلها الزمني من الأقدم إلى الأحدث:

أجرى مصطفى² دراسة هدفت إلى التعرف على دور الإعلام التربوي في إكساب تلاميذ المرحلة الإعدادية المعرفة بحقوق الطفل. واستخدم الباحث المنهج الوصفي وكانت أهم النتائج: أن نسبة من يتابعون وسائل الإعلام التربوي الموجودة بالمدرسة من إجمالي مفردات عينة الدراسة دائماً بلغت 33.56%، وبلغت نسبة من يتابعون وسائل الإعلام التربوي الموجودة بالمدرسة من إجمالي مفردك عينة الدراسة أحياناً من إجمالي مفردات عينة الدراسة 51.11%، وبلغت نسبة من لا يتابعونها من إجمالي مفردات عينة الدراسة 15.33%.

كما أجرى علوان³ دراسة هدفت إلى وضع برنامج مقترح لتفعيل أداء الإعلام التربوي على وفق حاجات التربية من أجل المواطنة لطلبة المرحلة الثانوية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي وكانت أهم نتائج الدراسة: أن حاجات المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية تتشكل في أغلبها بطريقة عشوائية، إذ لم نتلمس وجود استراتيجيات مرسومة من قبل أقسام الإعلام التربوي في وزارة التربية أو مديرياتها. إتضح كذلك أن المؤسسات التعليمية والتربوية لم تول الإعلام التربوي الاهتمام الذي يستحق، إذ افتقدت أغلب المدارس للوسائل الاتصالية الجماهيرية وغير الجماهيرية التي يمكن توظيفها في تفعيل الإعلام التربوي بجميع أبعاده.

¹ إبراهيم، أحمد (2014): الإدارة المدرسية في الألفية الثالثة، مكتبة المعارف الحديثة الإسكندرية.

² مصطفى، عزيزة إبراهيم (2015): دور الإعلام التربوي في إكساب تلاميذ المرحلة الإعدادية المعرفة بحقوق الطفل. رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الأطفال، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.

³ علوان، نزار احمد (2013): برنامج مقترح لتفعيل أداء الاعلام التربوي على وفق حاجات التربية من أجل المواطنة لطلبة المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى.

وأيضاً أجرى عيسى¹ دراسة تناولت أثر الإعلام التربوي في العملية التربوية بولاية الخرطوم وفي نطاق المدارس الثانوية بمحلية الخرطوم، والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون. واستخدم الباحث المنهج الوصفي وكانت أهم نتائج الدراسة: أن الإذاعة المدرسية أقوى وسائط الإعلام التربوي تأثيراً في العملية التربوية، كما أن الإعلام التربوي يؤثر في الجوانب النفسية للطلاب بتقليل مظاهر التوتر والكبت ويحدث نوعاً من الراحة النفسية لديهم، وأن للإعلام التربوي تأثيراً في الجوانب الوجدانية للطلاب وتنمية الملكات الفنية بتدقيق الإبداع وحب الفنون المختلفة، ويؤثر الإعلام التربوي في الجانب الثقافي للطلاب بتحفيزهم على الانتماء للتراث الثقافي للأمة العربية والإسلامية والاعتزاز به، وأن الإعلام التربوي ذو تأثير على الجوانب الاجتماعية للطلاب يحضهم على العمل الجماعي وتنمية روح التعاون والتكافل.

وأجرى الدرري² دراسة هدفت إلى التعرف على واقع استخدام الإعلام التربوي في إكساب مهارات الإعلام التربوي. واستخدم الباحث المنهج الوصفي وكانت أهم نتائج الدراسة ما يلي: أجمع أفراد عينة الدراسة على أهمية استخدام الإعلام التربوي في إكساب مهارات الاتصال للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، وذلك بدرجة كبيرة حسب المعيار الذي حددته الدراسة. وكذلك أجمع أفراد عينة الدراسة على أن درجة استخدام الإعلام التربوي في إكساب مهارات الاتصال للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم كبيرة حسب المعيار الذي حددته الدراسة. وأيضاً أجمع أفراد عينة الدراسة على المعوقات بأنها تعيق استخدام الإعلام التربوي في إكساب مهارات الاتصال لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي وذلك بدرجة كبيرة.

كما أجرى بخاري³ دراسة هدفت إلى التعرف على دور وسائل الاعلام المختلفة في عملية التطوير التربوي وهو التطوير الخاضع حسب رأي الباحثة لمعايير التركيز على الكيف قبل الكم وأهمية النشاط والحركة وفعالية التقنيات الحديثة. استخدم الباحث المنهج الوصفي. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: اتفاق الإعلاميين والتربويين على أهمية دور وسائل الاعلام.

التعقيب على الدراسات السابقة:

استخدمت الكثير من الدراسات أداة الاستبانة فقط، وهي نفس الأداة التي اعتمدت عليها معظم الدراسات السابقة التي تم عرضها، إلا أن الاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة يتمثل في أن مضمون الأداة يختلف باختلاف أهداف الدراسة ومتغيراتها، ومجال الدراسة الذي اهتمت به. أما من حيث النتائج، في ضوء ما تم عرضه من دراسات سابقة يتضح ما يلي: إن نتائج الدراسات السابقة التي تم عرضها قد تباينت نتائجها بتباين أهدافها ومتغيراتها. وإن جميع الدراسات السابقة التي هدفت إلى التعرف على دور الإعلام التربوي أو بناء أو تصميم برنامج لتفعيل دور الإعلام التربوي، قد اتفقت مع الدراسة الحالية في إجراءات أو خطوات التخطيط وإجراءات البحث، وإجراءات الدراسة الميدانية، ولكنها اختلفت معه وفيما بينها أيضاً من حيث الأهداف والمحتوى وبعض الإجراءات التنفيذية، وذلك نظراً لاختلاف مجالاتها وأهدافها والفئات المستهدفة منها.

¹ عيسى، أحمد خالد (2013): أثر الاعلام التربوي في العملية التربوية بولاية الخرطوم، رسالة دكتوراه، الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الزعيم الأزهري.

² الدرري، غادة فرج (2012): واقع استخدام الاعلام التربوي في إكساب مهارات الاتصال للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، جامعة عين شمس، مجلة دراسات الطفولة، مج. 15، ع. 57، أكتوبر-ديسمبر.

³ بخاري، سامية عطا الله (1423هـ): دور الاعلام ووسائله في التطوير التربوي من وجهة نظر الإعلاميين والتربويين المتخصصين بالملكة العربية السعودية، جدة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لأنه أنسب المناهج للدراسات التكوينية.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من الخبراء والإعلاميين التربويين بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية، والبالغ عددهم (345) خبيراً وإعلامياً تربوياً.

عينة الدراسة: تم اختيار عينة عشوائية بسيطة من مجتمع الدراسة الأصلي بلغت (65) بنسبة بلغت 19%.

وصف عينة الدراسة:

الجدول(1): توزيع التكرارات والنسب المئوية لأفراد عينة الدراسة من الخبراء التربويين

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	47	72.3
	أنثى	18	27.7
المؤهل العلمي	بكالوريوس	36	55.3
	ماجستير	24	36.9
	دكتوراه	5	7.8
عدد سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	12	18.4
	من 5 - 10 سنوات	37	56.9
	أكثر من 10 سنوات	16	24.7
عدد الدورات التدريبية	دورة واحدة	5	7.7
	دورتان	31	47.7
	ثلاث دورات	22	33.8
	أكثر من ثلاث دورات	7	10.8

أداة الدراسة: إستخدام الباحثان أداة الإستبانة لجمع البيانات الخاصة بالدراسة.

خطوات تصميم الإستبانة: سبق إعداد الإستبانة قيام الباحثين بالإطلاع على دور الإعلام التربوي، والأدبيات السابقة، والدراسات والبحوث السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة. وقد استفادوا من ذلك في التعرف على الجوانب المتعلقة بالدراسة بشكل عام، وفي إعداد محاور الإستبانة بشكل خاص.

وصف الإستبانة: اشتملت الإستبانة على جزئين: الجزء الأول تضمن معلومات عامة عن البيانات الشخصية للخبراء والإعلاميين التربويين، أما الجزء الثاني فقد اشتمل على محاور الإستبانة حيث يُطلب من المستجيب أن تكون إجابته عليها وفقاً لمقياس ليكرت الخماسي (Likert Scale) الذي حدد في الخيارات المتمثلة في (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة).

ثبات الإستبانة: قصد به قدرة الأداة على إعطاء نفس النتائج في حال تطبيقها في مجتمع مماثل وفي ظروف مماثلة بعد فترة قصيرة. ولقياس الثبات استخدم الباحثان معامل (α) الفا لكرونباخ والذي يعتبر من أميز وأفضل الأساليب لقياس معامل الثبات.

الجدول (2): يوضح معاملي الثبات والصدق لمحاور الإستبانة والإستبانة ككل

م	المحور	الثبات	الصدق
1	دور الإعلام في التخطيط	0.9533	0.9763
2	دور الإعلام في التنظيم	0.9310	0.9649
3	دور الإعلام في الرقابة	0.9185	0.9584
4	دور الإعلام في التطوير	0.9591	0.9793
7	الإستبانة ككل	0.9886	0.9942

المعالجات الإحصائية للبيانات: بناءً على طبيعة الدراسة والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، تم تحليل بياناتها باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، واستخراج النتائج وفقاً للأساليب الإحصائية التالية: التكرارات اختبار كا². ومعامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ.

عرض وتحليل البيانات ومناقشة النتائج

للإجابة عن أسئلة الدراسة، استخدم الباحثان اختبار (كا²) ومقارنة كل نتيجة لقيمة (كا²) المحسوبة بقيمة (كا²) المقروءة من الجداول الإحصائية أمام درجة حرية (4) وتحت مستوى دلالة 0.05 والتي تساوي 9.488. ومن ثم تم عرض وترتيب النتائج

الخاصة بأسئلة الدراسة وفقاً للمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري، وسوف يتم الإجابة عن الأسئلة بالترتيب الذي جاءت به في الإطار النظري.

للإجابة عن السؤال الأول الذي نصه ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط؟ استخدم الباحثان اختباراً (كا²) وقد نتج عن هذا التطبيق الجدول التالي:

الجدول (3) التكرارات وقيمة كا² المحسوبة والتفسير والنتيجة بالنسبة لأفراد عينة الخبراء حول دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط.

العبارة	الاستجابات						أوافق بشدة	قيمة كا ² المحسوبة	التفسير	النتيجة
	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق بشدة	لا أوافق	لا أوافق				
وضع برامج تخطيطية لحث الطالب على المشاركة الايجابية.	18	11	2	34	00	لا أوافق	33.76	دالة	لا أوافق	
وضع خطط البرامج الاعلامية التربوية لنشاطات الادارة.	17	11	2	35	00	لا أوافق	35.86	دالة	لا أوافق	
إعداد برامج إعلامية تربوية بالتعاون مع الإدارات المختصة بالإدارة	16	11	12	26	00	لا توجد فروق	8.662	غير دالة	لا توجد فروق	
تزويد وسائل الاعلام المختلفة بالتقارير عن نشاطات الإدارة.	13	14	17	20	1	لا أوافق	16.15	دالة	لا أوافق	
توليد أساليب ابتكارية للابتكارات الفعال.	15	18	8	23	1	لا أوافق	22.92	دالة	لا أوافق	

نلاحظ من الجدول أعلاه أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر، أي أن أفراد العينة قد كانت إجاباتهم بعدم الموافقة على ما ذكر من عبارات عن دور الإعلام التربوي في طرح القضايا الإدارية المتعلقة بالتخطيط التربوي، ويمكننا مناقشة هذه العبارات بصورة تفصيلية كما يلي: ما ذكر في العبارات (1، 2) يشير إلى أن الإعلام التربوي ليس له أي دور إيجابي في وضع برامج تخطيطية لحث الطلاب على المشاركة الايجابية في البرامج المختلفة التي تسهم في طرح قضايا الإدارة التعليمية بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية. كما أنه لم يسعى لوضع الخطط والبرامج الاعلامية التربوية لنشاطات الإدارة التربوية المختلفة بالمنطقة وفقاً لآراء الخبراء التربويين والإعلاميين العاملين بالمنطقة والذين يعكسون الواقع المعاش للإدارة التربوية بالمنطقة. ما جاء في العبارة رقم (3) يبين أن هناك تباين بين آراء أفراد العينة من الخبراء التربويين والإعلاميين حول دور الإعلام التربوي في إعداد برامج إعلامية تربوية بالتعاون مع الإدارات المختصة بالإدارة، ربما يعود هذا الاختلاف والتباين إلى عدم إعداد البرامج

الإعلامية التربوية من قبل الإدارات المختلفة نهائياً، أو ربما يكون ناتجاً عن عدم التعاون بين الإدارات المختلفة المختصة بالادارة التربوية لإعداد البرامج الإعلامية التربوية، أو ربما يكون هناك تعاون بين بعض الإدارات لإعداد البرامج الإعلامية التربوية. وما ورد في العبارات (4، 5، 6) يشير إلى أن الإعلام التربوي ليس له أي دور في تزويد وسائل الاعلام المختلفة بالتقارير عن نشاطات الإدارات التربوية المختلفة. وعدم الإهتمام بتوليد أساليب ابتكارية للابتكارات الفعال، والتخطيط الأمثل للعملية التعليمية.

مما تقدم ذكره يرى الباحثان أن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط. واختلفت هذه النتيجة مع النتيجة التي توصل إليها السقاف (2004م) في دراسته والذي ذكر أن الإعلام التربوي له دور في التخطيط الجيد في إعداد وكتابه التقارير الدورية، ونشر وطباعة وتوزيع الإصدارات الخاصة بإدارة التربية، وذكر الباحث أن الإارة الإعلامية لها دور في الإهتمام بالمجلات الحائطية ومتابعة صدورها، وتتواصل مع باقي الإدارات والأقسام في تطوير الإصدارات والبرامج التربوية. وربما يرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة المجتمع التي طبقت فيه هذه الدراسة.

للإجابة عن السؤال الثاني الذي نصه ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتنظيم"؟ استخدم الباحثان اختباراً (كا²) وقد نتج عن هذا التطبيق الجدول التالي:

الجدول (4) التكرارات وقيمة كا² المحسوبة والتفسير والنتيجة بالنسبة لأفراد عينة الخبراء حول دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتنظيم.

النتيجة	التفسير	قيمة كا ² المحسوبة	الاستجابات					العبارات
			لا أو افق بشدة	لا أو افق	محايد	أو افق	أو افق بشدة	
محايد	دالة	34.615	1	10	29	8	17	المشاركة في نشر الوعي التربوي على مستوى القطاعات التعليمية المختلفة
محايد	دالة	20.769	1	12	24	13	15	الاشراف التربوي على اعداد النشرات المتعلقة بإبراز نشاطات الإدارة.
لا أو افق	دالة	16.769	1	13	18	13	20	تعريف منسوبي العملية التعليمية بأهدافها.
لا توجد فروق	غير دالة	.538	00	16	14	17	18	متابعة ما ينشر عن الادارة التربوية في وسائل الإعلام.
لا توجد فروق	غير دالة	4.723	00	22	10	18	15	إعداد ملخصات عما ينشر عن الادارة التربوية.

لا أوافق	دالة	37.077	1	30	7	11	16	الرد على الاستفسارات الواردة في النشرات عن الإدارة
لا أوافق	دالة	47.385	1	33	5	11	15	إعداد التقارير الدورية عن نشاطات الوحدة التعليمية.
لا أوافق	دالة	21.954	00	32	7	12	14	التقويم المستمر في اتخاذ القرار بشكل موضوعي وعلمي.

نلاحظ الجدول أعلاه أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر، أي أن أفراد العينة قد كانت إجاباتهم ما بين الحياد وعدم الموافقة على أن ما ذكر من عبارات يمثل دور الإعلام التربوي في طرح القضايا المتعلقة بالتنظيم، ويمكننا مناقشة هذه العبارات بصورة تفصيلية كما يلي: ما ذكر في العبارتين رقم (1، 2) يشير إلى أن مشاركة الإعلام التربوي في نشر الوعي التربوي على مستوى القطاعات التعليمية المختلفة، والإشراف التربوي على إعداد النشرات المتعلقة بإبراز نشاطات الإدارة التربوية لم يكن بالصورة المطلوبة، بل يشوبه نوع من القصور، وعدم إبراز دوره المنوط به بالدرجة المرجوة. مما يترتب عليه عدم نشر الوعي التربوي على جميع الأصعدة، وعدم إبراز نشاطات الإدارة التربوية المختلفة بمنطقة الرياض لقصور الإعلام في الإشراف على النشرات المتعلقة بها. وما جاء في العبارة رقم (3) يؤكد إيجابية دور الإعلام التربوي في تعريف منسوبي العملية التعليمية بأهدافها. ما ورد في العبارتين رقم (4، 5) يبين أن هناك إختلاف بين آراء أفراد العينة من الخبراء التربويين والإعلاميين حول دور الاعلام التربوي في متابعة ما ينشر عن الإدارة التربوية في وسائل الإعلام. وإعداد ملخصات عما ينشر. ربما يعود ذلك إلى عدم المتابعة وإعداد الملخصات نهائياً، أو ربما تكون هناك متابعة وإعداد للملخصات لما ينشر في بعض الإدارات بمنطقة الرياض. وما جاء في العبارات (6، 7، 8، 9) يشير إلى أن الإعلام لا يقوم بدوره المنوط به في الرد على الاستفسارات الواردة في النشرات عن الإدارة التربوية، وإعداد التقارير الدورية عن نشاطات الوحدة التعليمية. والتقويم المستمر لاتخاذ القرار بشكل موضوعي وعلمي. والقيام بالرقابة الذاتية على عملية إتخاذ القرار.

ومما تقدم يرى الباحثان أن الإعلام التربوي ليس له أي دور إيجابي في طرح القضايا المتعلقة بالتنظيم الإداري. وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة التي توصل إليها علوي (١٤٢٤هـ) في دراسته حيث أشار إلى أن هناك تنسيق إيجابي بين مختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية سعياً لتحقيق التكامل التربوي، والتواصل الفاعل فيما بينه، وأن الإعلام التربوي يقوم بواجبه بتعريف أعضائه بأهدافه، أيضا الإعلام التربوي له دور بارز في نشر الوعي التربوي في المؤسسات التربوية والاجتماعية. كما إتفقت هذه النتيجة مع النتيجة التي توصل إليها أحمد (2009) في دراسته حيث ذكر أن دور إدارة العلاقات والإعلام في مكاتب التربية سلمي في متابعة صندوق الأسئلة والإستفسارات والمقترحات وعدم الرد عليها، ولا يوجد تجديد أو آليه معينه للمتابعة. للإجابة عن السؤال الثالث الذي نصه ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة؟ استخدم الباحثان اختبار (كا²) وقد نتج عن هذا التطبيق الجدول التالي:

الجدول (5) التكرار وقيمة كا² المحسوبة والتفسير والنتيجة بالنسبة لأفراد عينة الخبراء حول دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة.

النتيجة	التفسير	قيمة كا ² المحسوبة	الاستجابات					العبارات
			لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	
محايد	دالة	16.415	00	29	12	7	17	مكافحة الممارسات غير المرغوب فيها.
محايد	دالة	15.062	00	28	15	6	16	التوعية في استخدام الخدمات الأساسية (مياه، طاقة وغيرها)
لا أوافق	دالة	7.431	00	24	14	9	18	الترشيد على المحافظة على الممتلكات العامة.
لا توجد فروق	غير دالة	8.662	00	26	11	12	16	متابعة وسائل الاتصال الجماهيرية للإستفادة من الرؤى العلمية.
لا توجد فروق	غير دالة	13.338	00	28	10	10	17	الوقوف على مطالب ميدان العمل من خلال ما تبثه من معلومات
لا أوافق	دالة	20.769	1	24	12	13	15	التأكد من تقديم خدمات تربية وفق مواصفات الجودة الشاملة
لا أوافق	دالة	20.462	1	23	10	16	15	تقديم مخرجات تعليمية وفق خصائص التعليم الجيد.
لا أوافق	دالة	20.769	1	22	18	15	9	الاسهام في تطوير نوعية التعليم باستخدام الوسائط التقنية الحديثة.

يتضح من الجدول أعلاه أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر، أي أن أفراد العينة قد كانت إجاباتهم بين الحياد وعدم الموافقة على أن ما ذكر من عبارات يمثل دور الإعلام التربوي في الرقابة، ويمكننا مناقشة هذه العبارات بصورة تفصيلية كما يلي: ما ذكر في العبارتين رقم (1، 2) يشير إلى أن الإعلام التربوي لا يعبر عملية مكافحة الممارسات غير المرغوب فيها في الإدارة التربوية إهتماماً بالصورة المرجوة. كما أنه لا يخطوا أي خطوات توعوية بالمستوى المطلوب، عن طريق المحاضرات، والملصقات، والإعلانات المكثفة واللوحات الإرشادية التي تشير إلى استخدام الخدمات الأساسية (مياه، طاقة وغيرها) بصورة سليمة. وما ورد في العبارة رقم (3) يبين أن الإعلام التربوي لا يهتم بالترشيد على المحافظة على الممتلكات العامة. وعدم إبراز دوره الإيجابي في نشر ثقافة الاستخدام الأمثل للممتلكات العامة وكيفية المحافظة عليها. وما جاء في العبارتين

رقم (4، 5) يوضح وجود تباين بين آراء أفراد العينة من الخبراء التربويين والإعلاميين حول مدى متابعة الإعلام التربوي لوسائل الاتصال الجماهيرية للاستفادة من الرؤى العلمية. والوقوف على مطالب ميدان العمل من خلال ما تبثه من معلومات. ربما نتج هذا الإختلاف عن وجود متابعة لوسائل الإعلام الجماهيري والاستفادة من معلوماتها التي تبثها من قبل بعض الجهات المختصة، أو عدم وجود إهتمام من قبل بعض الجهات الأخرى، أو وجود اهتمام من بعض الجهات ولكنه لم يكن بالمستوى المطلوب حتى يبين مدى الاستفادة القصوى مما يبث في وسائل الاعلام الجماهيرية، والذي يمكن الاستفادة منه في الرؤى العلمية التي تسهم بصورة فاعلة في طرح القضايا المتعلقة بالرقابة الإدارية. ما ذكر في العبارات (6، 7، 8) يشير جلياً إلى أن الإعلام التربوي ليس له أي إهتمام بعملية المتابعة والتأكد من تقديم خدمات تربوية وفق مواصفات الجودة الشاملة، كما أنه لا يسهم في تقديم مخرجات تعليمية وفق خصائص التعليم الجيد. وأيضاً لم يقدم أي إسهامات واضحة في تطوير نوعية التعليم والاستفادة من إستخدام الوسائط التقنية الحديثة.

وهذا مما يؤكد ضعف الإعلام التربوي في تقديم الخدمات التربوية، وعدم الاستفادة من الوسائل والوسائط التعليمية الحديثة التي تسهم بدورها في تقديم مخرجات تعليمية جيدة وفق الجودة الشاملة. مما تقدم يتضح جلياً أن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة الإدارية. وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة التي توصل إليها بخاري (١٤٢٣هـ) في دراسته حيث أشار إلى أن الإعلاميين والتربويين يؤيدون دور وسائل الإعلام في خدمة التربية، وإن كانت نسبة تأييد الإعلاميين أقل بكثير من نسبة تأييد التربويين. وكذلك اتفق الإعلاميون والتربويون على أهمية توظيف وسائل الإعلام من صحافة، وتلفزيون، وإذاعة من خلال استخدام مكونات كل وسيلة منهم في عملية التطوير التربوي، وإن كانت نسبة التأكيد عند التربويين تزيد عن نسبتها عند الإعلاميين.

للإجابة عن السؤال الرابع الذي نصه ما دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير؟ استخدم الباحثان اختباراً (كا²) وقد نتج عن هذا التطبيق الجدول التالي:

الجدول (6) التكرارات وقيمة كا² المحسوبة والتفسير والنتيجة بالنسبة لأفراد عينة الخبراء حول دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير.

العبارة	الاستجابات					قيمة كا ² المحسوبة	التفسير	النتيجة
	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق بشدة	لا أوافق			
تطوير الاداء في الوحدة التعليمية.	14	15	16	20	00	1.277	غير دالة	لا توجد فروق
التعريف بالتطورات الحديثة في مجالات الفكر التربوي، والتقنيات التعليمية.	12	13	9	30	1	34.615	دالة	لا أوافق

لا أوافق	دالة	62.308	1	37	4	10	13	السعي إلى إيجاد الكوادر المتخصصة في مجال التعليم.
لا أوافق	دالة	52.600	00	39	2	5	19	المساهمة في تشجيع البحوث والدراسات في المجالات المختلفة.
لا أوافق	دالة	58.508	00	41	1	6	17	توفير البرامج التي تنهض بالتعليم.
لا أوافق	دالة	50.385	00	39	1	8	17	توفير البرامج الاعلامية التدريبية التي تنمي معارف الاداريين.
لا أوافق	دالة	53.338	00	41	3	8	13	توثيق ارتباط عناصر العملية التعليمية ببعضها.
لا أوافق	دالة	87.231	1	42	3	6	13	المساهمة في توفير مناخ تعليمي يسمح بحرية التعبير.
لا أوافق	دالة	56.462	1	36	7	8	13	مساعدة الطلاب على التعلم الذاتي.
لا أوافق	دالة	97.538	1	44	12	4	4	مساعدة الطلاب على التعلم التعاوني.

نلاحظ من الجدول أعلاه أن هناك دلالة إحصائية لصالح التكرار الأكبر، أي أن أفراد العينة قد كانت إجاباتهم بعدم موافقة على أن ما ذكر من عبارات يمثل دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير، ويمكننا مناقشة هذه العبارات بصورة تفصيلية كما يلي: ما ذكر في العبارة رقم (1) يشير إلى أن هناك إختلاف بين آراء أفراد العينة من الخبراء التربويين والاعلاميين حول دور الإعلام التربوي في تطوير الاداء في الوحدات التعليمية بمنطقة الرياض. ربما يكون ذلك ناتج عن عدم وجود أي دور للإعلام التربوي في تطوير الأداء الإداري في الوحدات التعليمية بالمنطقة، أو ربما يكون هناك دور له في بعض الوحدات وعدم وجوه في الوحدات الأخرى بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وما جاء في العبارة رقم (2) يبين أن الإعلام التربوي ليس له أي دور في التعريف بالتطورات الحديثة في مجالات الفكر التربوي، والتقنيات التعليمية الحديثة وكل المستحدثات التعليمية مما يعد ذلك قصوراً واضحاً للإعلام التربوي في مواكبة المستحدثات في الإدارة التربوية وعدم إهتمامه بها. وما ورد في العبارة رقم (3) يشير الى عدم سعي الإعلام التربوي الجاد إلى إيجاد الكوادر المتخصصة في مجال التعليم، والتي من المتوقع أن يكون لها دور بارز بإسهاماتها التخصصية في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير بمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

وما جاء في العبارة رقم (4) يشير إلى أن الإعلام التربوي ليس له أي مساهمة واضحة في تشجيع البحوث والدراسات في المجالات المختلفة. وما ذكر في العبارة رقم (5) يبين أن الإعلام التربوي لا يعمل على توفير البرامج التي تنهض بالتعليم. وما ورد في العبارة (6) يوضح جلياً أن الإعلام التربوي لا يسهم بأي مساهمات في توفير البرامج الاعلامية التدريبية التي تنمي معارف الاداريين. حتى يكون لهم الخبرة والدراية الكافية التي تمكنهم من مواجهة المستحدثات الإدارية المتجددة. وما ذكر في العبارة (7)

يبين أن الإعلام التربوي لا يعمل على توثيق ارتباط عناصر العملية التعليمية ببعضها. وما جاء في العبارة (8) يشير إلى أن الإعلام التربوي ليس له أي دور واضح يسهم به في توفير المناخ التعليمي الذي يسمح بحرية التعبير. ما ورد في العبارتين (9، 10) يبين أن الإعلام لا يقدم أي مساعدات للطلاب تساعد على التعلم الذاتي. كما أنه أيضاً لا يقدم لهم أي مساعدات تساعد على التعلم التعاوني.

ومما تقدم يرى الباحثان أن الإعلام التربوي ليس له أي دور ملموس في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير. وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة التي توصل إليها الجبني (١٤٢٤هـ) في دراسته حيث أشار إلى أن مجلة المعرفة لا تقدم برامج عملية لتطوير المعلم، ولتطوير عملية التدريس، والتحسين من مخرجات التعليم، وأن ذلك ليس في خطة الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم خلال الفترة الزمنية للدراسة، وأن هناك عدم اتزان في معالجة مجلة المعرفة للمحاور الموضوعية لاستراتيجية الإعلام التربوي في وزارة التربية والتعليم.

أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة

أولاً: النتائج: توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين، خصوصاً فيما يتعلق بوضع برامج تخطيطية لحث الطلاب على المشاركة الإيجابية في البرامج المختلفة التي تسهم في طرح قضايا الإدارة التعليمية، وكذلك لم يسع لوضع الخطط والبرامج الإعلامية التربوية لنشاطات الإدارة التربوية المختلفة بالمنطقة وفقاً لأراء الخبراء التربويين والإعلاميين العاملين.

- إن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتنظيم من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين، وهذا واضح في أن مشاركة الإعلام التربوي في نشر الوعي التربوي على مستوى القطاعات التعليمية المختلفة، والإشراف التربوي على إعداد النشرات المتعلقة بإبراز نشاطات الإدارة التربوية لم يكن بالصورة المطلوبة، بل يشوبه نوع من القصور، وعدم إبراز دوره المنوط به بالدرجة المرجوة. مما يترتب عليه عدم نشر الوعي التربوي على جميع الأصعدة، وعدم إبراز نشاطات الإدارة التربوية المختلفة بمنطقة الرياض لقصور الإعلام في الإشراف على النشرات المتعلقة بها.

- إن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالرقابة من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين. وأنه لا يعير عملية مكافحة الممارسات غير المرغوب فيها في الإدارة التربوية إهتماماً بالصورة المرجوة. كما أنه لا يخطو أي خطوات توعوية بالمستوى المطلوب، عن طريق المحاضرات، والملمصقات، والإعلانات المكثفة واللوحات الإرشادية التي تشير إلى استخدام الخدمات الأساسية (مياه، طاقة وغيرها) بصورة سليمة. وكذلك لا يهتم بالترشيد على المحافظة على الممتلكات العامة. وعدم إبراز دوره الإيجابي في نشر ثقافة الاستخدام الأمثل للممتلكات العامة وكيفية المحافظة عليها.

- إن الإعلام التربوي ليس له أي دور في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير من وجهة نظر الخبراء التربويين والإعلاميين. وليس له أي دور في التعريف بالتطورات الحديثة في مجالات الفكر التربوي، والتقنيات التعليمية الحديثة وكل المستجدات التعليمية مما يعد ذلك قصوراً واضحاً للإعلام التربوي في مواكبة المستجدات في الإدارة التربوية وعدم إهتمامه بها. وكذلك عدم سعي الإعلام التربوي الجاد إلى إيجاد الكوادر المتخصصة في مجال التعليم، والتي من المتوقع أن يكون لها دور بارز بإسهاماتها التخصصية في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتطوير بمنطقة الرياض.

ثانياً: التوصيات

- وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، من المفيد تقديم بعض التوصيات في ضوء نتائج البحث التي توصل إليها الباحث، ومن المفيد تقديم بعض التوصيات للإفادة منها في تطوير الإعلام التربوي وهي:
- أن يتم تفعيل دور الإعلام التربوي في طرح قضايا الإدارة التعليمية المتعلقة بالتخطيط، التنظيم، الرقابة، التطوير.
 - أن توفر كافة الوسائل التكنولوجية الحديثة المعينة على تنفيذ برامج التنمية المهنية وتطور الإعلام التربوي.
 - تأهيل المسؤولين والإداريين في الإعلام التربوي لزيادة المعرفة والمهارة في مجالات الإعلام والتربية والجودة.
 - العمل على دعم الإعلام التربوي بالكوادر المؤهلة والمتخصصة.
 - عقد اجتماع دوري لإدارة الإعلام التربوي مع الموجهين والمشرفين التربويين، وتبادل الزيارات بين إدارة المناطق التعليمية والمدارس المختلفة دعماً للروابط المهنية، وإيجاد مزيد من التعاون المتبادل.
 - إشراك المعلمين والمشرفين والعاملين في الحقل التربوي في وضع سياسات وأهداف وتطوير الإعلام التربوي.
 - الاهتمام بكل مصادر المعلومات وصناديق الاقتراحات وأساليب الاتصال الشخصي داخل مكاتب التربية والتعليم وخارجها، دعماً للإدارة الإعلام التربوي.

قائمة المراجع:

- 1/ مرسي، محمد منير(1996): الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، عالم الكتب، القاهرة، جمهورية مصر.
- 2/ محامدة، ندى عبد الرحيم(2005): الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 3/ بدر، حامد أحمد(1993). السلوك التنظيمي. دار النهضة العربية، القاهرة.
- 4/ عبد العزيز، سليمان عرفات(1987): الاتجاهات التربوية المعاصرة "دراسة في التربية المقارنة"، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- 5/ عبد الفتاح، إسماعيل(2011): تحديات الإعلام التربوي العربي. العربي للنشر.
- 6/ العوضي، عبد اللطيف(2008): التربية في مجتمع تكنولوجيا الإعلام. مجلة التربية.
- 7/ أبو هلال، محمد(2010): المراجع في مبادئ التربية، الشروق للنشر والتوزيع.
- 8/ فوزي، إبراهيم(1430هـ): المناهج المعاصرة، ط3، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- 9/ إبراهيم، فهد(2015): مسؤوليات وواجبات مدير المدرسة في ضوء الأنماط المختلفة للإدارة المدرسية، دراسات تربوية.
- 10/ مرسي، محمد منير(2005): التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة.
- 11/ أحمد، سناء محمد(2010م): مقترح برنامج لتدريب معلمات رياض الأطفال أثناء الخدمة بمدينة بور تسودان بولاية البحر الأحمر في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة. رسالة دكتوراه؛ كلية التربية، جامعة الخرطوم.
- 12/ إبراهيم، أحمد(2014): الإدارة المدرسية في الألفية الثالثة، مكتبة المعارف الحديثة الإسكندرية.



- 13/ عيسى، أحمد خالد(2013): أثر الاعلام التربوي في العملية التربوية بولاية الخرطوم، رسالة دكتوراه، الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الزعيم الأزهرى.
- 14/ مصطفى، عزيزة إبراهيم(2015): دور الإعلام التربوي في إكساب تلاميذ المرحلة الإعدادية المعرفة بحقوق الطفل. رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الأطفال، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- 15/ علوان، نزار احمد(2013): برنامج مقترح لتفعيل اداء الاعلام التربوي على وفق حاجات التربية من اجل المواطنة لطلبة المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير; كلية التربية، جامعة ديالى.
- 16/ الدرري، غادة فرج(2012): واقع استخدام الاعلام التربوي في إكساب مهارات الاتصال للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، جامعة عين شمس، مجلة دراسات الطفولة. مج.15، ع.57، أكتوبر-ديسمبر.
- 17/ بخاري، سامية عطا الله(1423هـ): دور الاعلام ووسائله في التطوير التربوي من وجهة نظر الإعلاميين والتربويين المتخصصين بالمملكة العربية السعودية، جدة.

La thérapie comportementale et cognitive (TCC)

Dr.Touhami Soufyane/Université Moulay Tahar –Saida-Algérie

Résumé :

Les thérapies comportementales et cognitives représentent l'application de principes issus de la psychologie scientifique à la pratique clinique. Ces thérapies ont été fondées dans un premier temps sur les théories de l'apprentissage : conditionnement classique, conditionnement opérant, théorie de l'apprentissage social. Dans les TCC, la pratique est centrée sur la cognition, c'est-à-dire les pensées et les croyances parfois erronées et négatives qui cultivent l'individu sur lui-même. Les TCC ont été largement étudiées dans les troubles anxieux dans les troubles de panique et dans les troubles anxieux généralisés. Elles sont également efficaces dans l'état de stress post-traumatique, dans les troubles obsessionnels compulsifs, dans les phobies sociales et diverses phobies spécifiques. La TCC est basée sur la correction des pensées (ou cognitions) négatives et l'apprentissage de comportements nouveaux et adaptés. Les idées fausses par rapport aux aptitudes réelles de la personne induisent souvent des conduites d'évitement, de passivité, qui empêchent le contrôle des actions et peuvent aboutir à un état dépressif ou aggraver un état psychotique. La TCC est une thérapie brève allant généralement de quelques semaines à quelques mois.

Mots clés :

La thérapie comportementale et cognitive, trouble, traitement, conditionnement classique, conditionnement opérant, apprentissage, anxiété, phobie.

1/ Les thérapies cognitives et comportementales :

C'est un traitement par des moyens psychologiques, qui se fait par des entretiens réguliers, individuels ou en groupe, avec un psychothérapeute. La durée du traitement varie de quelques mois à quelques années. Elle peut être pratiquée seule ou associée à d'autres thérapeutiques (ex : prescription de médicaments). C'est un contrat librement accepté entre la personne et le psychothérapeute, dans le respect du secret professionnel et reposant sur une alliance thérapeutique.

Les thérapies comportementales et cognitives (TCC) représentent l'application de principes issus de la psychologie scientifique à la pratique clinique. Ces thérapies ont été fondées dans un premier temps sur les théories de l'apprentissage : conditionnement classique, conditionnement opérant, théorie de l'apprentissage social. Puis elles ont également pris pour référence les théories cognitives du fonctionnement psychologique, en particulier le modèle du traitement de l'information. On parle actuellement de thérapies comportementales et cognitives, ou de thérapies cognitivo-comportementales (TCC). Cette appellation reflète la pratique la plus fréquente. Ainsi, une enquête effectuée par Elliot et coll. (1996) trouve que 67,5 % des membres de l'Association américaine pour le développement de la thérapie comportementale disent pratiquer des thérapies cognitivo-comportementales. En Europe, l'Association européenne de thérapie comportementale (EABT) est devenue l'Association européenne de thérapie comportementale et cognitive (EABCT) en 1990.¹

Les thérapies cognitives et comportementales (TCC) s'intéressent à la partie visible de l'iceberg, celle qui fait souffrir. La pratique est centrée sur la cognition, c'est-à-dire les pensées et les croyances parfois erronées et négatives que cultive l'individu sur lui-même. Celles-ci peuvent générer un état de souffrance et un comportement névrotique (dépendance, phobies, T.O.C.) que la thérapie va alors s'attacher à corriger. De la famille des thérapies brèves, les TCC s'appuient sur une relation active entre le thérapeute et son patient dans l'apprentissage de nouveaux comportements.

2/Historique :

Les premiers essais sur les thérapies comportementales ont été publiés en 1913, par Watson, qui défend l'idée du "behaviorisme" selon laquelle la psychologie devrait se centrer sur l'étude des comportements. Les thérapies cognitives quant à elles, ont été développées dans les années 60, par Alber Ellis et Aaron Beck. Le premier s'est intéressé aux épisodes dépressifs venant de la vision grandiose que nous avons de nous-même comparée à ce que nous sommes capables de faire, générant la plupart du temps des appréciations défaitistes. Le second, Aaron Beck, après avoir évalué les résultats de différentes thérapies, axe sa recherche sur les cognitions, nos

¹ -Cyrille Bouvet, 2014, **Introduction aux thérapies comportementales et cognitives**, éd. Dunod, Paris, France.

pensées et nos croyances. La synthèse entre comportemental et cognitif s'est faite d'elle-même, les thérapeutes pratiquant un aller-retour fréquent entre les deux.¹

3/Principes thérapeutiques :

Les thérapies cognitives et comportementales sont fondées sur l'apprentissage de nouveaux comportements, à partir de l'élaboration de pensées plus adéquates : il s'agit de réussir demain, ce dont on se croit incapable aujourd'hui et que, de ce fait, on a raté hier. La pratique repose en partie sur l'analyse fonctionnelle du problème, avec la mise à jour des déclencheurs, des monologues intérieurs y afférant, et bien sûr des comportements "compulsifs". Puis sur l'élaboration d'objectifs, qui consistent essentiellement en un certain nombre de tâches précises à accomplir. Ce qui sous-entend pour le patient de se mettre en situation stressante. D'où un autre principe essentiel aux TCC : un contrat ou une collaboration active entre les deux parties, qui permet d'évaluer ce que le patient peut accepter. Il n'y a pas d'obligation donnée par le thérapeute.

Un certain nombre de principes issus des théories de l'apprentissage et des théories cognitives représentent le fondement de la pratique des thérapies cognitivo-comportementales. Les conditionnements classiques et opérant sont une des bases théoriques des thérapies cognitives et comportementales. Ils représentent les lois d'apprentissage qui caractérisent l'ensemble des êtres vivants. Dans ce sens, ce sont les formes d'apprentissage normales et adaptées. Mais dans certaines circonstances, ils aboutissent à un apprentissage émotionnel ou comportemental inadapté ou pathologique que les thérapies cognitives et comportementales visent à traiter. Pour certains troubles mentaux, ces formes d'apprentissage ainsi que les mécanismes cognitifs peuvent jouer un rôle causal direct dans l'étiologie du syndrome. Pour d'autres troubles, ces mécanismes ne jouent pas un rôle causal, une conditionnabilité, inscrite dans le tempérament et d'origine biologique, faisant le lit du syndrome. Mais les processus d'apprentissage influencent l'expression phénotypique finale d'un syndrome, et peuvent de ce fait être modifiés dans un sens favorable par les TCC. Les données actuelles de l'épidémiologie génétique montrent que dans l'anxiété et la dépression les facteurs environnementaux sont aussi importants que les facteurs génétiques dans l'expression phénotypique des troubles. C'est ce qu'a, en particulier, montré une étude sur le stress post-traumatique effectuée chez des jumelles identiques et élevées dans le même milieu. À environnement social égal et génétique égale, c'est la jumelle qui a subi l'abus sexuel intense le plus grave qui va développer un stress post-traumatique (Kendler et coll., 2000). De manière plus générale, la génétique des comportements (revue in Paris, 1998) montre que les sources de variation dans la personnalité sont représentées à 50 % par des facteurs héréditaires et à 50 % par des facteurs d'environnement. On s'oriente donc vers des modèles de vulnérabilité génétique, où les événements de vie provoquent des conditionnements

¹ -Stacey Callahan, Frédéric Chapelle, 2016 **Les thérapies comportementales et cognitives**, éd dunod, paris ,France.

et favorisent la mise en place de schémas cognitifs qui vont entraîner des dysfonctionnements. Il est possible d'agir par la TCC sur les réponses comportementales et émotionnelles ainsi que sur les cognitions.¹

3.1/Conditionnement classique (ou répondant ou pavlovien) :

Il a été mis en évidence par Pavlov en 1926 (Pavlov, 1963). Le conditionnement classique, ou pavlovien, a pour effet de mettre en place les réponses du système nerveux végétatif. Il consiste à associer un stimulus neutre (une sonnerie), en le présentant un quart de seconde avant un stimulus inconditionnel (la nourriture), pour que se déclenche une réponse de salivation. Le stimulus neutre déclenchera par la suite, à lui seul, la réponse. L'ensemble des réponses émotionnelles physiques relève de ce conditionnement par lequel un stimulus neutre – un lieu, une image, un son, une date, un mot – est associé automatiquement à des manifestations émotionnelles. Les travaux de Le Doux (1998) ont permis une avancée significative de la biologie des émotions et de leurs relations avec les facteurs cognitifs. La conscience joue peu de rôle dans ce type d'apprentissage, qui a lieu dans deux structures neurologiques qui appartiennent à des structures primitives du cerveau : le thalamus et l'amygdale, et également le tronc cérébral. L'apprentissage de la peur et des réactions anxieuses a lieu dans le thalamus et l'amygdale, selon une voie qui court-circuite le cortex préfrontal. Cette voie est utilisée quand il s'agit de réponses de survie immédiates : fuir, affronter et combattre, ou s'immobiliser. Mais à cette voie courte se superpose une voie longue, qui va permettre un traitement conscient et plus lent de l'information. Cette voie fait relais dans les aires préfrontales qui font partie du néocortex. Une atteinte du cortex préfrontal empêche la décroissance des réponses de peur et d'anxiété par l'exposition répétée aux situations provocatrices d'anxiété (Le Doux, 1998). Ce qui signifie que la conscience joue sans doute un rôle dans les processus d'habituation. Il est vraisemblable que les personnes qui présentent des perturbations émotionnelles importantes utilisent essentiellement la voie courte, automatique et inconsciente : ce qui expliquerait des réactions de colère, de violence ou de peur disproportionnées par rapport à la situation qui provoque l'émotion. La figure 7.1 représente les voies longue et courte du traitement de l'information émotionnelle selon Le Doux (1998). Elle positionne aussi les possibles actions de la thérapie comportementale sur la voie courte, émotionnelle, et de la thérapie cognitive sur la voie longue, plus rationnelle.

3.2/Conditionnement opérant (ou skinnerien ou instrumental) :

Il décrit le développement et le maintien des réponses motrices et verbales. Il a été décrit dès la fin des années 1930 par Skinner (1971), comme une extension de la théorie darwinienne de la sélection naturelle. L'organisme opère sur l'environnement et les conséquences de son action le conduisent à modifier son comportement. Il répétera ou éliminera certaines réponses. Les actions sont renforcées par leurs conséquences.

¹ -Stacey Callahan, Frédéric Chapelle, 2016, **Les thérapies comportementales et cognitives**, éd. Dunod, Paris, France.

Une formulation adéquate de l'interaction entre un organisme et son milieu doit spécifier trois niveaux d'analyse fonctionnelle : • les circonstances dans lesquelles la réponse survient, autrement dit le stimulus discriminatif qui signale au sujet qu'il doit agir ; • la réponse elle-même ; • les conséquences à effet renforçateur. L'interrelation entre ces trois éléments est une contingence du renforcement, qui entre aussi en interaction avec les motivations internes à agir. L'analyse du maintien d'une séquence comportementale passe par l'étude de ses conséquences qui permet de comprendre la finalité d'un comportement. Une action qui a des conséquences positives va tendre à se répéter (renforcement positif). Inversement, devant les conséquences négatives d'une action, l'organisme aura tendance à émettre des comportements d'évitement ou d'échappement la situation susceptible de provoquer des désagréments. C'est le renforcement négatif : conditionnement d'échappement ou d'évitement des situations aversives. L'absence de conséquences négatives ou positives à une action entraînera progressivement la disparition de cette action du fait de l'absence de tout renforcement : c'est l'extinction. Deux grands principes pratiques, issus du conditionnement opérant, sont le plus souvent utilisés : • le principe de segmentation de la difficulté : il consiste par exemple à classer de 0 à 100 les étapes d'affrontement d'une situation en fonction de l'anxiété ressentie à chaque étape ; • le façonnement progressif (shaping) avec renforcement positif des comportements qui, s'approchant progressivement du but recherché, évite le découragement aussi bien des patients que des thérapeutes. Le renforcement positif est présenté par le thérapeute sous forme d'approbation. ¹

3.3/Sensibilisation et habituation :

L'habituation est un processus physiologique très général, forme élémentaire et primitive d'apprentissage qui peut être assez facilement utilisée comme paradigme expérimental et principe thérapeutique. L'habituation est l'inverse de la sensibilisation. Eric Kandel, prix Nobel 2000, chez un organisme comprenant un nombre limité de neurones (aplysie), a montré qu'à côté des réponses conditionnelles, il pouvait exister une mémorisation après une seule rencontre avec un stimulus nociceptif et une potentialisation à long terme qui résulte d'une cascade d'événements chimiques qui font que la réponse va s'accroître sans qu'il soit nécessaire de mettre en place de nouvelles expériences de conditionnement (cité par Marks, 1987). Chez l'homme qui souffre de réponses émotionnelles excessives, l'habituation par présentation prolongée et répétée des stimuli aboutit à la diminution de la force des réponses inconditionnelles contrôlées par le tronc cérébral et le complexe amygdalien. En revanche, la présentation brève des stimuli évocateurs d'obsessions et de compulsions ou de phobies ne fait qu'accroître l'intensité des réponses motrices, cognitives et végétatives futures. Il s'agit du phénomène inverse de l'habituation : la sensibilisation. En général il faut 45 minutes d'exposition pour aboutir au phénomène d'habituation. Le thérapeute doit donc proposer aux patients phobiques ou obsessionnels qui sont traités par les méthodes d'exposition, des séances répétées et prolongées, plutôt que des séances brèves.

¹ - Jérôme Palazzolo, 2012, Cas cliniques en thérapies comportementales et cognitives, masson, France.

Les thérapies comportementales se sont fondées, au début, sur la notion qu'un certain nombre de comportements, en particulier les comportements d'évitement, résulteraient d'un conditionnement par association de stimuli. Dans un premier temps, un conditionnement classique des réponses émotionnelles va fixer un pattern émotionnel dans la mémoire ; dans un deuxième temps, l'évitement comportemental va soulager de l'anxiété et fixer sur un mode opérant les réponses motrices. Les deux facteurs, conditionnement classique et conditionnement opérant, participent au maintien du trouble anxieux, ce qui fait que les TCC vont agir à ces deux niveaux d'apprentissage : réduire l'anxiété et encourager les comportements actifs d'affrontement. Le plus connu des principes utilisés en TCC est l'exposition aux situations anxiogènes (Wolpe, 1975 ; Marks, 1987). Celle-ci est en général effectuée de manière graduelle et précédée d'une phase d'exposition prolongée et répétée en imagination, qui vise à habituer les réponses physiologiques inadaptées et à éteindre les réponses motrices d'évitement.¹

3.4/Apprentissage social :

le principe d'apprentissage par imitation de modèles Il a été démontré (Bandura, 1977), sur le plan expérimental, l'importance de l'apprentissage par imitation de modèles. Ces principes ont été étendus aux problèmes cliniques. Les techniques dites de « modeling », sont surtout utilisées pour le développement de la compétence sociale par les jeux de rôles où le patient, après avoir joué une interaction sociale, observe des modèles compétents qui donnent leur version de la situation. Le patient s'inspire du modèle pour donner sa propre version. Ses progrès peuvent être filmés et discutés avec lui. Le modèle peut être présenté par le thérapeute qui joue la scène devant le patient avec un autre thérapeute, ou selon un programme d'apprentissage enregistré sur bande vidéo après une étude soigneuse et une adaptation aux problèmes d'interaction sociale particuliers à chaque patient. Bandura (1977) a également développé une théorie générale du changement psychothérapique en postulant une dimension particulière du fonctionnement mental : l'efficacité personnelle perçue. Cette théorie est proche de celle qu'avait développée, à la même époque, Seligman (1975) chez l'animal puis chez l'homme. Elle accorde au sentiment d'impuissance apprise face à des événements aversifs un rôle central dans la psychopathologie. L'impuissance apprise et la perte de l'efficacité personnelle perçue peuvent rendre compte des réponses de stress, d'anxiété et de dépression. Le changement psychothérapique a lieu dans la mesure où un sujet se considère, à nouveau, comme capable de présenter un comportement et qu'il pense que ce comportement aboutira à un résultat (attentes de résultat). Modifier les attentes de résultats et d'efficacité est un principe général de changement utilisable en psychothérapie, notamment dans la dépression. Il s'agit donc d'une interprétation cognitive des théories de l'apprentissage, et

¹ -Jérôme Palazzolo, 2012, Cas cliniques en thérapies comportementales et cognitives, masson, France.

l'œuvre de Bandura et celle Seligman représentent une transition entre les théories de l'apprentissage et les théories cognitives.¹

4/Déroulement d'une séance :

La première séance est consacrée à l'écoute du problème du patient. La suivante repose sur la description détaillée des cognitions et du comportement associé aux multiples situations du quotidien : à quoi pense-t-on quand on se réveille ? le petit déjeuner avant ou après la douche ? L'objectif est avant tout d'établir une liste des moments les plus angoissants. Trois ou quatre séances plus tard, le thérapeute et le patient élaborent ensemble un contrat, avec des tâches à accomplir (dîner dans un lieu public, prendre l'ascenseur) selon un agenda précis, dans le but de modifier progressivement le comportement. Le thérapeute s'implique : il pose des questions, conseille et éclaircit les points qui peuvent aider son patient à comprendre son trouble et à trouver des solutions pour en sortir. Les séances suivantes traitent des difficultés que rencontre le patient, et d'un réajustement éventuel. Dans certains cas (les phobies), une séance de relaxation est nécessaire pour parvenir à une désensibilisation de l'objet de la peur. Chaque séance est différente de la précédente, puisqu'il s'agit à chaque fois de progresser un peu.

5/Objectifs de la TCC Déroulement de la thérapie :

Aider la personne à trouver – ou retrouver – son autonomie et des relations interpersonnelles plus faciles. Pour ce faire, la TCC cible les objectifs suivants : Méthode La TCC est basée sur la correction des pensées (ou cognitions) négatives et l'apprentissage de comportements nouveaux et adaptés. Les idées fausses par rapport aux aptitudes réelles de la personne induisent souvent des conduites d'évitements, de passivité, qui empêchent le contrôle des actions et peuvent aboutir à un état dépressif ou aggraver un état psychotique. Dans la majorité des cas, ces émotions pénibles et leurs cortèges de répercussions, ne peuvent disparaître spontanément et durent parfois toute une vie. • s'affirmer, en se confrontant aux situations stressantes par une habitude progressive, • endiguer de façon pragmatique le symptôme sous ses multiples formes, en modifiant les a priori et les idées obsédantes véhiculées par l'anxiété, • travailler à la restauration revalorisante de sa propre image, en reconsidérant ses réelles qualités et potentialités, • lutter contre les conflits internes et les croyances anxigènes (sources d'anxiété), • chercher des moyens alternatifs, qui permettent d'identifier et de corriger les pensées automatiques.²

6/Mécanismes d'action :

Comme tout traitement, la psychothérapie vise à améliorer l'état de la personne et/ou à prévenir des rechutes. Les mécanismes d'action varient selon la théorie utilisée, mais reposent tous sur l'idée d'une interaction entre

¹ -Jérôme Palazzolo, 2012, Cas cliniques en thérapies comportementales et cognitives, masson, France.

² -Stacey Callahan, Frédéric Chapelle, 2016, Les thérapies comportementales et cognitives, éd. Dunod, Paris, France.

corps, psychisme et environnement. Il y a plusieurs techniques différentes, choisies en fonction du type de souffrance et du souhait de la personne. Les techniques de psychothérapies sont fondées sur la parole, associée ou complétée par des médiations instrumentales ou corporelles. Les psychothérapies se déroulent dans un cadre précis défini par le thérapeute : lieu, modalités techniques, durée et fréquence des séances.

Qui peut en bénéficier ? La psychothérapie s'adresse à des personnes de tous les âges, mais aussi aux couples et aux groupes familiaux. Elle peut aider toute personne ayant une souffrance psychique, exprimée par des symptômes tels que : angoisse, tristesse, crise de panique, phobies, obsessions, dépression, idées suicidaires, perte de confiance en soi, isolement, inhibition, difficultés relationnelles, troubles alimentaires, troubles sexuels ou troubles du sommeil. Ces symptômes peuvent apparaître dans le cadre : • d'une névrose, chez une personne consciente de ses troubles, qui n'est pas coupée de la réalité et qui demande de l'aide, • d'une psychose, chez une personne peu ou pas consciente de ses troubles, mais intéressée à mieux comprendre sa souffrance, • d'une addiction à l'alcool ou aux drogues, • de troubles psychosomatiques (ex : asthme, eczéma, douleurs...), • de troubles réactionnels à une situation traumatisante ou à une situation conflictuelle dans un couple, une famille, au travail ou à l'école.¹

C'est une thérapie brève, validée scientifiquement, qui vise à remplacer les idées négatives et les comportements inadaptés par des pensées et des réactions en adéquation avec la réalité. La TCC aide à progressivement dépasser les symptômes invalidants, tels que : les rites et vérifications, le stress, les évitements et les inhibitions, les réactions agressives, ou la détresse à l'origine de souffrance psychique.

7/Pour quels types de troubles ?

« Les TCC ont été largement étudiées dans les troubles anxieux. Leur efficacité est la mieux établie, en association ou non au traitement médicamenteux, dans le trouble de panique et dans les troubles anxieux généralisés. Elles sont également efficaces dans l'état de stress post-traumatique, dans les troubles obsessionnels compulsifs, dans les phobies sociales et diverses phobies spécifiques. D'après une étude contrôlée, les psychothérapies brèves sont efficaces dans le traitement du trouble de panique en association avec un antidépresseur pour prévenir les rechutes. Elles pourraient être également efficaces dans l'état de stress post-traumatique, et n'ont pas été étudiées dans d'autres troubles anxieux.»(1)

La TCC est également efficace dans le traitement de troubles dépressifs, tels que les états dysthymiques et les états dépressifs majeurs. Les troubles du sommeil, les états de dépendances (conduites addictives), certains aspects des troubles psychotiques, les troubles alimentaires ainsi que des troubles fonctionnels rencontrés en médecine peuvent aussi être traités par la thérapie comportementale et cognitive. Lorsque le trouble s'avère particulièrement sévère, la thérapie peut être combinée à un traitement médicamenteux, comme support

¹ -Bertrand Samuel-Lajeunesse, 2008, **Manuel de thérapie comportementale et cognitive**, éd. Dunod, Paris, France.

transitoire et limité dans le temps. Bien adaptée aux enfants, la TCC répond avec satisfaction aux problèmes d'énurésie, de phobie scolaire, aux troubles oppositionnels et de conduite, aux troubles déficitaires et de l'attention (hyperactivité).¹

8/Méthode :

La TCC est basée sur la correction des pensées (ou cognitions) négatives et l'apprentissage de comportements nouveaux et adaptés. Les idées fausses par rapport aux aptitudes réelles de la personne induisent souvent des conduites d'évitements, de passivité, qui empêchent le contrôle des actions et peuvent aboutir à un état dépressif ou aggraver un état psychotique. Dans la majorité des cas, ces émotions pénibles et leurs cortèges de répercussions, ne peuvent disparaître spontanément et durent parfois toute une vie.

Pour en comprendre les causes, et les modifier, la TCC s'appuie sur une relation thérapeutique de collaboration (l'alliance thérapeutique) et sur la motivation fondée sur les résultats. Ces deux éléments engagent la personne à apprendre des moyens de remplacer le comportement indésirable, par des conduites plus en conformité avec la réalité. Selon les indications thérapeutiques, ou les préférences de la personne, la TCC se réalise avec un thérapeute en individuel ou en groupe. Ce dernier type de thérapie semble obtenir de bons résultats à long terme grâce à sa plus grande capacité à provoquer des changements cognitifs entre les différents participants.²

9/Evaluation :

Régulièrement évalués et réajustés durant toute la durée de la thérapie, les exercices aident à mieux maîtriser les émotions douloureuses et limitent les pensées anxiogènes ou dépressives. Par ce travail, les symptômes sont progressivement maîtrisés. Par l'allègement des tensions internes, les problématiques sont affrontées avec moins d'appréhension et plus de savoir-faire.³

10/Durée du traitement :

Avec des résultats globalement très satisfaisants et concrets dans le traitement de nombreux troubles, la TCC est une thérapie brève allant généralement de quelques semaines à quelques mois. Néanmoins, il est parfois nécessaire, en fonction de l'ancienneté et de la gravité du trouble, de prolonger la durée de la thérapie sur des périodes définies en commun, lorsqu'un suivi de prise en charge s'avère indispensable. La durée des séances est de 30 min à 1 h en thérapie individuelle, et de 2 h à 2h30 en groupe, à raison d'une séance par semaine dans les deux cas, quand cela est possible.⁴

Références :

¹ - M. Vinot- Coubetergues et E. Marc, 2015, **Les Fondements des psychothérapies**, éd. Dunod, Paris, France.

² - Ovide Fontaine, Philippe Fontaine, 2007, **Guide clinique de thérapie comportementale et cognitive**, Ed Retz, France.

³ - Jean-Louis Monestès, 2006, **Les thérapies comportementales et cognitives**, éd. Dunod, Paris, France.

⁴ - Jean Cottraux, 2006, **Les thérapies cognitives : Comment agir sur nos pensées**, Ed Retz, France.



- 1/ Cyrille Bouvet,2014, **Introduction aux thérapies comportementales et cognitives**, éd dunod,paris ,France.
- 2/ Stacey Callahan, Frédéric Chapelle,2016 , **Les thérapies comportementales et cognitives**, éd dunod, paris ,France.
- 3/ Bertrand Samuel-Lajeunesse,2008, **Manuel de thérapie comportementale et cognitive**, éd dunod,paris ,France.
- 4/ M. Vinot- Coubetergues et E. Marc,2015, **Les Fondements des psychothérapies**, éd dunod ,paris ,France.
- 5/ Ovide Fontaine , Philippe Fontaine ,2007, **Guide clinique de thérapie comportementale et cognitive** ,Ed retz, France.
- 6/ Jean Cottraux, 2006, **Les thérapies cognitives : Comment agir sur nos pensées**, Ed retz, France.
- 7/ Jean-Louis Monestès,2006, **Les thérapies comportementales et cognitives**, éd dunod, paris ,France.
- 8/ Jérôme Palazzolo, 2012, **Cas cliniques en thérapies comportementales et cognitives**,masson,France.



Les associations et les coopératives organismes indispensables pour revitaliser l'économie sociale et solidaire dans les milieux montagnards : étude de cas dans les provinces de Chefchaouen et Tétouan (Nord du Maroc)

HMAMOU MUSTAPHA/

Professeur du deuxième cycle de l'enseignement secondaire, docteur chercheur en géographie

123

Résumé :

Les associations et les coopératives, occupent sans nul doute une place importante dans l'économie sociale et solidaire en ce qui concerne l'aménagement du territoire. Elles facilitent également les liens entre l'État et les collectivités territoriales dans la mise en œuvre des projets de développement. Dans le contexte de la problématique et l'intérêt de cette étude, nous visons plus précisément d'identifier le rôle des associations et coopératives rifaines marocaines, que se soit les sublimés aux niveaux national et régional, ou les petites qui œuvrent localement, en invoquant des cas agissants dans le monde rural de deux provinces (Chefchaouen et Tétouan).

Mots clés : coopératives, associations, économie sociale, économie solidaire, montagne rifaine, Cannabis

Introduction :

L'économie sociale et solidaire a un rôle potentiellement important à jouer dans la réorientation des économies et des sociétés vers la durabilité économique, sociale et écologique¹. Au Maroc, elle se veut, aux côtés des secteurs public et privé, le nouvel entrant capable d'apporter un nouveau souffle à la croissance économique en contribuant à lever une grande partie des défis de l'inclusion et de la précarité². Les associations et les coopératives constituent une composante principale de ce secteur. Il convient de signaler à ce propos que la société marocaine connaît des valeurs pratiques d'entraide, de solidarité et de mutualisme ancrées culturellement dans de son histoire (Tawiza par exemple). Malheureusement ces valeurs subissent une décomposition inquiétante.

Il est à noter que, si le territoire marocain connaît généralement des pratiques de solidarité, les actions collectives dans les espaces montagnards, au vu de ses caractéristiques physiques spécifiques (notamment les particularités climatiques et topographiques), sont absolument nécessaires. Cependant, on constate que les organismes de l'économie sociale, dans les zones mentionnées, sont confrontés à plusieurs défis. Non seulement le secteur coopératif marocain, en particulier en montagne, est encore loin d'être bien organisé et intégré sous forme de fédérations nationales capables de résoudre les problèmes majeurs, liés essentiellement aux faibles niveaux de développement humain et aux fortes dégradations de l'environnement naturel, mais encore les élus locaux, dans ces zones, n'ont pas également pu instituer une association nationale qui défend les intérêts des territoires montagnards³.

La problématique qui se pose est la suivante : le domaine de l'économie sociale et solidaire, à travers les coopératives et les associations, affronte des défis majeurs, surtout dans les zones montagneuses du Rif marocain; bien que les provinces d'étude, ont connu au cours des dernières décennies, une augmentation remarquable du nombre des associations et des coopératives. Néanmoins cette augmentation n'as pas été suffisante pour atteindre les objectifs collectifs fixés d'une manière efficace et efficiente. Le tissu associatif

¹ -United Nations Research Institute for Social Development , « Policy Innovations for Transformative Change: Implementing the 2030 Agenda for Sustainable Development”, 2016, p. 26. Online: http://socialprotection-humanrights.org/wpcontent/uploads/2016/10/Flagship2016_FullReport.pdf

² -Le Royaume du Maroc , Le Conseil Economique Social et Environnemental , « L'Economie Sociale et Solidaire : un levier pour une croissance inclusive », 2016, p. 3.

³- Boujrouf (Said), « Les montagnes marocaines, quel aménagement ? », Th. Doct. Etat en géographie, Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Marrakech , Maroc, 2007, pp. 485-486 (En arabe).

marocain est encore faible et fragile et ses capacités sont limitées par des déficiences structurelles¹, liées à d'autres réels problèmes comme la corruption et le détournement de fonds².

Pour donner une réponse globale à notre problématique mentionnée ci-dessus, nous avons formulé deux hypothèses: la première, Il y a un manque de compréhension et de connaissance du fonctionnement institutionnel des statuts coopératifs et associatifs au sein des déférentes composantes de la société marocaine ; la seconde, le manque d'appui et la faible coordination entre ces organisations de part et les différents acteurs concernés (les opérateurs publics et privés) d'autre part, sont autant de facteurs qui empêchent d'atteindre les objectifs fixés.

Nous avons utilisé plusieurs outils et méthodes d'analyse des données dans le but d'atteindre les objectifs prescrits et de tester les hypothèses notées. Premièrement une recherche bibliographique traitant l'économie sociale et solidaire, en suite l'observation directe et l'enquête de terrain (entretiens et questionnaires destiné aux 47 associations, et 14 coopératives), et enfin le traitement, l'analyse et l'évaluation des données en utilisant certaines techniques qui émanent de la recherche scientifique (les graphiques et les tableaux).

1- Deux types d'associations : celles qui agissent localement confrontées à des défis majeurs et d'autres apportent une importante contribution à la revitalisation de l'économie sociale et solidaire

Le Maroc compté 130 Milles associations actives en 2016³, c'est-à-dire en moyenne 385 associations pour 10000 habitants (à titre de comparaison, plus de 1750 des associations pour 10000 habitants en France). La majorité des associations en activité en 2007 sont souvent des structures de création récente : 8 associations sur 10 ont été créées entre 1997 et 2007 et quatre sur dix depuis le lancement de l'Initiative Nationale du Développement Humain en 2005. Globalement, l'âge moyen des associations marocaines était de 4 ans en 2007⁴. Dans la zone étudiée, la plupart des associations ont été créé à la fin des années 1990⁵. Le nombre des

¹- NÚÑEZ (Jesús), « Asociaciones y organizaciones no gubernamentales en el norte de Marruecos: La articulación de la sociedad civil en las provincias de Tánger, Tetuán, Chefchaouen y Alhucemas », 2007, Editado por Fundación IPADE fundación IPADE, Madrid, Espagne.

² - DE REYMAEKER (Brice), « La cooperación al desarrollo desde la perspectiva del espacio relacional y construido: Encuentros, desencuentros y traducciones en los proyectos catalanes y andaluces de desarrollo y género en el norte de Marruecos », tesis de doctorado en Geografía, Universidad Autónoma de Barcelona, 2014, p. 176.

³- Rapport annuel sur le partenariat entre l'Etat et les associations de la société civile, Rabat, Maroc. <http://www.maroc.ma/ar> (10/02/2017).

⁴- Haut-Commissariat au plan, Direction de la statistique, Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif (ISBL) (Exercice 2007), Décembre 2011, p.11.

⁵- Alioui (Badr), « Économie Sociale et Solidaire dans les communes rurales au sud de Tétouan : le cas des Dar Bni Karrich, Zinat, Al Hamra, Bni Leit, Sahtryine, Sahtryine », Master en géographie, Faculté des Lettres & des Sciences Humaines, Université Abdelmalek Essaadi, Tétouan, Maroc, 2014, p. 129.

associations dans les provinces de Tétouan et de Chefchaouen en 2014, respectivement est estimé à 1594 et 637 associations ; dont 21,70%, et 47,57% intéressent le monde rural. Concernant les domaines d'activité de ces associations, nous avons proposé quatre secteurs, il s'agit de l'agriculture, le développement, L'éducation et l'apprentissage, et diverses interventions. Sachant que la majorité exerce leur activité dans le secteur agricole (42,22%) ; ceci est normal, puisque ce dernier reste généralement l'un des piliers majeurs de l'économie des zones montagnardes, la deuxième place est occupée par les associations pour le développement qui représente 26%, et 17,70% pour la promotion de l'éducation et de la formation. En fin de compte, reste celles qui agissent dans divers domaines.

Lorsque l'on aborde les actions du tissu associatif, on doit évoquer la question du rayonnement territoriale des associations. Il convient de noter ici que ces dernières sont classées selon quatre domaines géographiques d'activités : local, national, régional, et international. Pour cette raison, l'efficacité de ces organisations dépend largement du degré de polarisation spatiale existant. À cet égard, Il faut signaler que dans l'aire d'étude, il y a quelques associations éminentes qui disposent de nombreux moyens permettant de valoriser l'économie sociale et solidaire. Nous allons examiner la situation de certains cas, mais auparavant, nous proposons d'évaluer les difficultés qui réduisent le dynamisme et l'influence des associations qui exercent leurs activités au niveau local.

1-1- Les associations locales : handicapées par l'insuffisance des ressources financières, le déficit qualitatif des ressources humaines et un manque sérieux des moyens logistiques nécessaires

D'après Le Haut-Commissariat au Plan, le taux d'analphabétisme, en milieu rural marocain, reste encore élevé, par exemple, il est dans les environs de 45% en milieu rural de la Région de Tanger-Tétouan-Al Hoceima (44,7%). Au niveau de la province de Tétouan, ce taux demeure trop élevé dans certaines communes rurales, comme c'est le cas par exemple à l'Oulad Ali Mansour (69,4%). Le problème de l'analphabétisme, incontestablement, influe sur l'action et la dynamique associative, en effet, généralement le faible niveau d'instruction requis est un obstacle pour le fonctionnement des associations. À cet égard, l'enquête de terrain a révélé souvent que parmi des représentants/membres des associations, certains sont totalement analphabètes¹. Un autre point essentiel auquel il faut prêter attention, c'est question du genre ; nous signalons ici l'absence quasi-totale des femmes dans les associations rifaines. Dans la province de Tétouan par exemple, les associations qui concernent particulièrement les tâches féminines ne représentent que 5,20% de l'ensemble des associations².

¹ - Il faut signaler que 22,38% des membres des associations dans les communes rurales au sud de Tétouan suivantes : Dar Bni Karrich, Zinat, Al Hamra, Bni Leit, Sahtryine, sont sans scolarité. Alioui (Badr), 1984, Op. cit, 2014, p. 190.

² - Le département de travail social, Wilaya de Tétouan, 2014.

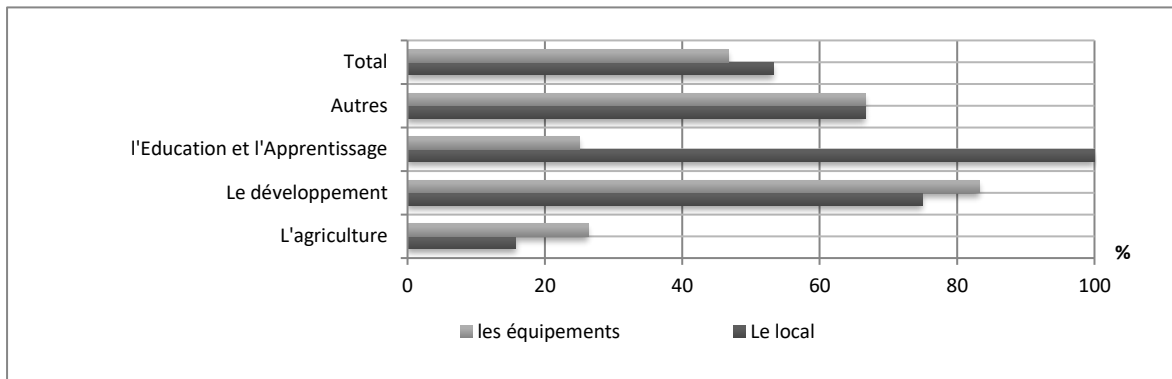


Fig. 1: Répartition des associations selon la disponibilité de locaux et d'équipements dans certaines communes rurales des provinces de Chefchaouen et Tétouan

Source : l'enquête de terrain, 2014.

Il se révèle de la figure 1 que les associations locales enregistrent un manque déplorable relatif à la disposition de locaux conformément à la réglementation et de matériel logistique. Malgré l'article 5 de la loi qui régit la création des associations (dahir n° 1-58-376 du 3 jourmada I 1378, 15 novembre 1958), loi qui stipule clairement que toute association doit déclarer le lieu de son siège sociale à l'autorité administrative locale qui gère le territoire au sein duquel se trouve ce siège, on trouve que 53,33% des associations ne disposent pas de siège, par conséquent les réunions sont tenues dans les espaces publics (mosquées, écoles, cafés... etc.). Dans ce contexte, 46,32% n'ayant pas les équipements requis et adaptés (bureaux, ordinateurs, salles de réunions, internet...etc.). Ce manque d'équipements, peut s'interpréter par la faiblesse de ressources financières associatives.

On peut distinguer deux types de financement des associations : interne (privé) lié aux apports des membres et externe dont le plus habituelle est bien les subventions et les dons, néanmoins il faut ajouter que ces deux sources restent évidemment caractériser par l'instabilité et l'incertitude. Notons que lorsque les sources de financement sont bien diversifiées, ceci se reflète positivement sur les recettes financières des associations. Toutefois, quand on analyse les ressources des associations étudiées (Figure 2), les trois-quarts d'entre elles sont financièrement autonomes, le quart restant essaye de renforcer les relations avec les différents partenaires pour régler ses activités. Dans ces conditions, il sera très difficile d'atteindre l'objectif associatif. Le problème de fond reste probablement le fait de s'appuyer uniquement sur les subventions des collectivités territoriales au lieu de diversifier les sources de financements par les associations, et le manque de conscience de l'importance de renforcer des relations avec les partenaires régionaux, nationaux et internationaux d'une part et avec les grandes associations d'autre part.

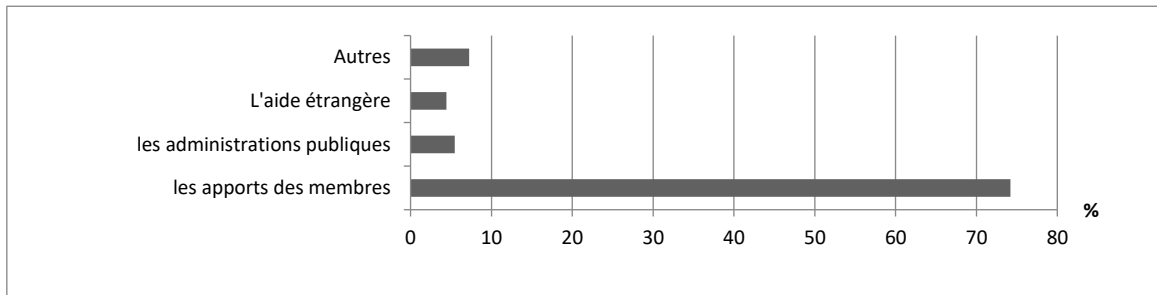


Fig. 2 : Le financement des associations dans certaines communes rurales des provinces de Chefchaouen et Tétouan

Source : l'enquête de terrain, 2014.

1-2- Les associations innovantes et distinguées occupent une place importante dans la revitalisation de l'économie sociale et solidaire

Dans le nord-ouest du Maroc, plusieurs associations ont contribué à la revitalisation de l'économie sociale et solidaire. Dans ce qui suit nous allons essayer de donner un aperçu sur certains cas d'associations vivantes et actives dont le bilan des réalisations est positif et très significatif ; et ce malgré de nombreuses contraintes auxquelles fait face le secteur associatif, il s'agit là de deux structures importantes : l'Association Nationale des éleveurs Ovine et Caprine (ANOC), et ADL-Chefchaouen.

1-2-1- L'ANOC : l'une des organisations bien structurée dans le paysage associatif

L'ANOC qui a été créée en 1980 en tant qu'association nationale, au début avec un seul groupement de 7 personnes dans la région de Zaer au sud de Rabat, elle compte en fin de l'année 2015 dans tout le territoire marocain 150 groupements. Les présidents et trésoriers de tous les groupements constituent l'Assemblée Générale, qui choisit 21 membres pour composer le Conseil d'Administration, en plus d'un représentant du Ministère de l'Agriculture, ce dernier est un observateur qui ne participe pas à la prise des décisions. Le Conseil d'Administration travaille en 5 commissions: stratégie, technique, financière, ressources humaines et réglementation. Il est géré par un bureau de 8 adhérents élus parmi les 21 membres du Conseil d'Administration. Le Conseil à travers les commissions et le bureau, élabore les stratégies de l'ANOC et tranche dans les importantes décisions de l'association. La gestion est assurée par une Direction Générale aidé par un directeur technique qui gère les différentes cellules : projets, formation, génétique et santé animale et le service financier et ressources humaines¹.

¹- le site web de l'association : <http://www.anoc.ma> (10/03/2017)

l'ANOC s'est fixé plusieurs objectifs principaux en parallèles dans plusieurs domaines, à savoir l'amélioration du bien-être de l'éleveur en valorisant son métier exercé dans des conditions difficiles du milieu rural et défendre ses intérêts, ainsi que la contribution à la croissance économique et rurale par le développement de l'élevage des petits ruminants et la promotion des différents produits des éleveurs membres.

Il convient de souligner, comme nous l'avons déjà mentionné, que l'ANOC englobe 150 groupements répartis au niveau national dans 29 provinces, parmi ces provinces, on trouve des provinces de la zone montagneuse du Rif, il s'agit des provinces de Chefchaouen, Tétouan, Ouezzane et Larache (tableau n° 1). A ce propos, cette zone rifaine dispose de deux unités structurantes gérées par l'association: une unité de production de fromage de chèvre¹ dans la province de Chefchaouen et le centre technique d'élevage caprin de Bellota² dans la province d'Ouezzane.

Tab. 1 : La répartition géographique des élevages de chèvres d'ANOC

Les provinces	Les groupements	le nombre de chèvres (femelles)	les éleveurs	% de bétails (femelles)	% des éleveurs
Ouezzane	Bellota	1193	41	21,18	21,24
Chefchaouen	Chefchaouen	740	24	13,14	12,44
Larache	Loukkos	3400	78	60,36	40,41
Tétouan	Tétouan	300	50	5,33	25,91
Total de la zone Nord		5633	193	10,94	26,12
Total de Moyen Atlas		5395	60	10,47	8,12

¹- est créée en 1992 sous l'égide de la Direction de l'Élevage et la Direction Provinciale D'Agriculture de Chefchaouen, avec l'appui financier de la FAO et de la coopération de Française. En 1999, la gestion de l'unité est confiée à l'Association National Ovine et Caprine (ANOC) dans le cadre d'une convention de partenariat avec le Ministère de l'Agriculture de Développement Rural et des Pêches Maritimes. (<http://www.anoc.ma> . 20/02/2015).

²- Située dans la Province d'Ouezzane. Est une ferme modèle pour l'élevage caprin laitier, et a été dédié à la formation pratique, l'accueil des visiteurs de tout le pays et la diffusion de reproducteurs de race Alpine. (<http://www.anoc.ma> . 20/02/2015).

Total de Centre du Sud	15856	210	30,78	28,42
Total de la zone Est	24628	276	47,81	37,35
Total	51512	739	100,00	100,00

Source : le site web de l'association : <http://www.anoc.ma> (21/02/2015)

130

Malgré le potentiel réel des montagnes du Rif au Maroc dans le domaine du développement de l'élevage caprin, il ressort clairement, du tableau n° 1, que ces montagnes ne représentent pas un pourcentage important au niveau du nombre total d'animaux caprins adultes (10,94%), en comparaison avec les autres régions marocaines. Cette situation peut s'expliquer, dans la région du Rif, par la prédominance de la culture de cannabis, vu son rendement très acceptable par les paysans, par rapport aux autres activités agricoles .

En somme, on peut dire que l'ANOC, selon les résultats obtenus, et malgré les obstacles et les défis qu'affrontent les organisations de société civile au Maroc, est une association innovante et distinguée a largement contribué, à côté d'autres associations locales, à la revitalisation de l'économie sociale et solidaire dans notre zone d'étude.

1-2-2- L'Associations de Développement Local (ADL) : l'une des établissements le plus dynamique localement

L'ADL a été Créée en 27 septembre 1997, elle collabore dans le secteur associatif avec plusieurs organisations et institutions nationales et internationales, dont les plus importants sont les suivant¹ :

- Centre d'Initiatives pour la Coopération Bata (CIC BATÁ);
- Association Marocaine de Solidarité et de Développement (AMSED);
- Agence pour la Promotion et le Développement des préfectures et provinces du Nord du Royaume (APDN);
- Institut Catalan de l'Energie (ICAEN);
- Direction Provinciale de l'Agriculture de Chefchaouen.

L'association vise à concrétiser entre autres la participation de la population au développement local, la prise en compte des initiatives socio-économiques apparentées, et aussi le suivi, l'évaluation et l'accompagnement technique de la population dans la réalisation des projets. Les principaux domaines d'intervention de l'Association sont : L'économie solidaire, les activités génératrices de revenus, l'infrastructure et les services, la

¹ - le site web de l'association <http://adl-chefchaouen.ma> (11/03/2017)

scolarité, le développement rural intégré, la gouvernance et l'appui institutionnel, le tourisme et la protection de l'environnement.

En ce qui concerne le financement des projets, les ressources mobilisées par cet acteur sont de deux types : soit des ressources locales (l'Agence de Développement Social, l'Initiative Nationale pour le Développement Humain INDH, l'Agence de Développement du Nord, La Fondation Mohammed V pour la solidarité, Les municipalités et les conseillers provinciaux...); soit des ressources internationales (les Agences de coopération internationale, national et régional, et d'autres institutions d'Espagne, Et les programmes des Nations Unies, et les ambassades étrangers...). Ces projets sont entrepris en collaboration avec des partenaires et les populations bénéficiaires, et le processus d'évaluation des résultats se fait par une expertise étrangère. D'une manière générale, l'ADL a contribué efficacement à la mise en œuvre d'importants projets structurants dans différents domaines. Parmi les plus importants liés à l'économie solidaire nous citons:

- Projet de développement des initiatives entrepreneuriales concernant l'amélioration de la production d'olives au nord du Maroc;
- Projet de production de fleurs coupées au nord du Maroc;
- Projet de création et promotion du secteur des champignons cultivés dans l'espace rurale de la province de Chefchaouen;
- Projet de développement de l'élevage caprin dans Bassin Versant de l'Oued Laou;
- Projet d'augmentation de la productivité durable d'olive dans les provinces du nord;
- Projet de développement socio-économique selon l'approche de Genre au niveau de douars du bassin versant d'Oued Laou;
- Projets d'appui à l'apiculture dans la province de Chefchaouen.

En tout cas, nos investigations sur le terrain permettent de conclure que même si la contribution des grands associations dans la zone d'étude, comme le cas d'ANOC et ADL, semble importante, en réalité, elle est insuffisante; de sorte que les résultats des programmes nationaux et internationaux de développement rural des zones montagneuses de l'aire d'étude, restent peu efficaces, et ceci tant que les associations ne jouent pas un rôle de coordination entre la population locale et les organismes publics. Le succès des projets de développement sur ces fondements ne peut pas aboutir que si la solidarité sociale et territoriale est introduit dans un cadre institutionnel approprié, à travers la création d'associations qui ont une vision claire, gérée par des personnes qui respectent les exigences objectives du travail associatif, et qui distinguent, très clairement, entre ce dernier et le travail coopératif.

2- Les coopératives locales agissent dans le secteur agricole et exercent principalement des activités commerciales ont besoin du soutien, de l'assistance et de l'encadrement

La coopérative est un groupement de personnes physiques et /ou morales, qui conviennent de se réunir pour créer une entreprise, leur permettant la satisfaction de leurs besoins économiques et sociaux, et qui est gérée conformément aux valeurs et principes fondamentaux mondialement reconnus en matière de coopération, notamment : l'adhésion volontaire et ouverte à tous; pouvoir démocratique exercé par les membres; participation économique des membres; autonomie et indépendance; éducation, formation et information; la coopération entre les coopératives ;engagement envers la société¹ . Est-ce que ces valeurs et principes s'appliquent aux coopératives étudiées?

Dans notre zone d'étude, près de la moitié des coopératives (45,45%) sont comme les associations, liées au secteur agricole (élevage de chèvres, apiculture, et le secteur oléicole), suivi par ceux qui exercent leurs activités dans les secteurs des plantes aromatiques et médicinales et les champignons (fig. 3). La plupart de ces coopératives exercent une activité commerciale, dans ce qui suit nous allons essayer d'identifier certaines par leurs caractéristiques:

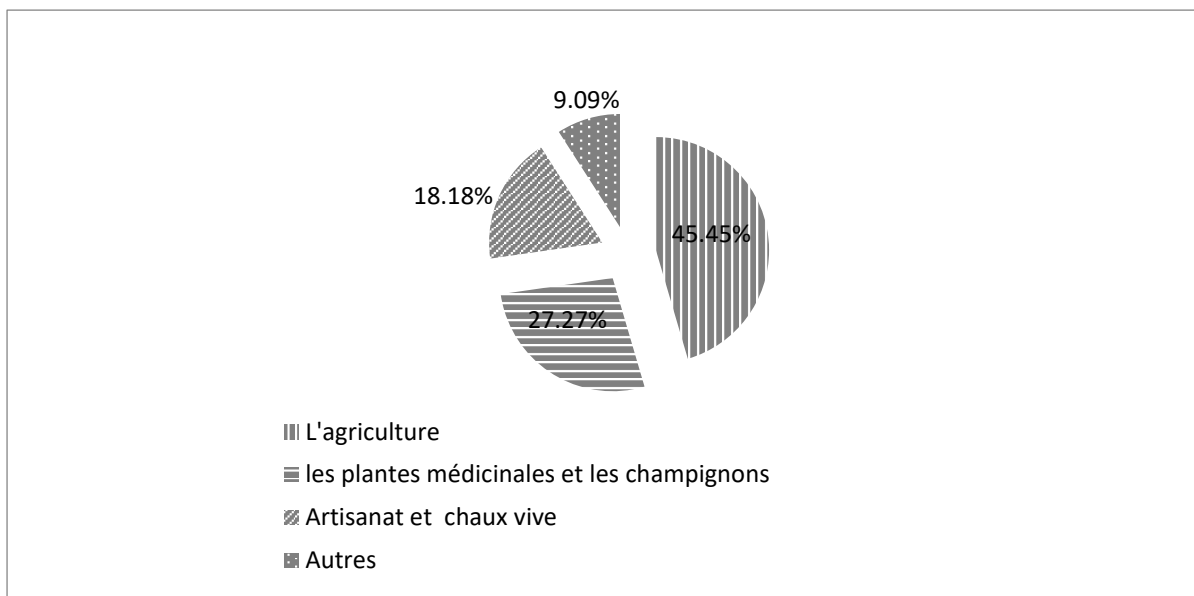


Fig. 3 : les coopératives selon le type d'activité dans certaines communes rurales des provinces de Chefchaouen et Tétouan

Source : l'enquête de *terrain*, 2014.

¹ - La loi 112-12 promulguée par le dahir n° 1-14-189 du 21 novembre 2014, publiée au Bulletin Officiel n° 6318 du 18 Décembre 2014.

- **Coopérative *Al Ouafae* pour la production d'huile d'olive (Centre Al Harm/Béni Darkoul)**

Créée en 2004, c'est une coopérative féminine pour la commercialisation de l'huile d'olive locale à travers, principalement, les expositions et foires régionales et nationales, dont le prix varie entre 50 et 70 DH/L. Le nombre des adhérentes, jusqu'au 15 Juin 2014, atteignait 14 ; l'adhésion est conditionnée par la version d'un montant de 500 DH, et le travail dans la coopérative. Pour se faire les adhérentes habitent non loin du siège de la coopérative, c'est-à-dire au centre de Béni darkoul (province de Chefchaouen). La coopérative dispose comme équipement : un bureau, un téléphone mobile, des outils traditionnels pour récolter les olives, cinq réservoirs d'eau mobiles, des balais, une pompe pour faire monter l'eau, et des nattes en plastique. À propos de la gestion administrative et financière, on signale que la dernière assemblée générale annuelle de cette coopérative (jusqu'à la date de l'entretien -2014-) s'est tenue en 2011, elle recourt à l'expert-comptable et possède un compte bancaire dans le Crédit Agricole du Maroc. La Coopérative « Al Ouafae pour la production d'huile d'olive » a créé un partenariat avec des grandes associations, à savoir l'ADL –Chefchaouen, et elle reçoit également le soutien financier et technique apporté par les administrations locales. Là, elle a bénéficié de l'acquisition du droit sur la marque pour mettre en marché et vendre ses produits, et elle a aussi bénéficié de l'appui de l'INDH pour creuser un puits. En matière de rentabilité, la coopérative enregistre un excédent annuel non négligeable au profit de ces es membres.

- **Coopérative agricole chefchaouen pour la production des champignons**

Elle a été créée en juin 2011 à Grankha (commune rurale de Dardara, province de Chefchaouen sur la R.P. n°2.), c'est une coopérative pour la production et la commercialisation des champignons. Elle importe la plupart des matières premières d'Espagne. L'association ADRAR¹ achète la grande majorité de la production de la « Coopérative agricole chefchaouen pour la production des champignons », à ce client, il faut ajouter les restaurants locaux de la ville de Chefchaouen. Généralement le prix de vente à la coopérative varie entre 35 et 40 DH/Kg. Le nombre des adhérentes ne dépassait pas 9 femmes (16 juin 2014), habitant au même lieu. Il convient de noter qu'au niveau de la gestion, la dernière assemblée générale annuelle est tenue depuis un an avant la date de l'interview en juin 2014. En ce qui concerne les équipements, la coopérative possède un local dans une petite ferme, un bureau, un téléphone mobile, deux réfrigérateurs, et un appareil pour stériliser le foin. Elle a un compte bancaire dans le Crédit Agricole du Maroc. Cependant, elle ne recourt pas aux services d'aucun expert-comptable. Par ailleurs, la coopérative a développée des partenariats avec des organismes locaux tels que L'ADL, L'APDN, DPA de Chefchaouen, et la commune rurale de Dardara. Concernant la

¹ - ¹ L'Association Adrar - Tanger -est engagée dans l'amélioration des conditions de production et de vie dans les campagnes marocaines et dans la promotion de modes de production agricoles de qualité ; elle sélectionne pour sa boutique des produits alimentaires marocains bio et de terroir (https://issuu.com/urbainmagazine/docs/urbain_11_web/10.10/04/2017)

rentabilité, elle atteint un petit excédent permettant de financer des nouveaux projets et le renouvellement et l'entretien des équipements. Néanmoins, la coopérative affronte encore de grosses difficultés qui se résume en un manque de ressources financières, à une mauvaise gestion, à la pénurie d'eau, et le coût élevé de l'électricité et des déplacements.

- **Coopérative *Amlay* pour la production des plantes aromatiques et médicinales**

Elle a été transformé d'une association à une coopérative en 2013, son siège se trouve à l'ouest de la route nationale n° 2 près de la zone de Grankha, elle utilise des matières premières issues des zones forestières et semi-forestiers locales. La coopérative commercialise ses produits principalement dans le Souk hebdomadaire semi urbain de Chefchaouen et à travers parfois les expositions régionales et nationales. Elle rassemble 13 adhérents (10 femmes et 3 hommes en juin 2014), résidant dans le Dchar Amlay au même lieu. La coopérative dispose d'un local avec un bureau et du matériel technique tels que des tamis, pioche, houe, des sacs fabriqués à partir des matières végétales telles que le doum (palmier nains), une balance, et un séchoir...etc. Elle ne recourt pas aux services de l'expert-comptable et ne possède pas de compte bancaire. En matière de relations avec les autres coopératives, associations et organismes..., on signale que la construction du siège et le choix de son lieu ont été fait par l'« Association Talasemtane Pour l'environnement et le développement » (ATED), la coopérative reçoit aussi un soutien de DPA de Chefchaouen et la commune rurale de Dardara surtout au niveau de la commercialisation et des frais des déplacements. À propos de sa situation financière, la coopérative enregistre un modeste excédent au profit de ces 13 membres. Cependant, elle affronte de nombreuses difficultés, tel que le manque de ressources financières, le soutien officiel et d'autrui limité, la faible participation et dynamisme de certains membres de la coopérative, une mauvaise gestion, et des problèmes liés à l'électrification et l'isolement relatif du siège.

- **La coopérative de production de chaux vive à la province de Tétouan**

Cette coopérative à objectif productif -commercial a vu le jour en 1998. Elle s'appuie sur l'utilisation de matières premières (les roches calcaires de la Dorsale) et des savoirs-faire locaux pour produire la chaux. Elle compte 13 membres originaires des communes rurales de Béni Idder et de Zinat. La coopérative joue un rôle important dans la commercialisation de chaux vive au Maroc, son rayonnement commercial inclut les villes relativement lointaines comme Casablanca, Marrakech, et Sidi Yahia el Gharb... Le prix de commercialisation de la production est d'environ 70 DH/T. Concernant la gestion administrative et financière, et les équipements, on signale que l'assemblée générale se réunit chaque année, et la coopérative a recours à un expert-comptable, aussi elle possède un compte bancaire, elle a également un bureau, un téléphone fixe, un ordinateur, et une imprimante. En terme de rentabilité, cette coopérative atteint un excédent annuel destiné aux adhérents et pour l'achat de certains équipements. Elle ambitionne de construire d'un four moderne. Néanmoins, elle rencontre

des difficultés liées au manque de ressources financières, au soutien limité, à la faible participation des membres, au coût élevé d'extraction de la matière premières, et la concurrence acharnée de la société Lafarge.

En somme, la plupart de ces coopératives ont été créées récemment, toutes de type commercial, et se basent généralement sur le traitement des matières premières locales, à l'exception de la coopérative agricole Chefchaouen pour la production des champignons qui importe certaines matières premières nécessaires d'Espagne. Elles contribuent positivement à revitaliser l'économie sociale et solidaire. Cependant, elles affrontent de nombreux problèmes qui se récapitulent en un manque de ressources financières, d'équipements nécessaires suffisants pour faire la promotion des produits de terroirs, en conséquence, plusieurs d'entre eux ne peuvent pas poursuivre leurs activités.

Conclusions

Notre objectif à travers cette étude était de comprendre le rôle des organisations de la société civile dans l'économie sociale et solidaire, en particulier les associations et les coopératives dans l'espace montagnard rifain (le cas de deux provinces : Tétouan et Chefchaouen). En fonction des résultats de cette étude, les hypothèses utilisées sont valables. La recherche sur le terrain effectué à travers les entrevues, et les questionnaires auprès des associations et des coopératives ont révélé un manque de connaissance et de compréhension du travail associatif et coopératif parmi les individus. En ce qui concerne les associations, l'objectif du travail est, bien souvent, lié au souci du lucre et du profit, si nom souvent les activités associatives risquent d'être délaissées. En plus, la politisation du tissu associatif est l'un des facteurs qui empêche réalisation des objectifs. L'activité des associations, quand elle existe vraiment, peut donc se dissoudre rapidement en raison des nombreuses divisions et des affiliations politiques différentes. En revanche, il apparaît avec évidence que le soutien financier aux associations et aux coopératives locales ne pourra pas y aboutir au niveau de réussite souhaité, tant que la plupart des membres de ces organisations ne se caractérisent pas par une activité et une vitalité. En d'autres termes, le manque d'appui et la faible coordination entre ces organisations et les différents acteurs concernés (les opérateurs publics et privés), sont des facteurs qui empêchent encore la réalisation adéquate des objectifs prévus.

En conséquence, il faut réadapter le mécanisme de revitalisation de l'économie sociale et solidaire à travers la création de coopératives efficaces pour la production et la commercialisation des produits du terroir, et la constitution d'associations à but non lucratif, très loin des conflits /intérêts politiques, qui doivent jouer un rôle actif de coordination entre la population locale et les organismes publics, et doivent affronter les problèmes dont souffrent la population rurale. Il faut, aussi suivre les recommandations du conseil économique, social et environnemental¹ à cet égard, qui recommande d'adopter un cadre législatif dédié permettant au Maroc de

¹ - Le Royaume du Maroc, Le Conseil Economique Social et Environnemental, Op, cit., p. 5.



participer au mouvement mondial de reconnaissance accrue du secteur de l'économie sociale et solidaire; et renforcer et mettre en place un système de gouvernance national et régional qui pourra dynamiser et accompagner le développement du secteur et sa croissance; accompagner et articuler le développement des acteurs du secteur aux politiques économiques et les grands chantiers du pays.

Bibliographie

136

- Alioui (Badr), « Économie Sociale et Solidaire dans les communes rurales au sud de Tétouan : le cas des Dar Bni Karrich, Zinat, Al Hamra, Bni Leit, Sahtryine, Sahtryine », Master en géographie, Faculté des Lettres & des Sciences Humaines, Université Abdelmalek Essaadi, Tétouan, Maroc, 2014, 533 pages (En arabe).
- Boujrouf (Said), « Les montagnes marocaines, quel aménagement ? », Th. Doct. Etat en géographie, Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, Marrakech , Maroc, 2007, 561 pages (En arabe)
- DE REYMAEKER (Brice), « La cooperación al desarrollo desde la perspectiva del espacio relacional y construido: Encuentros, desencuentros y traducciones en los proyectos catalanes y andaluces de desarrollo y género en el norte de Marruecos », tesis de doctorado en Geografía, Universidad Autónoma de Barcelona, 2014, 531 páginas.
- Haut-Commissariat au plan, Direction de la statistique, « Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif (ISBL) (Exercice 2007) », Décembre 2011, 251 pages.
- La loi 112-12 promulguée par le dahir n° 1-14-189 du 21 novembre 2014, publiée au Bulletin Officiel n° 6318 du 18 Décembre 2014.
- Le Royaume du Maroc, Le Conseil Economique Social et Environnemental , « L'Economie Sociale et Solidaire: un levier pour une croissance inclusive », 2016, 15 pages.
- NÚÑEZ (Jesús), « Asociaciones y organizaciones no gubernamentales en el norte de Marruecos: La articulación de la sociedad civil en las provincias de Tánger, Tetuán, Chefchaouen y Alhucemas », 2007, Editado por Fundación IPADE fundación IPADE, Madrid, Espagne, 82 páginas
- United Nations Research Institute for Social Development, « Policy Innovations for Transformative Change: Implementing the 2030 Agenda for Sustainable Development», 2016, 151 pages.

Online: http://socialprotection-humanrights.org/wp-content/uploads/2016/10/Flagship2016_FullReport.pdf



- Le site web de l'association ANOC: <http://www.anoc.ma>
- Le site web de l'association ADL Chefchaouen: <http://adl-chefchaouen.ma>

An epidemic of plagiarism strikes our Universities

The current threat and the delayed treatment: A literature review analysis

Dr BENMESMOUDI Aali/University of Mascara

Abstract:

In this paper we try to clarify the phenomenon of plagiarism which threatens the credibility of both the examination and the learning process. The seriousness of our topic and the consequences that may happen as a result to that led us to a deep analysis of the phenomenon; therefore, we ask the main questions that should be answered if we want to cover all the dimensions of the topic. The main concern is to distinguish between plagiarism and the quote; hence, we summed many definitions. After that, we introduced the different types of plagiarism in Algeria and the world, and we reinforced our analysis with some studies, after that I presented some solutions

Keywords: Plagiarism, online plagiarism, offline plagiarism, self plagiarism, cheating in exams.

Introduction:

When I was preparing my previous article about cheating, I noticed that most of references linked cheating to plagiarism, and investigated both at the same time. This combination gave me an idea to treat the topic of plagiarism too. Again, I faced the same problem I had already faced when dealing with cheating; what is meant by plagiarism?

140

To answer this question I introduced a series of definitions in order to find the common points among them, and to deduce a standard definition to the phenomenon. After that, I distinguished the different types of plagiarism; all the types belong to two main categories: online and offline plagiarism.

As far as the causes of plagiarism are concerned, I introduced some studies in order to find out the common reasons of plagiarism throughout the world. After that, I restricted my analysis on the factors of plagiarism among the Algerian students, where I reordered them in terms of their importance. Then I tried to provide some solutions on the basis on my experience as a teacher at the University.

1. Definition:

You may hear people, and mainly teachers and students talk about a phenomenon called plagiarism, however, nobody can give you an exact definition to it. This vagueness pushed those people to misunderstand plagiarism; as a result they will commit it unwillingly.

Defining plagiarism is as important as treating it; since many students do not make difference between borrowings an idea and stealing it, they ignore how to discuss ideas without adopting their owners' point of view.

As far as defining plagiarism is concerned, it is defined 'according to Collins dictionary of the English language as: 'plagiarism is the act of plagiarizing, which means to appropriate ideas, passages, etc...from another work or author. It involves literary theft, stealing by copying the words, ideas of someone else and passing them off as one's own without crediting the source' (1). This definition bears two main ideas: stealing ideas, and do not mention the source or the real owner. We'll see that almost all the definitions refer to those meanings, for instance, let's see another definition to compare. Lars R. Jones defines plagiarism in his handbook about cheating and plagiarism entitled 'academic integrity and academic dishonesty' as follows: 'it is the use of another writer's words or ideas without acknowledging the source, and is a kin to theft; according to the Harbrace college handbook... simply put plagiarism is the theft of intellectual property belonging to another. This includes both the theft of unwritten ideas and concepts as well as the theft of written texts, notes, computer programs, designs and visual materials' (2).

Once more we find that the two main ideas 'stealing ideas and not mentioning the source' are included in the second definition. Therefore, we can conclude that using others' ideas, a passage... is allowed when mentioning

the owners, otherwise it is considered as a theft. To be sure from this conclusion, let's see another definition, I mean that given by the American association of university professors which defines plagiarism as: 'taking over the ideas, methods, or written words of another, without acknowledgment and with the intention that they be taken as the work of the deceiver' (3).

2. The types of plagiarism:

We should refer that plagiarists may steal their own works and republish them as new products; this kind of plagiarism is called: self-plagiarism. It is defined by "Ithenticate professional plagiarism prevention" 'as a type of plagiarism in which the writer republishes a work in its entirety or reuses portions of a previously written text while authoring a new work' (4).

In addition to this kind of plagiarism, there are other types classified under the following categories (5):

- Copying from books
- Copying from peers
- Self-plagiarism
- Group collaboration on an individual assignment
- Online copy-and-paste
- Online paper mills.

Each category contains a set of types, for instance, 'copying from books' includes: copying from scientific magazines, papers, newspapers, memoirs, doctorates, students' final reports... therefore, we'll have a great number of types used by plagiarists.

Another point of view sees that we can distinguish four main ways followed by students when plagiarizing (6):

1. Stealing material from another source and passing it off as their own
2. Submitting a paper written by someone else and passing it off as their own
3. Copying sections of material from one or more source texts, supplying proper documentation but leaving out quotation marks, thus giving the impression that the material has been paraphrased rather than directly quoted
4. Paraphrasing material from one or more source texts without supplying appropriate documentation.

It seems that plagiarism and cheating have the same characteristics since both are morally considered as an immoral act, a misconduct, unethical, furthermore, some consider that plagiarism is a kind of cheating.

Unfortunately, we do not have any statistics about the spread of plagiarism in our Universities, unless from time to time we hear about some incidents happening here and there without a serious treatment of the phenomenon. Therefore, many questions deserve to be answered if we want a rational view about it.

Let's start with the first question that may be asked, if the learners depend more on online plagiarism than offline plagiarism. It is needless to remember that the internet has made plagiarism easier, mainly with the appearance of illegal sites which provide plagiarists with these dirty services. For instance, we can mention paper mills 'such as buypapers.com, which makes money by selling assignments written by other students. Buypapers.com alone boasts over 20000 papers in its database, offering them for sale for as little as 9.95 US\$ per essay with an electronic delivery system that can deliver in 30 minutes or less' (7). Nevertheless, students still depend more on offline sources to plagiarize, and this result has been confirmed by some studies. For this reason; to see which means of plagiarism are used more, online sources or offline ones, a study was conducted by Shifra Baruchson Arbib and Eti Yaari, 'findings of the present study indicate that students perceive plagiarism offences from online sources as significantly less dishonest than similar offences using printed sources' (8).

Another study entitled 'Internet plagiarism among college students', conducted by Patrick M. Scanlon and David R. Neumann, showed that 'a substantial minority of students reported they use the Internet to copy and paste text into their papers without citation...24.5% of these students reported plagiarizing online sometimes to very frequently should be cause for concern, although these numbers do not suggest an epidemic of Internet-facilitated plagiarism' (9). Once again the results proved that online plagiarism is still under control, hence, we have to decrease it by finding effective solutions as soon as possible to avoid the expected disaster.

3. The causes of plagiarism:

We need to know the causes of plagiarism; why do students plagiarize? 'The all-too-often excuse used is somewhere along the lines of 'I didn't have the time'" (10); it is the most common reason used by plagiarists to justify their sinful act, although the real reasons were never mentioned. Many studies have been conducted for this purpose, in this respect we can mention the conclusion brought by Vanja Pupovac et al in their study: 'students are generally aware that plagiarism is a form of dishonesty, but they still commit it, especially if they have a tight deadline or too much work to do and not enough time' (11). We notice that this study, conducted in four different European countries, found that time pressure is the most important factor which motivates students to plagiarize; this is a scientific finding and it should be respected, therefore, we have to give enough time to students to present their research papers.

Among the reasons which lead to plagiarism, the lack of training on how conducting a research, another important factor; students try to compensate this weakness by plagiarizing. Usually, the Universities include a module of methodology; however, this does not fulfill the students' needs; since it provides them only with the



theoretical knowledge and ignores the practical side necessary to conduct a study. We focus here on the importance of including such training in the curriculum: how choosing a topic, the method used, and the different steps that should be followed to do a scientific research.

We said before that some researchers see plagiarism as a kind of cheating, and this point of view allows us to consider that the causes of cheating are at the same time causes of plagiarism. Therefore, the small or non-existent penalties may motive students to plagiarize, this is why a hard punishment should be imposed on plagiarists, and these regulations which contain the penalties must be displayed in the university yard so as they will be known by everyone. The fear to be caught may also be another reason for not plagiarizing; the department should display names of plagiarists, through this scandalous situation we expect to increase the fear from being caught and decrease the rate of plagiarism in our universities. These results were confirmed by the previous study, when the authors say: 'most students believe that plagiarism will not be detected by their tutors, so they resort to it despite warnings and rules against it. According to the Croatian study only an objective plagiarism detection method and penalty for perpetrators will deter students from plagiarizing... although it is easier to plagiarize in the age of ICT, it is also easier to detect and measure plagiarism.' (12)

The result above emphasizes the role of the availability of data on the internet and the absence of serious penalty in increasing plagiarism, therefore, it suggests a detection method to make detecting plagiarism easier; hence, the new means of communication are badly seen since their disadvantages cannot be overcome till now.

4. The methods of plagiarism:

Plagiarists used different methods when committing plagiarism, the common one is copying directly from the source which can be a book, a dissertation, or a scientific magazine...many studies concluded that there are no considerable differences between online sources and offline one. For instance, in a study entitled: 'does the online environment promote plagiarism? A comparative study', conducted by David C, aiming at investigating if there are differences between plagiarism levels in doctoral dissertations submitted by students enrolled at traditional institutions and those by students attending online counterparts. The main question asked was: does the online environment promote plagiarism? And it hypothesized that there are differences in the benefit of online students (13).

This quantitative study sought to gather data on the prevalence of plagiarism among the most significant of graduate capstone projects the dissertation. A comparison between dissertations set by students attending a virtual doctoral education program and those attending a traditional institution.

The participants belong to two main categories:

-Online institutions: 184 doctoral dissertations were randomly selected from all full-text dissertations published from 2009 to 2013.

-Traditional institutions: 184 doctoral dissertations were randomly selected from all full text dissertations published from 2009 to 2013.

The results showed that notion that the internet and online work are more likely to contribute to the instance of plagiarism appears to be unfounded. An alternative explanation could be that students at both traditional and online institutions utilize the same types of sources. That is, online databases and literature. This plagiarism should be expected to be comparable across institution types. As such, the cutting and pasting of material are equally accessible to both traditional and online students.

- More than half of dissertations, regardless of institution type, contain plagiarized material.
- Traditional dissertations were more likely to contain medium levels of plagiarism than online counterparts.
- It appears that online learners either are more competent at citing and paraphrasing, or simply are likely to try to borrow text from sources.
- Half of all sampled dissertations had evidence of plagiarism

The findings of this study go against the hypothesis set by the researcher, that is to say it found no differences between dissertations prepared by online and offline school learners. Therefore, it called to have strict standards of dissertations line with the technological development. The researcher succeeded in discovering the main differences between traditional dissertations and online ones.

In a research entitled: 'students plagiarism in higher learning institutions in the era of improved internet access: case study of developing countries, done by Vicent Naano Anney and Mary Atanas Mosha in 2015 to investigate students' plagiarism practices in Tanzania higher learning institutions; therefore, he asked the following questions (14):

- What are the motivating factors for students' act of plagiarism in a resource constrained higher learning institutions?
- how do students teachers perceive plagiarism?

To achieve this goal, the study uses a case study within qualitative research approach. The sample was selective; it contains 320 students who were suspected of plagiarism. The researchers after choosing the participants, used group discussions and document analysis as a first step to see the plagiarized paragraphs. The study concluded that the reasons were:

- The lack of sources
- The lack of skills on how to acknowledge sources of information
- Students' inadequate skills, laziness



- Furthermore, students had heard about plagiarism only at the University.

5. Plagiarism in the Algerian University:

It is obvious that almost all the students plagiarize when preparing their research papers; we rarely browse a research paper done by a student purely made by him. This phenomenon made the TD's useless and with no scientific return, this is why those classes lost their importance in the learning process. In addition, the lack of clear regulations which criminalize this behavior led the teachers to hesitate in punishing their learners when committing plagiarism. With the spread of the scientific researches in the different field of study on the internet, and the availability of sites which provide such services, the students became lazier in doing their best in preparing the research papers.

We should discuss some crucial points to better clarify the reasons which motivate the Algerian student to plagiarize. The first factor which seems to be very important is the scientific level of the student in his specialty; the student is not capable of conducting a research because of the weak capacities he has in both the scientific and the methodological sides. Therefore, this weakness leads the learner to try to compensate it with plagiarism attempts in order to obtain ready works through any way, of course an illegal way. We can prove this assumption by the facts gathered from the reality, as teachers we usually notice the incapability of our students when we ask them to do their research papers, instead of doing their best they include sentences, paragraphs, pages, chapters, or even the whole work stolen from books, magazines, dissertations, or from the internet.

The second most important factor is the minimal or the absence of the punishment imposed on the plagiarists; who often benefit from forgiveness of the administration, or at least are condemned by a symbolic punishment. This indulgence encourages the students to commit plagiarism, and makes them believe that this act is a sort of intelligence. Although the availability of the regulations which deal with the different types of the academic misconducts, the collusion from different parts in the University hamper their application in case of plagiarism.

The third possible reason is the indulgence of some teachers, and their ignorance of how to detect plagiarism, this is why the teachers should bear part of the responsibility about what his student writes. Some teachers do not even read the papers written by the students who supervise them; they accept whatever their learners write without verifying the sources from which they took their ideas. The teachers' laziness encourages the learners to plagiarize more and more, and contribute in making the future generations of the students imitate their classmates.

In addition to other reasons may lead our learners to plagiarize, such as the insufficiency of the time given to the student to prepare his research paper, the commonness of plagiarism among students...etc

After this short presentation of the reasons which motivate the Algerian student to plagiarize, we have to wonder about the solutions we can suggest to overcome this phenomenon, or at least to reduce its rate. In this respect we can say that we have first to adapt the regulations with the new forms of plagiarism, and to re-establish the definition given to it. This new definition has to include the new aspects of plagiarism, such as the different types of online plagiarism. In this respect, nowadays the plagiarists use the internet as a main source from which they obtain their theses' materials. Nonetheless, we do not have the adequate tools to face this threat; hence we should adapt the regulations through adopting new strategies. In addition to the legislative side, we have to think about the techniques that must be invented to overcome any plagiarizing' attempt; for instance, we can face the online plagiarism through an advanced system of detection.

Conclusion:

After this analysis, the scene has become clearer now; plagiarism is the most dangerous phenomenon that threatens the educational system, as well as the credibility of the researches done in the Universities and higher schools. Therefore, a series of studies have been conducted; and we are concerned more in the factors of plagiarism, the different types of plagiarism. In this paper we focused on the reasons that lead plagiarism to spread in this scary way; hence, we investigated the causes of plagiarism, and we reinforced that through discussing some studies.

We found that the main reasons of plagiarism are:

- The shortage of time
- The inefficiency and inability of learners
- The ignorance of the difference of plagiarism and citation
- The small or non- existent penalties and many other reasons.

As far as the types of plagiarism are concerned, we can divide them into two main categories: online plagiarism and offline one, in terms of using the new technologies or traditional methods. In addition to another classification based on sorting the types in the following categories: Copying from books, copying from peers, self-plagiarism, group collaboration on an individual assignment, online copy-and-paste, and online paper, as mentioned before. We also dealt with the haziness of the concept of plagiarism itself, wherefore; we brought a set of definitions to make it clearer. Finally, we supported our arguments with the findings of some studies.

It seems that the Algerian students plagiarize for different reasons:

- The students' incapability of conducting a scientific research;
- The punishment imposed on the plagiarists is not serious;
- The indulgence of some teachers, and their laziness in detecting plagiarism

As a result to this arrangement, I provided the following solutions:



- Adapting the regulations to the new forms of plagiarism;
- Adopting an advanced system to detect plagiarism, mainly on the internet.

References:

- (1) Chris Park/ in other (people's) words: plagiarism by University students- literature and lessons/ carfax publishing- assessment and evaluation in higher education, vol 28, n° 5, October 2003.
- (2) Chris Park/ previous reference.
- (3) David. C / MERLOT journal of online learning and teaching / Vol 10 n° 2.
- (4) ithenticate professional plagiarism prevention/ the ethics of self-plagiarism/ 2011.
- (5) John paynter and Conor J. Mills/ academic plagiarism: an analysis of current technological issues/ university of Auckland.
- (6) John paynter and Conor J. Mills/ previous reference/ abstract
- (7) John paynter and Conor J. Mills/previous reference .
- (8) Lars R. Jones/ academic integrity and academic dishonesty: a handbook about cheating and plagiarism/ Florida institute of technology/ Florida/ 2011.
- (9) Miguel Roig/ avoiding plagiarism, self-plagiarism and other questionable writing practices: a guide to ethical writing/ office of research integrity/ 2002.
- (10) Patrick M. Scanlon and David R. Neumann/ Internet plagiarism among college students/ Journal of College student Development/ Rochester Institute of Technology.
- (11) Shifra Baruchson Arbib and Eti Yaari/ printed versus internet plagiarism: a study of student's perception/ international journal of information ethics/ vol 1, 2004/ abstract
- (12) Vanja Pupovac and others/ on academic plagiarism in Europe: an analytical approach based on four studies/ Digijhum/ Universitat oberta de Katalunya/ 2008.
- (13) Vanja Pupovac and others,
- (14) Vicent Naano Anney and Mary Atanas Mosha in 2015/ the journal of education practice / vol 06, n° 13.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2018